سلسلة نفائس التراث القرآني

١٧

عبد الرزاق الكاشاني

كتاب التأويلات

أو

تأويل الآيات

الجزء الأوّل

تحقيق

أسعد جمعة

دار كيرانيس للطّباعة والنّشر والتّوزيع

2024

النّاشر: شركة كيرانيس للطّباعة والنّشر والتّوزيع
العنوان: إقامة الزّيتونة – عمارة عدد 3 – شقّة عدد 2 – المنار 2 – أريانة
الهاتف: 71886914 216+
الفاكس: 71886872 216+
العنوان الالكتروني: JomaaAssaad@yahoo.fr
معرّف النّاشر : 02-9938
عدد الطّبعة: الأولى
ت د م ك : 978-9938-02-060-1
تمّ سحب 1000 نسخة من هذا الكتاب

© جميع الحقوق محفوظة لشركة كيرانيس للطّباعة والنّشر والتّوزيع

عبد الرزّاق الكاشاني

كتاب التّأويلات

أو

تأويل الآيات

الجزء الأوّل

التّصدير

الـنّـص ـدي ـر

المؤلف:

محمّد محسن بن مرتضى بن محمود المشهور بلقب الفيض الكاشاني (1007 هـ– 1091 هـ). من علماء الشّيعة الإماميّة، وقد كان محيطًا بكثير من العلوم.

1 – حياته:

أ – الولادة والنّشأة والأسرة:

ولد الفيض الكاشاني في سنة 1007 هـ ونشأ في بلدة قم الإيرانية، فانتقل من بعدها إلى كاشان، وبعدها نزل إلى شيراز بعد سماعه بورود العلامة ماجد البحراني هناك، فأخذ العلم منه ومن صدر الدين الشيرازي، المعروف بـ الملا صدرا وتزوج ابنة صدر الدين في شيراز وغادرها إلى كاشان وبقي هناك. امتاز الفيض بأنه وُلِد ونشأ في أسرة عريقة وبيت حافل بالعلماء والمؤلّفين، فقد كان جدُّه تاج الدّين محمود، وأبوه الشاه مرتضى، وخاله نور الدّين محمد بن ضياء الدين. إخوان الفيض: محمّد مؤمن، وعبد الغفور، وضياء الدّين محمّد، وصدر الدّين محمّد، ومرتضى بن مرتضى. وأبناؤه: أبو حامد محمّد نور الهدى، وأبو علي معين الدّين أحمد، ومحمّد بن محمّد علم الهدى. كذاك أحفاده، كلّهم من العلماء والمحدّثين والمؤلّفين –على أنّه صاهر صدر الدّين الشيرازي[1]–.

أ– سيرته[2]:

عاش الفيض الكاشاني في أوج اقتدار الدولة الصفوية في إيران وعاصر من ملوكها:

– الشاه عباس الأول) 996 – 1038.(

– الشاه صفي) 1038 – 1052.(

– الشاه عباس الثاني) 1052 – 1077.(

---

[1] مقدمة كتاب علم اليقين، بقلم المحقق محسن بيدارفر.

[2] هذا القسم منقول من مقدمة كتاب علم اليقين بقلم المحقق محسن بيدارفر مع تصرف قليل.

– الشاه سليمان) 1077 – 1106.(

ومع أن ذلك العصر كان مسرحاً لحروب طاحنة في عدة مناطق حدودية –مثل آذربيجان وخراسان والعراق– بين الصفويين ومجاوريهم –من العثمانيين والكوركانيين وغيرهم–، فإنّ المناطق الداخلية والمركزيّة كانت في أمن ودعة، وبذلك تمكن المواطنون من الإقبال على العلم والتعليم، كما صار سبباً لهجرة جمع من العلماء إليها؛ وصار عاصمة الدولة الصفوية –أصبهان– مركزاً علميّاً حافلاً لجهابذة من المشاهير، اشتغلوا فيها بالإفادة والاستفادة –مثل الشيخ البهائي والداماد والمير الفندرسكيوغيرهم–.

في هذه الظروف الزّمانيّة والمكانيّة نشأ الفيض وعاش ودرس وسافر واشتغل بالتّأليف والتعليم وإرشاد العوام والخواص. يظهر من التأمل في سيرته أنه سار في مراحل ثلاث:

ففي المرحلة الأولى اشتغل بتحصيل المقدّمات والعلوم الظاهرية إلى أن بلغ رتبة الاجتهاد فيها، وذلك حين اشتغاله في مولده كاشان ثم رحلته إلى إصبهان وشيراز.

المرحلة الثّانية تبدأ من حين رجوعه من شيراز، حيث لم ير فيما حصّله في المرحلة الأولى رواء غلّته وشفاء علّته؛ فأخذ بعد ما أحكم العلم الظاهر يتفحّص عمن عنده شيء من علم الباطن؛ وإن كان من أول أمره أيضاً راغباً في ذلك سائلاً عنه، إلا أنه لم يكن فيه مجدّاً إلى ذلك المقدار، فسافر في البلاد وطاف الديار حتى وصل –كما قال– في قم إلى صدر المتألهين الشيرازي، فأقام عنده سنين مشتغلاً بالرياضيات وتحصيل علم الباطن، وكان في هذه الأوان ذا شوق واهتمام وجدّ، يكتب ويقول ويصرّح بمكنوناته ويتبهج بها؛ وهذه المرحلة ابتدأت من رجوعه من شيراز إلى أصبهان ثم رحلاته إلى البلاد وإقامته في قم ورجوعه مع صدر المتألهين إلى شيراز ورجوعه بالأخير وبعد فوت صدر المتألهين إلى مولده كاشان وبقائه فيها مدّة.

والمرحلة الثّالثة تبدأ من هذا التأريخ بعد ما تكامل وحصّل العلوم والتجارب الضرورية في العلم والعمل، ونال من العوام والخواص من معاصريه ما نال، فرأى النجاة والراحة في الإعراض عن الخلق باطناً والكون معهم ظاهراً، والإقبال على الاهتمام بالنفس عملاً والتمسك بالثقلين والتفكر فيهما علماً، وفي هذه المرحلة نراه عالماً عارفاً معتدلاً، بلا إفراط ولا تفريط، يراعي الظاهر والباطن، يعيش مع الخلق ويكتب لهم ويهديهم في الظاهر، ولا يختلط بهم وينعزل عنهم ويستمر مسيره في الباطن.

هذا ما نستنتجه من التأمل في سيرة الفيض الكاشاني العلمية والعملية. كتب في رسالته "شرح الصدر" قسماً من سيرته وسوانح أيام حياته، قائلاً أنه ((لما لم يجد أحداً يظهر له ما في قلبه من عقد المكاره، رأى أن يكتب ذلك بمعونة القلم في أوراق ينفّس بها كربته؛ والرسالة مؤلّفة في سنة 1065هـ حين كان في الثامنة والخمسين من عمره، وبما أنها مكتوبة بالفارسية، فقد عربها المحقق محسن بيدارفر إلى العربية ملخصاً: ((المنّة لله – عزّ وجلّ – ما ألقى من أوان الصبا في قلب عبده هذا شوقاً إلى تحصيل الكمال وطلبه، وكرّمه بإخلاص النية، وحتى تكون هذه النعم معينة له في سفره في طريق الحق. ووفّقه لأن يكون من مبدء أمره إلى الآن –وقد جاوز عمره الثامنة والخمسون– إذا صرف شيئاً من عمره فيما لا يعني أو في غير سلوك سبيل الحقّ، رأى ذلك غبناً عظيماً –ولا فخر–.

كنت[1] برهة في خدمة خالي المعظّم – الذي كان من الممتازين في عصره – في كاشان، مشتغلاً بتعلّم التّفسير والحديث والفقه وأصول الدّين وما تتوقّف عليه هذه العلوم من العربيّة والمنطق وغيرها، إذ كان أبي وجدّي من المشتغلين بهذه العلوم والمخصوصين بالصلاح والعزلة، ولم يتلوّث ذيل عزّتهم بغبار فضول الدنيا.

بعد انقضاء العشرين من العمر سافرت إلى أصبهان لتحصيل الزيادة من العلوم الدينية، وتشرفّت بخدمة جمع من الفضلاء –كثّر الله أمثالهم–، ولكن لم أجد هنا أحداً عنده خبر من علم الباطن، وتعلمت فيه شيئاً من العلم الرياضي، ثمّ توجّهت إلى شيراز لتحصيل الحديث والإسنادات المعنعنة، ووصلت إلى خدمة فقيه العصر والمتبحّر في العلوم الظاهرية، أعني السيّد ماجد بن هاشم الصّادقي البحراني –تغمده الله بغفرانه–، واستفدت من حضرته –سماعاً وقراءة وإجازة– شطراً معتدّاً به من الحديث ومتعلقاته، حتّى حصلت لي بصيرة –في الجملة– في علم الحلال والحرام وسائر الأحكام، واستغنيت عن التّقليد.

فرجعت إلى أصبهان ووصلت إلى حضرة الشيخ بهاء الدين محمد العاملي – قدّس سرّه – وأخذت منه إجازة الرواية أيضاً، ثم توجّهت إلى الحجاز، وبعد توفيق التشرّف إلى حجة الإسلام وزيارة سيّد الأنام والأئمة المعصومين –عليهم السّلام– تشرّفت في هذا السفر بخدمة الشيخ حسن بن الشيخ زين الدين العاملي –أطاب الله ثراه– واستفدت منه، وأخذت منه إجازة الحديث أيضاً.

---

[1] يقول المحقق محسن بيدارفر: الضمائر في النص الأصلي جميعها بصيغة الغائب، وقد أبدلناها إلى الضمير الحاضر لكونه أوضح.

في أثناء عودتي من هذا السفر أصابتني مصيبة شديدة بسبب قطّاع الطرق، إذ قتل بيدهم أخي الذي كان أعزّ عندي من نفسي، وقد وصل إلى رتبة الاجتهاد وهو في الثامنة عشر من عمره، وقد جُمِع له مع الذكاء البالغ الدرجة العالية من التّقوى والفهم الصحيح والذهن الوقّاد وجودة الطبع؛ وكان في الموافقة والمناسبة والمؤالفة معي إلى حدّ تحسبنا روحاً في بدنين، وكنا رفيقين شقيقين ومونسين وظهيرين –أطاب الله ثراه وجعل الجنة مثواه– فإنا لله وإنا إليه راجعون.

لم أزل بعد هذه المصيبة العظمى كنت طائفاً في البلاد متفحّصاً عن العلم والكمال، وحيث أشير إلى أحد بأنّ عنده شيئاً من الكمال سعيت إليه سحباً على الهام لا مشياً على الأقدام؛ ومستفيداً منه بقدر الإمكان والاستعداد. حتّى وصلت بلدة قم – الطيّبة – بخدمة صدر أهل العرفان وبدر سماء الإيقان صدر الدين محمد الشيرازي – قدس الله روحه وسرّه – وكان في علم الباطن وحيد دهره وفريد عصره، فأتممت عنده ثماني سنين مشتغلاً بالرياضيات والمجاهدات، حتّى حصل لي –في الجملة– بصيرة في علم الباطن، وتشرّفت في الأخير بمصاهرته الشّريفة.

ولما عزم على التّوجّه إلى شيراز سرت معه، وبمقتضى ((فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ))[1] أقمت عنده قرب سنتين أيضاً، واستفدت من بركات أنفاسه الطيّبة كثيراً.

ثم عملاً بنص كرية ((فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ))[2] رأيت من الواجب الرجوع والاشتغال بتدريس أحاديث أهل بيت العصمة والالتجاء إلى زاوية والاهتمام بالجمعة والجماعة وتأليف الكتب والرسائل، ونصيحة العوام وبيان المسائل.

وكنت أرى قدري أعلى من أن يحول حول حطام الدنيا؛ حتّى وصل إليّ يوماً أحد مقرّبي السلطان المغفور له سلالة السادات الملك صفي[3] –تغمّده الله بغفرانه – وأخبرني أنه يريد ملاقاتي وعليّ أن أتوجّه إلى حضرته؛ فلما تشرّفت لملاقاته قرّبني وكلفني الإقامة في خدمته.

---

[1] سورة القصص، آية 27.

[2] سورة التوبة، آية 122.

[3] حكم بعد الشاه عبّاس الأول: 1038–1052.

ولكن لما كان في حاشيته جمع من علماء الظاهر، ولم أكن أعرف كيفيّة التعامل معهم، ولا أرى في ذلك صلاح ديني ودنياي – فإنّ تأييد الدين لم يكن ميسوراً لي معهم على هذه الحال، وتفوتني –مع هذا الوبال– حريّتي وراحتي في الدنيا أيضاً – فلذلك استعفيت من هذا الأمر، وصار استعفائي –والحمد لله– مقروناً بالإجابة.

فاشتغلت مدة بعد ذلك في ظلّ القناعة بترويج الدين قولاً وفعلاً حسب المقدور، وكنت ببركة العلم والعمل ومحبة أهل البيت أزداد يوماً فيوماً من استكشاف أسرار كلماتهم –سلام الله عليهم– وأفوز بفتوحات وفيوضات في المعارف الدينية والمعارف اليقينية، ويُفتح لي في كل برهة باب من علم، ومن كلّ باب أبواب أخر.

وكانت الأيام تنقضي على ذلك إلى أن وصلت إليّ رسالة من الملك المقتدر، مسعتبد السّلاطين، شاه عباس الثاني –خلّد الله ملكه– يأمرني بالتوجه إليه. وذلك الطلب وإن كان مضمونه ترويج الجمعة والجماعات ونشر العلوم الدينية وتعليم الشريعة، ولكن يستشم من مطاويه ريح الاستغراق في بحر لا ساحل له؛ ولذلك تحيّر العقل وتردّد فيه، إلى أن هبّ نسيم الصبا من مشرق النفس الرحماني إلى العالم الجسماني، يعاتبني بأنك –مع استجماع أسباب الغزلة لك ووصولك إلى خزانة القناعة والفراغ والحريّة وطهارة الذيل عن الأعمال– ما بدا للهمة التي لم تتنزل في شبابها لدى نعيم الكونين، ترغب في سنين الشيخوخة في هذه الأمور وترضى لأن تكون موطأً للحوادث والدهور؟! فكنت متردّدا فيها حتّى أقبل إليّ الحاكم العقلاني وأظهر نكتة تستفاد من نص كرية ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ))[1] وأزال بها ما عرض لي من الشبهات والشكوك.

وملخّص ذلك أن رابطة الإيمان مع الشرع المحمدي تستحكم إذا وفى المؤمن بكل عهد عاهده في كل من الحضرات والعوالم مع كلّ من الكائنات، وعمل بمقتضى تلك العهود وقام بها؛ وهذا المعنى لا يتحقق إلّا بالاختلاط مع أهل الزمان ومقاساة الحوادث في الأزمان. بلى – في ابتداء الحال لما لم يتوجّه من تفرقة الخارج إلى جمعية الداخل وكان منسرحاً في عالم الهوى لا خبر له من وجوده ومعرفة نفسه، يقتضي حكم ((من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه))[2] أن يسلك سبيل الترك وينزل في منزل التجريد؛ ولكن بعد

---

[1] سورة المائدة، آية 1.

[2] تحف العقول: وصية الإمام الكاظم لهشام، ص395. عنه البحار: 150/1.

ما وصل إلى مقام الفتوّة والرجوليّة، يتحتّم عليه الولوج في سوق الاختلاط، حتّى تصيبه إصابات الحوادث، وتصل إليه في كل لحظة نائبة من نوائب الدهر.

فالواجب عليّ لما وقعت في زمان ودولة قاهرة مريدة لاستحكام قواعد الملك واستمرار الدين الشريف، أن أكون في حواشيها عوناً، نصرة في ترويج الدين وسياق الأمور إلى الصراط المستقيم.

بعد اللتيا والتي، توجّهت إلى صوب الملك، ولما وصلت إليه رأيته أكثر مما كنت أسمع وأتصوّر، ولما تشرّفت بملاقاته قرّبني وكرّمني، وبعد جلسة أو جلستين من الحديث معه رأيته متوجّهاً إلى تشييد مباني الدين القويم والشرع المستقيم؛ وإقامة الصلوات وترويج الجمعة والجماعات؛ فلعله بحكم ((إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ))[1] يُترك بعض ما كان في طباع الناس من النكر ويهجر.

ولكن بحكم أن كل من اختصّ بعناية ملك من الملوك صار هدفاً لسهام غيظ جمع من العفاريت المتشبّهين بالآدنيّين، والجهّال المتلبسين بلباس أهل العلم، والمريدين العلوّ والفساد –الذين هم موجودون في جميع الحواشي، منتظرون للوصول إلى هذه المقامات التي لا يتصوّرون فوقها شيئا في هذا الملك واللمكوت– فعادوني وسعوا فيّ وأرادوا إطفاء نور الله بأفواههم. كذلك جمع أرباب العمائم المدّعين للاجتهاد والعلوم الشّرعيّة انصرفوا مع جمع من العوام في ناحية مشتغلين بهذه العبادات تاركين للجمع حباً للرّياسة.

وجمع آخر –من الذين غابوا عن أفق الإنسانية جدّ ولم يبق فيهم شيء من الدين الحنيث– أخذوا يحرِّمون الاشتغال بالجمعة والجماعات عند العوام، ويعدّونه من العار والحرام؛ ((يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ))[2].

وبالجملة، أجمع الجميع على أن لا يعتصموا بحبل الله ويتفرّقوا، ويعرضوا عن الثقلين ولا يصغوا إلى محكمات القرآن والحديث؛ لا يسمح لهم طبعهم أن يقلدوا، ولم يكن لهم توفيق أن يحقّقوا.

فجماع هذه الأمور صار باعثاً لفتور العزم السلطاني، ولم يتمكن الجمع الموجودون بالحضرة من الأذكياء –الذين كانوا عارفين بحقيقة الأمر– من نصرتي وإعانتي، ولم أر نفسي فارس ميدان الجهّال والجدال؛ ورأيتني تركت ما كنت فيه من الدعة والعافية

---

[1] سورة العنكبوت، آية 45.

[2] سورة التوبة، آية 67.

والانزواء، ولم أصل إلى مُنيتي وخاطري، ملقى بين الأعداء، ليس لي ناصر ولا معين ولا راحة في دنيا ولا ترويج لدين.

بلى في هذا الابتلاء والامتحان، والوقوع في أمواج هذا البحر الخضم، حصلت لي تجارب وصرت مصداقاً للحديث المعروف: ((عارفاً بأهل زمانه))[1] ؛ وعرفت وجه ارتداد العامة بعد وفاة النّبيّ الأكرم –صلّى الله عليه وآله وسلّم– وزاد معرفتي بالحقّ وأوليائه وأعدائه، وأعرضت عن غير الحق بالمرّة. انتهى إلى هنا النقل من رسالة الفيض الكاشاني. يتابع المحقق بيردافر قائلاً:

"ونلخص المعلومات الواردة في هذه الرسالة وغيرها حول رحلات الفيض كما يلي:

إنّه سافر إلى أصبهان في العشرين من عمره، أي في سنة 1027 –بناءً على أنّ سنة ولادته هي: 1007–. رحل إلى شيراز في نفس السنة بناءً على أنّ وفات ماجد البحراني كانت في سنة 1028، وصرّح الفيض أنه أقام عنده مدّة وأخذ من إجاوز، فلا أقلّ أن يكون ذلك في سنتين أو ما يقارب منها.

والظنّ الغالب أنه رجع إلى أصبهان في نفس السنة، وقد صرّح أنه بعد الرجوع إلى أصبهان والاستفادة من البهائي وأخذ إجازة الحديث منه سافر إلى الحج وبعد الرجوع من الحجّ والطواف في بعض البلاد وصل إلى صدر المتألّهين في قم، فيمكن أن نحدس أنّه كان حوالي سنة 1032 هـ. وقد أقام في قم ثماني سنين –على ما صرّح به– وبنى ببنت صدر المتألّهين فيه، ثمّ رحل معه إلى شيراز بعد سنة 1039 هـ، إذ فيها ولد ابنه علم الهدى في قم، فكان الفيض في هذه السنة ساكناً في قم، فالرجوع إلى شيراز وقع في هذه السنة أو بعدها.

وعلى هذا لا يصحّ ما جاء في بعض المصادر[2] من أن رجوع صدر المتألّهين إلى شيراز كان بأمر الشّاه عبّاس الأول الصوفي، فإنّ هذا السّلطان توفى سنة 1038 هـ، والفيض كان بعد هذه السنة أيضاً في قم مع صهره صدر المتألهين، أو لعلّ الأمر به صدر قبل فوت الشاه عباس وتأخّر العمل بها بعض الأمور.

بعد سنتين رجع إلى كاشان وأقام فيها؛ فالوصول إلى كاشان كان حوالي سنة 1041–1042، على التخمين القريب من اليقين.

---

[1] الكافي: 2 | 224. كتاب الإيمان والكفر، باب الكتمان، ح10.

[2] عالم آراى عباسى.

كاشان وصفاهان وقم وقمصر وشيراز برديم بسر در همه با مهتر وكهتر
هر جند كه جستيم ونماندســـــــت آن يار إلهى بريم از سخنش بر"[1][2]

ب – أساتذته/مشائخه:

1 – والده الشاه مرتضى ابن الشّاه محمّد.

2 – ماجد الصّادقي.

3 – الشّيخ البهائي.

4 – صدر الدّين الشيرازي.

5 – محمد طاهر الشّيرازي القمي.

6 – خليل بن الغازي القزويني شارح الكافي.

7 – الشّيخ محمد ابن الشيخ حسن بن الشّهيد الثّاني.

8 –محمّد صالح المازندراني شارح الكافي.

ج – تلامذته:

1 – ولده الزكي المعروف بـ علم الهدى.

2 – المجلسي صاحب بحار الأنوار.

3 – نعمة الله الجزائري.

4 – القاضي سعيد القمّي.

د – منزلته العلميّة:

من علماء الشيعة الإمامية في القرن الحادي عشر الهجري في إيران، وكان فقيهاً، أصولياً، محدثاً، مفسراً، حكيمًا، متكلّمًا، أديبًا، شاعرًا باللّغتيْن العربيّة والفارسيّة، مؤلّفًا[3].

---

[1] من ديوان الفيض: 1 | 334.

[2] علم اليقين في أصول الدين، للفيض الكاشاني، طبعة انتشارات بيدار، المقدمة بقلم المحقق محسن بيردافر، ص16–17.

[3] شعراء العرب، الجزء الرابع.

هـ – أقوال العلماء فيه:

– قال الأردبيلي في جامع الرواة) :محسن بن مرتضى الكاشاني تعالى، العلامة المحقق المدقق جليل القدر عظيم الشأن، رفيع المنزلة، فاضل كامل أديب متبحّر في جميع العلوم، له قريب من مائة تأليفات)[1].

– قال معاصره علي خان المدني في كتاب سلافة العصر) :المولى العلامة محمد بن الشاه مرتضى الشهير بملا محسن القاشاني، له كتب ومصنفات جليلة في الفقه والحديث والكلام والحكمة، وهو من أهل العصر الموجودين الآن)[2].

– في كتاب روضات الجنات للمرحوم الخونساري) :أمره في الفضل والفهم والنباهة الفروع والأصول والإحاطة بمراتب المعقول والمنقول وكثرة التّآليف والتّصنيف مع جودة التعبير والترصيف أشهر من أ ن يخفى في هذه الطائفة على أحد إلى منتهى الأبد)[3].

– في كتاب مستدرك الوسائل، قال المحدّث النّوري: "من مشايخ العلّامة المجلسي العالم الفاضل المتبحّر المتحدّث العارم الحكيم المولى محسن ابن الشّاه محمود المشتهر بالفيض الكاشاني)[4].

– قال فيه الحرّ العامليّ: "محمّد بن المرتضى المدعو بمحسن الكاشاني، كان فاضلاً عالماً ماهرًا حكيمًا متكلّمًا محدّثًا فقيهًا محقّقًا شاعرًا أديبًا، حسَنَ التّصنيف من المعاصرين، له كتب كثيرة... من مؤلّفاته كتاب الوافي. جمع الكتب الأربعة مع شرح أحاديثها المشكلة، حسن إلّا أن فيه ميلاً إلى بعض طريقة الصّوفية... قد ذكره السيّد عليّ بن ميرزا أحمد في السّلافة وأثنى عليه ثناءً بليغاً)[5].

– يقول الدكتور عباس الترجمان في مقدمة كتاب تفسير الصافي للفيض الكاشاني: إن ما ذكره الشيخ الحر العاملي . رضوان الله عليه . في وصف كتبه من: «أنّ فيها ميلا إلى بعض الطّريقة الصّوفيّة» قد يكون ناتجا مما رآه من أسلوبه في الشرح الذي نحا فيه منحى

---

[1] جامع الرواة : 2/42.

[2] سلافة العصر: 491.

[3] روضات الجنات: ج6، ص79.

[4] خاتمة المستدرك، ص420.

[5] أمل الآمل : 305/2.

العرفاء والفلاسفة . كما قلنا وأنّه استعمل الكلمات المصطلحة لديهم، متأثّرا بأستاذه صدر المتألهين المعروف بملا صدرا الشيرازي الذي ثنيت له الوسادة في الفلسفة والعرفان، فتراءى للشيخ العاملي أن فيها ميلا إلى بعض الطريقة الصوفية.

ولو أردنا أن نحتسب الجملة هذه باحتساب ما تعبر كلّ كلمة منها عن المعنى الذي تحمله، يتّضح لنا ما أراد الشّيخ العاملي. ففي كلمة «ميل» معنى أقلّ بكثير من معنى الّا تجاه، فلو كان صوفيًّا . كما يدّعيه الصّوفيّون . لقال معاصره العامليّ. إنّ فيها اتجاه إلى...، وكلمة «بعض» تشير إلى الجزئية التي تتجلّى في المصطلحات العرفانيّة التي طغت على كتاباته. ولو لا ذلك لقال . . إلى الطّريقة الصّوفيّة، ولمّا قيّدها بكلمة « بعض ». لهذا نرى أن أصحابنا . قدّست أسرارهم . لم يجدوا فيه مغمزا، وأثنوا عليه غاية الثّناء، وأطروه بأحسن إطراء[1].

– ذكره محمّد شفيع الحسينيّ في الروضة البهيّة قائلاً: (إنّه صرف عمره الشريف في ترويج الآثار المرويّة، والعلوم الإلهيّة، وكلماتُه في كلّ باب في غاية التّهذيب والمتانة، وله مصنّفات كثيرة).

– قال نعمة الله الجزائري في زهر الرّبيع: (كان أستاذنا المحقق المولى محمد محسن الكاشاني صاحب الوافي وغيره مما يقارب مائتي كتاب ورسالة)[2].

– قال الشيخ يوسف البحراني في لؤلؤة البحرين: (المحدث الكاشاني كان فاضلاً، محدثاً، أخبارياً، سليماً).

– قال المحدث الشّيخ عبّاس القمّي في الكنى والألقاب: (الفيض: لقب العالم الفاضل الكامل العارف المتحدّث المحقّق المدقّق المتأله محمد بن المرتضى المدعو بالمولى محسن الكاشاني صاحب التصانيف الكثيرة الشهيرة كالوافي والصافي والشافي والمفاتيح والنخبة والحقائق وعلم اليقين وعين اليقين وخلاصة الأذكار وبشارة الشيعة ومحجة البيضاء إحياء الإحياء، إلى غير ذلك مما يقارب من مائة تصنيف)[3].

– قال العلامة الأميني في موسوعة الغدير في ترجمة علم الهدى ابن المؤلف: (هو ابن المحقق الفيض علم الفقيه، وراية الحديث، ومنار الفلسفة، ومعدن العرفان، وطود

---

[1] تَفسير الصَّافي، الجزء الأول، كلمة التقديم.

[2] زهر الربيع، ص164، طبع طهران.

[3] الكنى والألقاب: 3: 39_42.

الأخلاق، وعباب العلوم والمعارف، هو ابن ذلك الفذِّ الذي قلّ ما أنتج الدهر بمثيله، وعقمت الأيام عن أن تأتي بمشبهه)[1].

– قال الأستاذ البحّاثة المعاصر مرتضى المدرسي الجهاردهي في كتابه طبقات المفسّرين :)كان الفيض من كبار علماء الإمامية الذين كانت لهم عناية بالغة بالقرآن والحديث، له مسلك خاص في النفسير جمع بين الطريقة والشريعة، ألف في الحقائق القرآنية التي أسّست على أصول الفطرة، والحكمة العالية التي تنطبق على نواميس الطبيعة، والعرفان الصحيح الذي يلائم الفطرة والعقل، تفسيريه الصافي والأصفى.

ونقل في كتاب "المحجة البيضاء" الذي ألّفه في تهذيب إحياء العلوم أخباراً كثيرة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام في علم الأخلاق وعلم النفس وأدبها بوجه رائق، والحقُّ أنه تفسير للقرآن وشرح لأحاديث الإمامية، وهو يبحث في هذا الكتاب بحثاً تحليلياً عن عقائد الغزالي وآرائه ثم شرع في نقدها وتهذيبها معتمداً في كلّ ذلك على الكتاب والسنّة.

استشهد في آرائه في جميع تآليفه بالقرآن والحديث الصادر عن أهل بيت الوحي.

وإذا قسنا بينه وبين أبي حامد في فهم آيات الكتاب الحكيم والأخبار الصادرة عن منبع الوحي نرى تقدُّمه الباهر على الغزالي مع ما كان له من الشّهرة العالميّة واشتهار الفيض في جامعة الشّيعة فحسب. ولو أنّ الدّعايات المبثوثة حول الغزالي في العالم بثّت حول الفيض لظهر عبقريّته وعلم المحقّقون من أعلام الغرب مبلغ عظمته العلميّة وتوجّهوا نحو آرائه القيّمة وعقائدة الحقّة في علم التفسير والحديث من ناحية الأخلاق وعلم النّفس وأدبها)[2].

– قال الدكتور عباس الترجمان في مقدمة كتاب تفسير الصافي للفيض الكاشاني: (علامة دهره، ووحيد عصره، الفقيه الفيلسوف، والمتبحر العارف، محمد المحسن بن مرتضى بن محمود المعروف بالفيض الكاشاني)[3].

و – شعره:

له ديوان شعر، ومن شعره:

---

[1] الغدير، ج11، ص362.

[2] طبقات المفسّرين.

[3] تَفسير الصَّافي، الجزء الأول، كلمة التقديم.

ملك الشّرق تشرق وإلى الرّوح تعلّق
غسق النّفس تفرق ربض الفكر تهدم

وله أيضًا (باللّغة الفارسيّة):

كلمات طريفه مـــــــا را بشنو وفهم كن بكار آور
برسانش بسمع گمشدگان ره نماشان بدين ديار آور
آنكه أو قابل هدايت نيست در دلش خارها ببار آور
زين سخنها كه هر يكى بحريست آب در جوى روزگار آور
شد خزان باغ علم از شبهات چمن علم را بهار آور
كار دين شد كساد وبى رونق تازه آبى بروى كار آور
زين دو مصرع كه آو دو تاريخ است كم كن وبيش در شمار آور[15]

ح – مؤلّفاته:

1 – كتب الفيض الكاشاني في مختلف العلوم وألف ما يقارب من مائتي كتاب تناول فيها مواضيعَ مهمّة، ودون فيها آراء جديرة ومعارف عالية، تسدّ ثغراتٍ كبيرةً وعديدة في المكتبة الإسلاميّة.. نذكر منها ما اشتهر فقط:

2 – آيينه ء شاهي، فارسي .انتخبه من كتابه ضياء القلب في سنة 1066 وكتبه لـ شاه عباس اثني عشر بابا في ثلاثمئة بيت (أوله سباس شايسته وستايش بايسته سزاوار نثار الخ).

* خمسة أبواب في الحكام الخمسة المسلطة على الإنسان: العقل، والشرع، والطبع والعادة، والعرف،
* وسادس الأبواب :في المحكوم عليه، أعني النفس الإنسانية .
* وسابعها :في شرف مراتب الحكام .
* وثامنها :في حكمة تسلط هؤلاء الحكام .
* وتاسعها: في ما يتعين منهم للعمل عند وقوع الاختلاف بينهم
* وعاشرها :في ما يشخصه عند الاشتباه .
* وحادي عشرها :في تعداد بعض النعم الإلهية الممدة للتعيين والتشخيص .
* وثاني عشرها :في طريق الاستمداد من الله خالق البشر.

والنسخة ضمن مجموعة من رسائله توجد عند الشيخ العلامة ميرزا محمّد الطهراني بـ سامراء[1].

3 – أبواب الجنان، *في وجوب الجمعة وآدابها وفضل الجماعة وآدابها*، فارسي . كتبه في خمسمائة بيت ألّفه سنى 1055 لانتفاع عامة الناس كما ذكره في فهرس تصانيفه. يقول الأغا بزرك الطهراني في الذريعة :هو مرتب على فصول: أوله (سباس وستايش مر خدايرا كه صوامع آسمان رخ، إلخ). والنسخة في الخزانة الرضوية وله أيضاً رسالة عربية سماها الشهاب الثاقب [2].

4 – الشهاب الثاقب، عربي[3].

5 – الأحجار الشداد، *والسيوف الحداد في إبطال جواهر الأفراد*، عربي .قال في فهرس تصانيفه: ألفته في عنفوان الشّباب[4].

6 – الأذكار المهمة، *مختصر خلاصة الأذكار*، فارسي .قال في فهرس تصانيفه: أنه في ثلاثمئة وأربعين بيتاً. يقول الآغا بزرك الطهراني في الذريعة :ولعله المطبوع بالهند ضمن مجموعة كما في بعض الفهارس[5].

7 – الأربعون حديثاً، *في مناقب أمير المؤمنين* . قال في فهرس تصانيفه: أنه انتخب من كتاب لبعض الأصحاب في فضائله وهو يقرب ثلاثمئة بيت[6].

8 – الاستقلالية، *في استقبال الأب بالولاية على البكر في التزويج* .أوله: (الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفوا. اللهم اهدنا لما اختلف فيه..). ألفه في شعبان سنة 1064 في بازركان – محلة في قمصر من قرى كاشان – توجد في مكتبة المولى محمد علي الخوانساري في النجف[7].

---

[1] الذريعة، ج1، ص53 | 267.

[2] الذريعة، ج1، ص77 | 371.

[3] الذريعة، ج1، ص77 | 371.

[4] الذريعة، ج1، ص284 | 1489.

[5] الذريعة، ج1، ص406 | 2114.

[6] الذريعة، ج1، ص424 | 2177.

[7] الذريعة، ج2، ص33 | 127.

9 – الأفق المبين، *في كيفية التفقه في الدين* .كتب عليه هذا الاسم في بعض النسخ، لكن ذكر المحقق آغا بزرك الطهراني في الذريعة أن اسمه الحق المبين[1].

10 – الصافي، في تفسير القرآن . 5 مجلّدات، يقرب من سبعين ألف بيت، فرغ من تأليفه في سنة 1075 هـ.

11 – الأصفي في تفسير القرآن (من الكهف إلى الناس)، منتخب من تفسيره الصافي، وهو أحد وعشري ألف بيت تقريباً.

12 – الوافي، 15 جزءاً كلٌّ منها كتاب برأسه، يقرب مجموعة من مائة وخمسين ألف بيت، وقع الفراغ من تصنيفه في سنة 1068 هـ.

13 – الشافي، وهو منتخب من الوافي، في جزأين: حزء فيما هو من قبيل العقائد والأخلاق، وحزء هو من قبيل الشرائع والأحكام. في كلّ منها اثنا عشر كتاباً. يقرب من ستّة وعشرين ألف بيت. وقع الفراغ منه في سنة 1082 هـ.

14 – مُعتصَم الشيعة في أحكام الشريعة.

15 – النوادر، في جميع الأحاديث الغير مذكورة في الكتب الأربعة المشهورة في سبعة آلاف بيت.

16 – معتصم الشّيعة، *في أحكام الشريعة* .قد خرج منه كتاب الصلاة ومقدّماتها. مجلّد يقرب من أربعة عشر ألف بيت. وقع الفراغ منه في سنة 1042 هـ.

17 – النخبة .يشتمل على خلاصة أبواب الفقه. في ثلاثة آلاف بيت وثلاثمائة تقريباً. وقع الفراغ منه في سنة 1050 هـ.

18 – مفاتيح الشّرائع.

19 – التّطهير .وهو نخبة من النخبة لبيان علم الأخلاق. يقرب من خمس مائة بيت.

علم اليقين، *في أصول الدين* .أربعة عشر ألف بيت وخمس مائة تقريباً. وقع الفراغ منه في سنة 1042 هـ.

20 – المعارف. وهو ملخّص كتاب علم اليقين ولبابه، في ستة آلاف بيت تقريباً. وقع الفراغ منه في سنة 1036 هـ.

21 – عين اليقين.

22 – الحقائق . في أسرار الدِّين.

---

[1] الذريعة، ج2، ص261.

23 – الكلمات المخزونة.

24 – الكلمات المكنونة.

25 – قُرّة العيون.

26 – الحقّ المبين.

27 – ميزان القيامة.

28 – منهاج النجاة.

29 – سفينة النجاة.

30 – منتخب الأوراد.

31 – المحجة البيضاء . 8 مجلّدات.

ط – وفاته:

توفّي الفيض الكاشاني سنة 1091 هـ، وهو ابن أربع وثمانين سنة وكانت وفاته في كاشان ودفن بها، وقد كان فيها مرجعًا مشهورًا.

هو المولي كمال الدّين أبو الغنائم عبد الرزّاق بن جمال الدّين الكاشاني تُوفي سنة « تُوفي سنة (735 هـ)، تضاربت الآراء في حياته و شخصيته ، فيقول حاجي خليفة، «تأويلات القرآن ، المعروف بتأويلات الكاشاني تفسير بالتاويل علي اصطلاح التصوف الي سورة (ص)، للشّيخ كمال الدّين ... الكاشي السّمرقندي المتوفّي سنة (887 هـ) أوّله: "الحمد للّه الّذي جعل مناظم كلامه مظاهر صفاته ...الخ".

ويقول صاحب *أعيان الشّيعة*، «تُوفي سنة (730 هـ) له شرح منازل السّائرين للخواجه عبد اللّه الانصاري، والتّأويلات والنّصوص وله اصطلاحات الصّوفيّة كتبه بعد الشّرح المذكور مطبوع وله لطائف الالهام وله تفسير القرآن الموسوم بتأويلات القرآن أو تاويلات الآيات موجودة في الخزانة الرضوية وله شرح فصوص‌الحكم لمحّي الدّين بن عربي، وعدّه القاضي نور اللّه في مجالس المؤمنين من الشّيعة لأجل بعض كلماته.

ولقد اختلط اسمه في كتب التّراجم الشّهيرة مع عبد الرزّاق السّمرقندي الذي توفّي سنة (887 هـ)، وهو مؤلّف كتاب (مطلع السّعدين)، كما حصل لحاجي خليفة في كشف

الظّنون، ومع الأمير عبد الرزّاق الكاشاني الذي هو من أعلام القرن الحادي عشر الهجري، كما حصل لصاحب *رياض العلماء*.

2– مؤلّفاته:

يقول صاحب (ريحانة الأدب) بعد أَنْ أَثني عليه وعدّه من مشاهير العرفاء وصوفيّة الشّيعة أَنّه قد أَلفَّ من الكتب ما يلي:

1 – اصطلاحات الصّوفيّة، أوّله: (الحمدُ للّه الّذي نجّانا من مباحث العلوم الرّسميّة بالمنّ والأفضال).

2 – تأويل الآيات أو تاويلات القرآن وهو تفسير للقرآن علي طريق التأويلات المصطلحة عند الصّوفيّة.

3 – تحفة الاخوان في خصائص الفتيان.

4 – شرح فصوص الحكم لمحي الدين ابن عربي.

5 – شرح منازل السّائرين للخواجه عبد اللّه الأَنصاري . طبع في طهران.

6 – القضاء و القدر.

7 – لطائف الاعلام.

ولمْ نجد في كتب التّراجم اسماء اساتذته وتلامذته.

تقديم الكتاب:

1 – تفسير القرآن الكريم ، المطبوع خطأً باسم العارف الكبير محي الدين بن عربي المتوفي سنة 638 / 1267 (

وأمّا مؤلّفه حسب الوثائق التي سنعرضها، هو أبو الغنائم كمال الدّين عبد الرزّاق الكاشاني المتوفّي سنة (735 هـ / 1364 م) وعنوان الكتاب بالتّدقيق هو (التّأويلات). تصحيح خطأ ناشئ عن قلّة التّحقيق لطبع هذا الكتاب سنة (1978 م) بتحقيق الدّكتور مصطفي غالب وبنفقة الآنسة سميرة عاصي صاحبة دار الأندلس في بيروت.

يقول الدّكتور مصطفي غالب في مقدّمة الطّبعة ما نصّه: "ولمّا كان هذا التّفسير علي جانب كبير من الأهميّة، حرصنا علي إخراجه صورة طبق الأصل عن النّسخة المطبوعة في

الهند في بلدة (نور محمّد) في أواخر ربيع الأوّل سنة (1291 هـ) بدون أَنْ نغيّر فيه أو نبدّل، لنضع أَمام القارئ الإطار الواقعي الوضّاح للتّأويل الباطنيّ الحقانّي، بالرّغم من كلّ هذا، فقد عمدنا إلى جمع الآيات القرآنيّة الّتي كانت موزّعة في الهوامش بدون ترتيب، فنسّقناها وشكّلناها، ووضعناها في الأماكن الواجب أَنْ توضع فيه، واعتنينا بوضع الفواصل والنّقاط والبدء، وصحّحنا بعض الأخطاء اللّغويّة بدون الإشارة إليها".

فلقد أَخطأَ الدّكتور مصطفي غالب حيث اعتمد على النّسخة الهنديّة الّتي قد أخطاؤوا في مؤلفها، وإنّي تتبعّت النّسخ في مكتبات إيران، ولقد عثرت –والحمد لله– علي الكثير من نسخها المخطوطة، وقابلتها مع النّسخة المطبوعة. فإذا هي عين النّسخ المخطوطة المكتوب عليها أنّها من تأليفات الصّوفي الشّيعي الشّهير أبي الغنائم عبد الرزّاق الكاشاني.

وإليك ما قاله الأغا بزرج في كتابه حول هذا الكتاب: تأويل الآيات، أو التأويلات، كما هو المشهور، للمولي العارف كمال الدّين أبي الغنائم عبد الرزّاق بن جمال الدّين الكاشاني المتوفّي (730 أو 735 هـ) حُكِيَ عَنِ الشهيدِ الثاني أَنَّهُ لم يكتبْ في معناهُ مثله، ويظهر من نسخة الخزانة الرّضويّة أَنَّ اسمَهُ (تأويلات القرآن) ".

وأَمَّا النّسخ المخطوطة في مكتبات إيران، فهي كما يلي:

1 – مكتبة الملك في طهران، التّأويلات لعبد الرزّاق الكاشيّ برقم 282.

2 – مكتبة آية اللّه كلبايكاني في قُم التّأويلات لعبد الرزّاق الكاشاني برقم 1181، 19 / 182.

3 – المكتبة المركزيّة الرّضويّة في مشهد، التّأويلات لعبد الرزّاق الكاشاني برقم 266، 9436 .

4 – مكتبة آخوند همداني في مدينة همدان، فيها نسختان، النّسخة الأولى برقم 491 والنّسخة الثّانية برقم 919.

ولقد طَبَّقْنَا النّسخ جميعها مع النّسخة المطبوعة في لبنان، فإذا هي واحدة لا فرق فيها أبدًا.

والذي دعاني الي هذا التّحقيق والوصول الي هذه النتيجة هو أنّ التفسير المطبوع فيه أحاديث كثيرة منقولة عن الإمام الصّادق –عليه السّلام–، وفيه تعظيم وتبجيل لأهل البيت ممّا هو غير مألوف عند ابن عربي وإخواننا أهل السنّة.

ولكي يطمئن قلب القارئ إلي هذه النّتيجة نقلت من نسختيْ مكتبه همدان الصّفحات الأولى والأخيرة وأوّل سورة الإسراء وأوّل سورة الجاثية، ومن الكتاب المطبوع نقلت نفس الصّفحات وذلك للتّطبيق من قبَل القارئ؛ فإليك هذه الصفحات راجيًا التّطبيق بينها:

الصّفحة الاولي من النّسخة الموجودة:

في مكتبة آخوند همداني برقم (491)

الصّفحة الثّانية من النّسخة رقم (919)

الصّفحة الأخيرة من النّسخة الموجودة في مكتبة آخوند همداني برقم (919)

الآيات الأولي من سورة الإسراء النّسخة رقم (919)

"الصّفحة الأُولي والثّانية من التّفسير المطبوع ":

بسم اللّه الرّحمنِ الرّحيْم

الحمد للّه الذي جعل مناظم كلامه، مظاهر حسن صفاته، وطوالع صفاته، مطالع نور ذاته؛ صفّي مشارع مسامع قلوب أصفيائه لتحقق السّماع، وروّق موارد مشاعر فهوم أوليائه لتيقن الاطّلاع، ولطف أسرارهم بإشراق أشعّة المحبّة في أرجائها، وشوّق أرواحهم الي شهود جمال وجهه بفنائها، ثم ألقي اليهم الكلام فاستروحوا اليه بكرة وعشيّا، وقرّبهم بذلك منه حتّي خلصوا لديه نجياً، فزكّي بظاهره نفوسهم، فإذا هو ماء لجاج، وروّي بباطنه قلوبهم فإذا هو بحر موّاج، فلمّا أرادوا الغوص ليستخرجوا درر أسراره، طغى الماء عليهم، فغرقوا في تيّاره، لكن أودية الفهوم سالت من فيضه بقدرها، وجداول العقول فاضت من رشحه بنهرها، فأبرزت الأوادي علي السّواحل جواهر ثاقبة ودررًا، وأنبتت الجداول علي الشّواطئ زواهر ناضرة وثمرًا، فأخذت القلوب عند مفيض مدّها واقفة علي حدّها، تملأ الحجور والاردان عاجزة عن عدّها، وطفقت النّفوس في اجتناء الثّمار والأنوار شاكرة بوجدها قاضية بها الأوطار.

وأمّا الأسرار، فإذا قرع سمعها قوارع الآيات، تطلعت، فاطلعت منها علي طلائع الصفات ، فتحيرت في حسنها إذ رأتها ، و طاشت و دهشت عند تجلياتها، وتلاشت حتي اذا بلغ الروح منها التراقي، طلع من ورائها جمال طلعة وجهه الباقي، و حكم الشهود عليها بنفي الوجود ، وألزمها الإقرار، فسبحان من لا إله الاّ هو الواحد القهار، سبحان من يتجلي في كلامه، بحلل صفات جلاله و جماله، علي عباده في صورة بهاء ذاته و كماله، والصلاة

علي الشجرة المباركة التي أنطقها بهذا الكلام، و جعلها مورده و مصدره، منها و لها واليها و عليها السلام، و علي آله الذين هم مخزن علمه و كتابه العزيز، وأصحابه الذين أصبح الدين بهم في حرز حريز.

وبعد، فاني طالما تعهدت تلاوة القرآن، وتدبرت معانيه بقوة الايمان، و كنت مع المواظبة علي الأوراد حرج الصدر قلق الفؤاد، لا ينشرح بها قلبي ولا يصرفني عنها ربي، حتي استأنست بها فألفتها، و ذقت حلاوة كأسها و شربتها، فإذا أنا بها نشيط النفس، فلج الصدر، متسع البال، منبسط القلب، فسيح السر، طيب الوقت والحال ، مسرور الروح بذلك الفتوح، كأنه دائماً في غبوق و صبوح، تنكشف لي تحت كل آية من المعاني ما يكلّ بوصفه لساني، لا القدرة تفي بضبطها واحصائها، ولا القوة تصبر عن نشرها وافشائها، فتذكرت خبر من أتي، ما ازدهاني، مما وراء المقاصد والأماني، قول النبيّ الأُميّ الصادق عليه أفضل الصلوات من كل صامت و ناطق :

"ما نزل من القرآن آية إلا ولها ظهر و بطن، و لكل حرف حدّ، ولكل حد مطاع، و فهمت منه أن الظهر هو التفسير، والبطن هو التأويل، والحد ما يتناهي اليه الفهوم من معني الكلام ، والمطلع ما يصعد اليه منه فيطلع، علي شهود الملك العلام، و قد نقل عن الامام المحقّ السابق جعفر بن محمد الصادق (عليه‌السلام)، أنه قال :

»لقد تجلي اللّه لعباده في كلامه و لكن لا تبصرون. «

و روي عنه (عليه السلام) أنه خرّ مغشياً عليه و هو في الصلاة، فسئل عن ذلك، فقال :

»ما زلت أردّد الآية حتي سمعتها من المتكلم بها، فرأيت ان أعلق قوله : «من الجنة والناس» بيان للذي يوسوس. فإن الموسوس من الشياطين جنسان : جني غير محسوس، كالوهم. وأنسي محسوس كالمضلين من أفراد الانسان . أما في صورة الهادي كقوله تعالي :

»انكم كنتم تأتوننا عن اليمين»، وأما في صورة غيره من صور الاسماء . فلا يتم ايضاً الاستعاذة منه إلا باللّه، واللّه العاصم.

)تم المجلد الثاني والاخير من التفسير (

)بفضل اللّه سبحانه و تعالي ورضوانه (

في ربيع الثاني 1388 هجرية

الموافق شهر تموز 1968 ميلادية

سورةُ الإسرَاء

بِسمِ اللّهِ الرحمن الرّحيمِ

»سُبْحَانَ الَّذي أَسْرَي بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَي الْمَسْجِدِ الْأَقصَي الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ الْسَّمِيعُ الْبَصِيرُ.«

»سبحان الّذي أسري» أي، أنزهه عن اللواحق المادية، والنقائص التشبيهية بلسان حال التجرد والكمال في مقام العبودية، الذي لا تصرّف فيه أصلاً، «ليلاً» أي، في ظلمة الغواشي البدنية، والتعلقات الطبيعية ، لأن العروج والترقي لا يكون إلا بواسطة البدن « مِنَ المَسجدِ الحرامِ » أي ، من مقام القلب المحرّم عن أن يطوف به مشرك القوي البدنية، و يرتكب فيه فواحشها وخطاياها، ويحجّه غويّ القوي الحيوانية من البهيمية والسبعية، المنكشفة سوأتا إفراطها ونفريطها، لعروها عن لباس الفضيلة «الي المسجدِ «... فبعد هذا التطبيق علينا ان نقّدم ترجمة للعارف الشّهير عبد الرزّاق الكاشاني بدلاً من ابن عربي.

الف . حياته وآثاره

.1ترجمته هو المولي كمال الدّين أبو الغنائم عبد الرزّاق بن جمال الدّين الكاشاني تُوفي سنة « تُوفي سنة (735 ه)، تضاربت الآراء في حياته و شخصيته ، فيقول حاجي خليفة، «تأويلات القرآن ، المعروف بتأويلات الكاشاني تفسير بالتاويل علي اصطلاح التصوف الي سورة (ص)، للشيخ كمال الدين ... الكاشي السمرقندي المتوفي سنة (887 ه) أوّله

»الحمد للّه الّذي حعل مناظم كلامه مظاهر صفاته ...الخ.«

ويقول صاحب اعيان الشيعة ، «تُوفي سنة (730ه) له شرح منازل السائرين للخواجه عبد اللّه الانصاري ، والتأويلات و النصوص و له اصطلاحات الصوفيّة كتبه بعد الشرح المذكور مطبوع و له لطائف الالهام و له تفسير القرآن الموسوم بتأويلات القرآن أو تاويلات الآيات موجودة في الخزانة الرضوية و له شرح فصوص‌الحكم لمحّي الدين بن عربي ، وعدّه القاضي نوراللّه في مجالس المؤمنين من الشيعة لأجل بعض كلماته.«

ولقد اختلط اسمه في كتب التراجم الشهيرة مع عبد الرزاق السمرقندي الذي توفي سنة (887 ه) و هو مؤلف كتاب (مطلع السعدين) كما حصل لحاجي خليفة في كشف

الظنون ، و مع الامير عبد الرزاق الكاشاني الذي هو من اعلام القرن الحادي عشر الهجري كما حصل لصاحب «رياض العلماء.«

.2تأليفاتُهُ

يقول صاحب (ريحانة الأدب) بعد أَنْ أَثني عليه وعدّه من مشاهير العرفاء و صوفيّة الشيعة أَنّه قد أَلفَّ من الكتب ما يلي:

.1اصطلاحات الصوفيّة ، أوّله ، (الحمدُ للّه الّذي نجّانا من مباحث العلوم الرسمية بالمنّ والافضال).

.2تاويل الآيات أو تاويلات القرآن وهو تفسير للقرآن علي طريق التأويلات المصطلحة عند الصوفية.

.3تحفة الاخوان في خصائص الفتيان.

.4شرح فصوص الحكم لمحي الدين ابن عربي.

.5شرح منازل السائرين للخواجه عبد اللّه الأَنصاري . طبع في طهران.

.6القضاء و القدر.

.7لطائف الاعلام.

و لمْ نجد في كتب التراجم اسماء اساتذته و تلامذته.

ب . دراسة تفسيره

1. التفسير في كلمات

ليس هذا التفسير كباقي التفاسير، فلا يوجد فيه ما يوجد في غيره من التفاسير كاللغة والاعراب والقراءة و سائر علوم القرآن المصطلحة بين المفسرين، بل هذا التفسير يقتصر علي بيان تأويل الآيات و باطنها بطريقة صوفيّة و تارة يستند الي بعض الأحاديث الشيعيّة كما يقول في مقدّمته »و قد نَقَلَ عن الامام المحقّ السابق جعفر بن محمد الصادق (عليه‌السلام) ، انّه قال:)لقد تجلّي اللّه لعباده في كلامه و لكن لا تبصرون .(و روي عَنْهُ (عليه‌السلام) »انّه خرّ مغشيّاً عليه وهو في الصلاة.«...

وامّا أسلوبه و منهجه في التفسير، فيقول المؤلّف في مقدّمة التفسير »فشرعت في تسويد هذه الاوراق، بما عسي يسمح به الخاطر، علي سبيل الاتفّاق، غير حائم بقعة التفسير، ولا خائض في لجّة من المطالعات ما لا يسعه التقرير، مراعياً لنظم الكتاب و ترتيبه،

غير معيد لما تكرر منه أو تشابه في أساليبه، وكلّ ما لا يقبل التاويل عندي أو لا يحتاج اليه، فما أوردته أصلاً ، و لا أزعم انّي بلغت الحدّ فيما أوردته.«...

و المفسر هذا يدين بوحدة الوجود، وانّي لا أراه يبتعد كلّ البعد عن ظاهر الآية حيث لا تري له أي صلة نقلية أو عقلية بين الآية و تأويله فنراه في آيات صوم شهر رمضان يقول :

»شهر رمضان، أي احتراق النفس بنور الحق (الذي أنزل فيه) في ذلك الوقت (القرآن)، أي العلم الجامع الاجمالي المسميّ بالعقل القرآني، الموصل الي مقام الجمع، هداية للناس الي الوحدة باعتبار الجمع ، (وبينات من الهدي) ، و دلائل متصلة من الجمع والفرق ، أي العلم التفصيلي المسميّ بالعقل الفرقاني¨، ...(ومن كان مريضاً) اي مبتلي بامراض قلبه من الحجب النفسانية المانعة من ذلك الشهود. «

واليك تأويله في بعض الآيات ليظهر من خلاله بعض عقائده.

2. القصص القرآنية

القصص القرآنية عند المفسّر هذا، هو كما عند سائر الصّوفيّة ترمز من خلال ظاهرها وألفاظها الي معاني و مصاديق روحية واننّا لنشاهد التشابه في تاويل قصص القرآن في هذا التفسير و تفسير بيان السعادة لمقامات العبادة و في التفاسير الصوفية الأُخري بحيث يمكننا أَنْ نحكم بانهّم قد نقلوا بعضهم عن بعض، فمثلاً في قصة موسي و العبد الصالح، ما موسي إلاّ القلب، و فتاه الذي كان معه فهو النفس و مجمع البحرين هو ملتقي العالمين، عالم الروح ، و عالم الجسم ، والعبد الصالح يمثل العقل القدسي، وأهل القرية هم القوي البدنية، والغلام هو النفس الامارة، والجدار هو النفس المطمئنة، واليك نموذج من قوله في هذا المجال . فهو يقول:

»اما السفينة فكانت لمساكين في بحر الهيولي، أي، القوي البدنيّة من الحواس الظاهرة ، والقوي الطبيعيّة النباتيّة، وانّما سمّاها مساكين لدوام سكونها ، وملازمتها لتراب البدن ، وضعفها عن ممانعة القلب في السلوك والاستيلاء عليه كسائر القوي الحيوانية...(فاردت ان اعيبها) بالرياضة لئلا ياخذها ملك النفس الامأرة غصباً.«....

و قد تأثر المفسرّ في تأويلاته لقصص القرآن الّتي تدور حول الرسل والانبياء و قصصهم بكتاب ابن عربي الشهير (فصوص الحكم) و لربمّا كان لهذا التأثر سهماً في شرحه لكتاب (فصوص الحكم) ، وامّا في قصة اصحاب الكهف، فالكهف هو البدن، والنوم هو نوم الغفلة و البعث هو التنبّه عن نوم الغفلة بقيامهم من مرقد البدن و معرفتهم باللّه، و بنفوسهم المجرّدة، و هنا في هذه القصة أري ما يدلّ علي انّ المفسرّ شيعي حيث يتكلم عن المهدي (عليهالسلام) الامام الغائب عن الشيعة ، فيقول:

»فانّ الناس مختلفون في زمان الغيبة، يقول بعضهم يخرج احدهم علي رأس كلّ الف سنة...و يقول بعضهم، علي كلّ سبعمائة عام، أو علي رأس كلّ مائة... والمحققون المصيبون هم الذين يكلون علمه الي اللّه، كالَّذين قالوا، (رَبُّكُم أعْلَمُ بِما لَبِثْتُم)و لهذا لم يعيّن رسول اللّه (صلي‌اللّه‌عليه‌وآله) وقت ظهور المهدي (عليه‌السلام)، وقال (كذّب الوقّاتون).« هكذا نري المفسّر يرمز الي كلّ نبي بانّه قوة من القوي الباطنية فيعقوب (عليه‌السلام) هو العقل، و يوسف (عليه‌السلام) هو القلب ، نوح هو الروح والناس و القوم هم القوي الجسميةَ وقِسْ عَلَي هذا من التأويلات التي ينكرها أهلُ الظاهر كُلَّ الانكار.

3. تفسيره لآية (الرحمن علي العرش استوي)

بما أَنَّ المفسرّيُدِيْنُ بوحدةِ الوجودِ فلذلك يذكر في هذه الآية بأَنَّ اللّه قد تجلّي بجميع صفاته علي قلب الرسول (صلي‌اللّه‌عليه‌وآله) و صار النبي (صلي‌اللّه‌عليه‌وآله) خليفة اللّه بل الانسان الكامل الذي هو مظهر الذات فيقول :

»(الرحمن) اي، ربّك الجليل ، والمحتجب بحجب المخلوقات لجلاله ، هو الجميل المتجلّي بجمال رحمته علي الكلّ ، اذ لا يخلو شيء من الرحمة الرحمانيّه ، والاّ لم يوجد، ولهذا اختص الرحمن به دون الرحيم ، لامتناع عموم الفيض للكلّ إلاّ منه فكما استوي علي عرش وجود الكلّ بظهور الصفة الرحمانيّة فيه و ظهور أثرها، أي، الفيض العامّ منه الي جميع الموجودات ، فهكذا استوي علي عرش قلبك ، بظهور جميع صفاته فيه ، ووصول اثرها منه الي جميع الخلائق، فصرت رحمة للعالمين ، و صارت نبّوتك عامّة خاتمّة، فمعني الاستواء، ظهوره فيه سويّا تامّاً.«...

4. تأويله لآية النسخ «ما نَنْسِخُ مِنْ آيَةٍ اَو نُنْسِها نَاْتِ بِخَيْرٍ مِنْها...»

يقول :

»اعلم انّ الاحكام المثبتة في اللوح المحفوظ، امّا مخصوصة، وامّا عامّة ، والمخصوصة امّا أَنْ تختصّ الأشخاص وامّا تختص بحسب الازمنة، فاذا انزلت بقلب الرسول فالتي تختص بالاشخاص تبقي بقاء الاشخاص، والتي تختصّ بالأزمنة تنسخ و تزول بانقراض تلك الازمنة، قصيرة كانت كمنسوخات القرآن، أو طويلة كاحكام الشرائع المتقّدمة ، ولا ينافي ذلك ثبوتها في اللوح، اذ كانت فيه كذلك، والعامّة تبقي ما بقي الدهر كتكلّم الانسان واستواء قامته مثلاً.« فمن كان غير ذي خبرة بسيرة هؤلاء القوم العلمية و طالع مثل هذه التأويلات، سيحكم بكفرهم و خروجهم عن الدين، والحال انّهم يقرّون فعلاً في سلوكهم العملي بجميع آيات الاحكام الاّ انّهم كما نري قائلون ببطون و تأويلات لذلك الظاهر، وهذه التأويلات هي فقط في النظر دون

العمل، فهم يصلّون كما تصلي الامّة ويصومون كما تصوم الامّة بل و يتهجّدون بالنوافل و لكن بمعرفة تفترق مع معرفة الغير.

پاورقيها:

.1ابن عربي (محي الدين)، تفسير القرآن ط 2 . طهران : ناصر خسرو ، 1988 م / 1404هـ .

.1الكاشاني (أبو الغنائم كمال الدين عبد الرزاق)، تفسير القرآن الكريم، 1036، مكتبة آخوند في مدينة همدان ، برقم 919 ، وأُخري برقم 491 .

.2الأفندي (ميرزا عبد الله) رياض العلماء ، ط 1. قم : الخيام ، 1982م / 1401هـ .

.3الأمين (آية اللّه سيد محسن) أعيان الشيعة ط 1 ، . بيروت : دار التعارف ، 1986م / 1406هـ .

.4حاجي خليفة (مصطفي بن عبد الله) كشف الظنون ط 1. . بيروت : دار الفكر، 8219م / 1402هـ .

.5الطهراني (آغا بزرگ) الذريعة الي تصانيف الشيعة ط 3 بيروت : دار الاضواء، 1983م /1403 هـ .

.6المدرس (ميرزا محمد علي) ريحانة الادب ط 3 . طهران : خيام ، 1991م / 1407هـ .

حقيقة التفسير المنسوب لابن عربي:

هذا التفسير الذي ينسب إلى أبي بكر محي الدين محمد بن علي بن أحمد بن عبد الله الحاتمي الطائي الأندلسي المعروف بابن عربي، وبعض الناس يصدق نسبته إليه ويعتقد أنه من عمل ابن عربي نفسه وبعض آخر لا يصدق هذه النسبة ويرى أنه من عمل عبد الرازق القاشاني، وتنما نسب إلى ابن عربي ترويجا له، نظرا لشهرة ابن عربي، وممن يرى هذا الرأي الأخير الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده عليه رحمة الله، فقد نقل عنه تلميذه المرحوم الشيخ محمد رشيد رضا في مقدمة تفسيره أنه قال بعد ما تكلم عن التفسير الإشاري: "وقد اشتبه على الناس فيه كلام الباطنية بكلام الصوفية، ومن ذلك التفسير الذي ينسبونه للشيخ الأكبر محي الدين بن عربي، وإنما هو القاشاني الباطني الشهير، وفيه من النزعات ما يتبرأ عنه دين الله وكتابه العزيز، تفسير المنار ج1 ص 18.

وما قاله الأستاذ الإمام من أن الكتاب من عمل القاشاني لا من عمل ابن عربي صواب أرتضيه وأؤيده بما يلي:

أولا: أن جميع النسخ الخطية لهذا التفسير منسوبة للقاشاني، والاعتماد على النسخ المخطوطة أقوى لأنها الأصل الذي أخذت عنه النسخ المطبوعة.

ثانيا: قال في كشف الظنون: "تأويلات القرآن المعروف بتأويلات القاشاني، وهو تفسير بالتأويل على اصطلاح أهل التصوف إلى سورة "ص" للشيخ كمال الدين أبي الغنائم عبد الرازق جمال الدين الكاشي السمرقندي المتوفى سنة 730هـ أوله: "الحمد لله الذي جعل مناظم كلامه مظاهر حسن صفاته ...الخ ". وقد رجعت إلى مقدمة التفسير المنسوب لابن عربي في النسخ المطبوعة قديما وفي أجزاء النسخة التي طبعت أخيرا، فوجدت أولها هذه العبارة المذكورة بنصها.

ثالثا: في تفسير سورة القصص من هذا الكتاب عند قوله تعالى: {وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ } ...الآية يقول: "وقد سمعت شيخنا نور الدين عبد الصمد، قدس روحه العزيز في شهود الوحدة ومقام الفناء عن أبيه أنه.. الخ "1 ونور الدين هذا هون ور الدين عبد الصمد بن على النطنزي الأصفهاني، المتوفى في أواخر القرن السابع الهجري وكان شيخا لعبد الرزاق القاشاني المتوفى سنة 730 هـ كما يستفاد ذلك من كتاب نفحات الأنس في مناقب الأولياء ص 534-5372. وغير معقول أن يكون نور الدين عبد الصمد النطنزي المتوفى في أواخر القرن السابع الهجري شيخا لابن عربي المتوفى سنة 638هـ.

لهذا كله أقرر أن هذا التفسير ليس لابن عربي، وإنما هو لعبد الرزاق القاشاني الباطني، كما يقول الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده عليه رحمة الله، أو الصوفي المتطرف الغامض كما أباه من خلال هذا التفسير.!!

وابن عربي- في رأيي ورأي الكثير من العلماء: صوفي لا يقل في تطرفه وغموضه عن القاشاني وقد بلغ من أمر تطرفه وغموضه حدا جعل بعض العلماء يرمونه بالكفر والزندقة، وذلك لما كان يدين به من القول بوحدة الوجود ولما كان يصدر عنه من المقالات الموهمة التي تحمل في ظاهرها كل معاني الكفر والزندقة وبين يدي كثير من النصوص الشاهدة على ذلك، نقلتها من مؤلفاته وأهمها "الفتوحات المكية" ومن الناقمين على ابن عربي: الحافظ الذهبي، وابن تيمية، ولقد بلغ من عداوة بعض الناس لابن عربي، أنهم حاولوا اغتياله بمصر.

وبعض الناس يحسن الظن بابن عربي، ومن هؤلاء الإمام السيوطي، ولكنه إذ يزكيه ويعتقد ولايته، يحرم النظر في كتبه وذلك حيث يقول فما كتابه "تنبيه الغبي على تنزيه ابن عربي" ما نصه:

"والقول الفصل في ابن عربي اعتقاد ولايته، وتحريم النظر في كتبه، وذلك لأن الصوفية تواضعوا على ألفاظ اصطلحوا عليها، وأرادوا بها معاني غير المعاني المتعارفة فمن حمل ألفاظهم على معانيها المتعارفة بين أهل العلم الظاهر كفر."

وقال الحافظ الذهبي في ابن عربي: "وله توسع في الكلام وذكاء وقوة خاطر، وحافظة وتدقيق في التصوف وتآليفه جمة في العرفان، ولولا شطحه في الكلام لم يكن به بأس."

ومهما يكن من شيء فابن عربي والقاشاني كلاهما معقد في أفكاره، موهم في ألفاظه وتعابيره، مشكل أكثر ما يقول..

وسواء أكان التفسير الذي نحن بصدده لابن عربي أم كان للقاشاني، فإن مؤلفه قد جمع فيه بين التفسير الصوفي النظري وبين التفسير الإشاري أو الباطني، ولم يتعرض فيه للكلام عن التفسير الظاهر بحال من الأحوال، وقد التزم هو في مقدمة تفسيره بالاكتفاء بالتفسير الباطني دون التعرض للتفسير الظاهر فقال: "فرأيت أن أعلق على بعض ما سنح لي في الأوقات من أسرار حقائق البطون وأنوار شوارق المطلعات، دون ما يتعلق بالظواهر والحدود فإنه قد عين لها حد محدود" اهـ. ج1 ص 4، 5، من المطبوع أخيرا.

وما في الكتاب من التفسير الصوفي النظري، فغالبه يقوم على مذهب وحدة الوجود، ذلك المذهب الذي كان له أثر سيء في تفسير القرآن الكريم.

وأما ما فيه من التفسير الإشاري، فكثير منه لا نفهم له معنى، ولا نجد له من سياق الآية أو لفظها ما يدل عليه، ولو أن مؤلف هذا التفسير كان واضحا في كلامه أو جمع بين التفسير الظاهر والباطن لهان الأمر إلى حد ما، ولكنه لم يفعل شيئا من ذلك، مما جعل الكتاب مغلقا، وموهما لمن يقرؤه أن هذا مراد الله من كلامه.

والكتاب في جملته إن لم يكن تفسيرا باطنيا. فهو أشبه ما يكون به، من ناحية ما فيه من تفسيرات تقوم على نظرية وحدة الوجود، وما فيه من المعاني الإشارية البعيدة، ثم هو بعد ذلك يورد أحاديث لا أصل لها، وفيما يلي نماذج من هذا التفسير تكشف عما فيه من زيغ وفساد:

"أ" من الأحاديث التي لا أصل لها:

قال عند شرحه للبسملة ما نصه:

"سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ألف الباء- من باسم الله الرحمن الرحيم- إلى أين ذهبت؟ قال: "سرقها الشيطان " وأمر- يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم - بتطويل باء "باسم الله" تعويضا عن ألفها، إشارة إلى احتجاب ألوهية الآلهية في صورة الرحمة الإنتشارية، وظهورها في الصورة الإنسانية، بحيث لا يعرفها إلا أهلها" اهـ. ج1 ص 9. من النسخة الحديثة.

"ب" من التفسير الإشاري:

ا- عند تفسيره لقوله تعالى في سورة البقرة: {وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ} الآية. يقول ما نصه: "ولا تأكلوا أموالكم" معارفكم ومعلوماتكم "بينكم " بباطل شهوات النفس ولذاتها، بتحصيل مآربها، واكتساب مقاصدها الحسية والجمالية باستعمالها "وتدلوا بها إلى الحكام " وترسلوا إلى حكام النفوس الأمارة بالسوء "لتأكلوا فريقا من أموال الناس" بالقوى الروحانية "بالإثم" أي بالظلم بصرفكم إياها في ملاذ القوى النفسانية "وأنتم تعلمون" أن ذلك إثم ووضع الشيء في غير موضعه أهـ ج2 ص 117 من النسخة الحديثة.

-2عند تفسيره لقوله تعالى في سورة آل عمران: {فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ..} الآية- قال ما نصه: "فلما أحس عيسى" القلب من القوى النفسانية "الكفر" الاحتجاب والإنكار والمخالفة "قال من أنصاري إلى الله " أي اقتضى من القوى الروحانية نصرته عليهم في التوجه إلى الله "قال الحواريون " أي صفوته وخالصته من الروحانيات المذكورة "نحن أنصار الله آمنا بالله " أي بالاستدلال والتنور بنور الروح "واشهد بأنا مسلمون " مذعنون منقادون "اهـ ج 3 ص 189 من النسخة الحديثة.

"ج" من التفسير المبني على وحدة الوجود:

ا- عند تفسيره لقوله تعالى في سورة آل عمران {رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} قال ما نصه: "ربنا ما خلقت هذا الخلق باطلا"، أي شيئا غيرك، فإن غير الحق هو الباطل، بل جعلته أسماءك ومظاهر صفاتك "سبحانك " ننزهك أن يوجد غيرك، أي يقارن شيء فردانيتك، أو يثني وحدانيتك" اهـ. ج1 ص ا 14 من النسخة الأميرية."

-2وعند تفسيره لقوله تعالى في سورة الواقعة: {نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلا تُصَدِّقُونَ} أو يقول ما نصه: "نحن خلقناكم بأظهاركم بوجودنا وظهورنا في ظهوركم "أهـ ج2 ص ا 29 من النسخة الأميرية."

-3وعند تفسيره لقوله تعالى في سورة الحديد: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ} يقول ما نصه: "وهو معكم أينما كنتم بوجودكم به، وظهوره في مظاهركم " أهـ ج2 ص 294 من النسخة الأميرية."

-4وعند تفسيره لقوله تعالى في سورة المزمل: {وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً} قال ما نصه: "واذكر اسم ربك " الذي هو أنت، أي اعرف نفسك واذكرها ولا تنسها فينسك الله، واجتهد لتحصيل كمالها بعد معرفة حقيقتها "رب المشرق والمغرب " أي الذي ظهر عليك نوره فطلع من أفق وجودك بإيجادك، والمغرب الذي اختفى بوجودك وغرب نوره فيك واحتجب لك "اهـ ج2 ص 352 من النسخة الأميرية."

1تفسير ابن عربي ج2 ص116 ط: الأميرية سنة 1283 هـ أما النسخة المطبوعة أخيرا فلم تصل- في الطبع- إلى هذا الحد.

2هذا الكتاب باللغة التركية، وقد رجعت إليه- من زمن- بمعرفة المرحوم الشيخ زاهد الكوثري وكيل المشيخة العثمانية بدار الخلافة سابقا.

عبد الرزّاق الكاشاني

كتاب التّأويلات

أو

تأويل الآيات

الجزء الأوّل

مقدّمة المؤلّف

مقدّمة المؤلّف

فاتحة الكتاب

بسم الله الرّحمن الرّحيم

فاتحة الكتاب

تفسير آية الفاتحة (1)[1]

اسم الشّيء: ما يُعرَف به، فأسماء الله -تعالى- هي الصّور النّوعيّة التي تدلّ بخصائصها وهويّاتها على صفات الله وذاته، وبوجودها على وجهه، وبتعيّنها على وحدته، إذ هي ظواهره التي بها يعرف.

و﴿**اللَّهِ**﴾[2] اسم للذّات الإلهيّة من حيث هي هي على الإطلاق، لا باعتبار اتّصافها بالصّفات، ولا باعتبار لا اتّصافها.

و﴿**الرَّحْمَٰنِ**﴾[3] هو المفيض للوجود والكمال على الكلّ بحسب ما تقتضي الحكمة وتحتمل القوابل على وجه البداية.

و﴿**الرَّحِيمِ**﴾[4] هو المفيض للكمال المعنوي المخصوص بالنّوع الإنساني بحسب النّهاية.

ولهذا قيل: يا رحمن الدّنيا والآخرة، ورحيم الآخرة.

فمعناه بالصّورة الإنسانيّة الكاملة الجامعة الرّحمة العامّة والخاصّة، التي هي مظهر الذّات الإلهي والحقّ الأعظمي مع جميع الصّفات ابدأ واقرأ، وهي الاسم الأعظم.

وإلى هذا المعنى أشار النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- بقوله: «أوتيت جوامع الكلم، وبعثت لأتمّم مكارم الأخلاق»، إذ الكلمات حقائق الموجودات وأعيانها، كما سمّي عيسى -عليه السّلام- كلمة من الله، ومكارم الأخلاق كمالاتها وخواصّها التي هي مصادر أفعالها جميعها محصورة في الكون الجامع الإنساني.

---

[1] ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾.

[2] **سورة الفَاتِحَة، الآية 1**.

[3] **سورة الفَاتِحَة، الآية 1**.

[4] **سورة الفَاتِحَة، الآية 1**.

وههنا لطيفة، وهي أنّ الأنبياء -عليهم السّلام- وضعوا حروف التّهجّي بإزاء مراتب الموجودات.

وقد وجدت في كلام عيسى -عليه السّلام- وأمير المؤمنين عليّ -رضي الله عنه-[1] وبعض الصّحابة ما يشير إلى ذلك.

ولهذا قيل: ظهرت الموجودات من باء بسم الله، إذ هي الحرف الذي يلي الألف الموضوعة بإزاء ذات الله.

فهي إشارة إلى العقل الأوّل الذي هو أوّل ما خلق الله المخاطب بقوله -تعالى-: «ما خلقت خلقًا أحبّ إليّ ولا أكرم علي منك؛ بك أعطي، وبك آخذ، وبك أثيب، وبك أعاقب...» الحديث.

والحروف الملفوظة لهذه الكلمة ثمانية عشر، والمكتوبة تسعة عشر. وإذا انفصلت الكلمات انفصلت الحروف إلى اثنين وعشرين.

فالثّمانية عشر إشارة إلى العوالم المعبّر عنها بثمانية عشر ألف عالم، إذ الألف هو العدد التّامّ المشتمل على باقي مراتب الأعداد، فهو أمّ المراتب الذي لا عدد فوقه، فعبّر بها عن أمّهات العوالم التي هي عالم الجبروت، وعالم الملكوت، والعرش، والكرسي، والسّموات السّبع، والعناصر الأربعة، والمواليد الثّلاثة التي ينفصل كلّ واحد منها إلى جزئيّاته.

والتّسعة عشر إشارة إليها مع العالم الإنساني، فإنّه، وإن كان داخلاً في عالم الحيوان، إلاّ أنّه باعتبار شرفه وجامعيّته للكلّ وحصره للوجود عالم آخر له شأن وجنس برأسه له برهان، كجبريل من بين الملائكة في قوله -تعالى-: ﴿وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ﴾[2].

والألفات الثّلاثة المحتجبة التي هي تتمّة الاثنين والعشرين عند الانفصال إشارة إلى العالم الإلهي الحقّ، باعتبار الذّات، والصّفات، والأفعال.

فهي ثلاثة عوالم عند التّفصيل، وعالم واحد عند التّحقيق، والثّلاثة المكتوبة إشارة إلى ظهور تلك العوالم على المظهر الأعظمي الإنساني، والاحتجاب العالم الإلهي.

---

[1] **هو عليّ بن أبي طالب، واسم أبي طالب: عبد المناف بن عبد المطّلب. ويُكنى عليّ أبا الحسن. وأمّه فاطمة بنت أسد بن هامش بن عبد مناف بن قصيّ. وكان له من الولد الحسن والحسين وزينب الكبرى وأمّ كلثوم الكبرى. وأمّهم فاطمة بنت الرّسول. لمّا قُتل عثمان بويع لعليّ بن أبي طالب بالمدينة يوم الجمعة 13 ذي الحجّة من سنة 35 هـ. توفّي مقتولاً بالكوفة في شعبان سنة 38 هـ.**

حول ترجمته راجع: *تاريخ الخلفاء* للسّيوطي، ص185 إلى ص211.

[2] **سورة البقرة، الآية 98.**

حين سئل رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- عن ألف الباء من أين ذهبت؟ قال -صلّى الله عليه وسلّم-: «سرقها الشّيطان». وأمر بتطويل باء بسم الله تعويضًا عن ألفها إشارة إلى احتجاب ألوهيّة الإلهيّة في صورة الرّحمة الانتشاريّة وظهورها في الصّورة الإنسانيّة بحيث لا يعرفها إلاّ أهلها، ولهذا نكرت في الوضع.

وقد ورد في الحديث: «إنّ الله -تعالى- خلق آدم على صورته»، فالذّات محجوبة بالصّفات، والصّفات بالأفعال، والأفعال بالأكوان والآثار، فمَن تجلّت عليه الأفعال بارتفاع حجب الأكوان توكل، ومن تجلّت عليه الصّفات بارتفاع حجب الأفعال رضي وسلّم.

ومَن تجلّت عليه الذّات بانكشاف حجب الصّفات ففي في الوحدة، فصار موحّدًا مطلقًا فاعلاً ما فعل وقارئًا ما قرأ ﴿**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ**﴾[1]، فتوحيد الأفعال مقدم على توحيد الصّفات، وهو على توحيد الذّات وإلى الثّلاثة أشار -صلّى الله عليه وسلّم- في سجوده بقوله: «أعوذ بعفوك من عقابك، وأعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بك منك».

[آية 2 - 5][2]

﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[3] إلى آخر السّورة، الحمد بالفعل ولسان الحال هو ظهور الكمالات وحصول الغايات من الأشياء، إذ هي أثنية فاتحة ومدح رائعة لموليها بما يستحقّه. فالموجودات كلّها بخصوصيّاتها وخواصّها، وتوجّهها إلى غاياتها، وإخراج كمالاتها من حيّز القوّة إلى الفعل، مسبّحة، حامدة، كما قال -تعالى-: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[4]، فتسبيحها إيّاه تنزيهه عن الشّريك وصفات النّقص والعجز باستنادها إليه وحده، ودلالتها على وحدانيّته وقدرته، وتحميدها إظهار كمالاتها المترتّبة، ومظهريّتها لتلك الصّفات الجلاليّة والجماليّة.

وخصّ بذاته بحسب مبدئيّته للكلّ، وحافظيّته ومدبريّته له التي هي معنى الرّبوبيّة للعالمين، أي لكلّ ما هو علم لله يعلم به كالخاتم لما يختم به، والقالب لما يقلب فيه، وجمع جمع السّلامة

---

[1] **سورة الفَاتِحَة، الآية 1.**

[2] **﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.**

[3] **سورة الفَاتِحَة، الآية 2.**

[4] **سورة الإسراء، الآية 44.**

لاشتماله على معنى العلم أو للتّغليب، وبإزاء إفاضة الخير العامّ والخاصّ، أي النّعمة الظّاهرة كالصحّة والرزق، والباطنة كالمعرفة والعلم.

وباعتبار منتهائيته التي هي معنى مالكيّة الأشياء في يوم الدّين، إذ لا يجزي في الحقيقة إلاّ المعبود الذي ينتهي إليه الملك وقت الجزاء بإثابة النّعمة الباقية عن الفانية عند التّجرّد عنها بالزّهد وتجلّيات الأفعال عند انسلاخ العبد عن أفعاله، وتعويض صفاته عند المحو عن صفاته وإبقائه بذاته، وهبته له الوجود الحقّاني عند فنائه، فله –تعالى– مطلق الحمد وماهيّته أزلاً وأبدًا على حسب استحقاقه إيّاه بذاته باعتبار البداية والنّهاية وما بينهما في مقام الجمع على ألسنة التّفاصيل، فهو الحامد والمحمود تفصيلاً وجمعًا، والعابد والمعبود مبدأ ومنتهى.

ولما تجلّى في كلامه لعباده بصفاته شاهدوه بعظمته وبهائه، وكمال قدرته وجلاله، فخاطبوه قولاً وفعلاً بتخصيص العبادة به، وطلب المعونة منه، إذ ما رأوا معبودًا غيره، ولا حول ولا قوّة لأحد إلاّ به.

فلو حضروا، لكانت حركاتهم وسكناتهم كلّها عبادة له وبه، فكانوا على صلاتهم دائمين داعين بلسان المحبّة، لمشاهدتهم جماله من كلّ وجه على كلّ وجه.

[آية 6 - 7][1]

﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾[2]، أي: ثبّتنا على الهداية ومكّنّا بالاستقامة في طريق الوحدة التي هي طريق المنعم عليهم بالنّعمة الخاصّة الرّحيميّة التي هي المعرفة والمحبّة والهداية الحقّانيّة الذّاتيّة من النبيّين والشّهداء والصدّيقين والأولياء، الذين شاهدوه أوّلاً وآخرًا وظاهرًا وباطنًا، فغابوا في شهودهم طلعة وجهه الباقي عن وجود الظلّ الفاني.

﴿**غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ**﴾[3] الذين وقفوا مع الظّواهر، واحتجبوا بالنّعمة الرّحمانيّة، والنّعيم الجسماني، والذّوق الحسّي عن الحقائق الرّوحانيّة، والنّعيم القلبي، والذّوق العقلي كاليهود[4]، إذ

---

[1] ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ**﴾.

[2] **سورة الفَاتِحَة، الآية 6.**

[3] **سورة الفَاتِحَة، الآية 7.**

[4] **يقول الشّهرستاني في كتاب *الملل والنّحل* (ج2/ص210 إلى ص219): "هاد الرّجل: أي رجع وتاب. وإنّما لزمهم هذا الاسم لقول موسى –عليه السّلام–: "إنّا هدنا إليك": أي رجعنا وتضرّعنا. وهم أمّة موسى –عليه السّلام– وكتابهم التّوراة، وهو أوّل كتاب نزل من السّماء... واليهود تدّعي أنّ الشّريعة لا**

كانت دعوتهم إلى الظّواهر والجنان والحور والقصور، فغضب عليهم، لأنّ الغضب يستلزم الطّرد والبعد والوقوف مع الظّواهر التي هي الحجب الظّلمانيّة غاية البعد.

﴿**وَلَا الضَّالِّينَ**﴾[1] الذين وقفوا مع البواطن التي هي الحجب النّورانيّة، واحتجبوا بالنّعمة الرّحيميّة عن الرّحمانيّة، وغفلوا عن ظاهرية الحقّ، وضلّوا عن سواء السّبيل، فحرموا شهود جمال المحبوب في الكلّ، كالنّصارى[2]، إذ كانت دعوتهم إلى البواطن وأنوار عالم القدّوس ودعوة المحمّديّين الموحّدين إلى الكلّ، والجمع بين محبّة جمال الذّات، وحسن الصّفات، كما ورد في القرآن الكريم: ﴿۞ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾[3]، ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾[4]، ﴿۞ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ﴾[5].

تكون إلاّ واحدة، وهي ابتدأت بموسى –عليه السّلام– وتمّت به، فلم تكن قبله شريعة إلاّ حدود عقليّة وأحكام مصلحيّة... ومسائلهم تدور على جواز النّسخ ومنعه، وعلى التّشبيه ونفيه، والقول بالقدر والجبر، وتجويز الرّجعة واستحالتها... وأشهر فرق اليهود هي: العنانيّة، العيسويّة، المقاربة واليوذعانيّة، السّامرة".

[1] سورة الفَاتِحَة، الآية 7.

[2] المعهود في عصرنا استعمال لفظ: مسيحيّ. ولكنّ النّصوص القرآنيّة والحديثة لا تذكر غير لفظ: نصرانيّ، نصارى. وقد اختُلف كثيرا في معرفة إذا كانت مشتقّة أو منقولة عن صفة أو معربّة. فأرجعها البعض إلى "ناصريّ" نسبة إلى ناصرة، أو إلى "أنصاري"، باعتبار أنّ الحواريّين أنصار الله كما جاء في القرآن الكريم، وأرجعها آخرون –كالزّمخشري– إلى نصران ونصرانة، بمعنى أنّهم نصروا المسيح. وفي *موسوعة الدّين والأخلاق* (ج3/ص574) لفظة "نصرانيّة" و"نصارى" تطلق في العربيّة على أتباع المسيح. يرى بعض المستشرقين أنّها من أصل سريانيّ هو: نصرويو Nosroyo ونصرايا Nasraya. ويرى البعض الآخر أنّها من Nazarenes التّسمية العبرانيّة التي أطلقها اليهود على من اتّبع ديانة المسيح.

انظر: *تفسير الرّازي*، ج3/ص105؛ *المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام* لجواد علي، ج6/ص586؛ *القاموس الإسلامي* لهيوقس، ص431؛ *الموسوعة المختصرة للإسلام* بإشراف هـ. جب، ص440 إلى ص444.

[3] سورة آل عمران، الآية 133.

[4] سورة الحديد، الآية 28.

[5] سورة النّساء الآية 36.

فأجابوا الدّعوات الثّلاث، كما جاء في حقّهم: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ﴾[1]، ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾[2]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾[3].

فأثيبوا بالجميع على ما أخبر الله –تعالى–: ﴿جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾[4]، ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ﴾[5]، ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ۚ﴾[6]، ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ﴾[7].

---

[1] سورة الإسراء، الآية 57.

[2] سورة التّحريم، الآية 8.

[3] سورة فصّلت، الآية 30.

[4] سورة البيّنة، الآية 8.

[5] سورة الحديد، الآية 19.

[6] سورة البقرة، الآية 115.

[7] سورة يونس، الآية 26.

سورة البقرة

سورة البَقَرة

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[تفسير آية البَقَرَة 1][1]

﴿**الم * ذَٰلِكَ الْكِتَابُ**﴾[2] أشار بهذه الحروف الثّلاثة إلى كلّ الوجود من حيث هو كلّ، لأنّ (أ) إشارة إلى ذات الذي هو أوّل الوجود على ما مرّ.

و(ل) إلى العقل الفعال المسمّى جبريل، وهو أوسط الوجود الذي يستفيض من المبدأ ويفيض إلى المنتهى.

و(م) إلى محمّد الذي هو آخر الوجود تتمّ به دائرته وتتّصل بأوّلها، ولهذا ختم وقال: "إنّ الزّمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السّموات والأرض".

وعن بعض السّلف أنّ (ل) ركبت من ألفيْن، أي: وضعت بإزاء الذّات مع صفة العلم اللّذين هما عالمان من العوالم الثّلاثة الإلهيّة التي أشرنا إليها، فهو اسم من الأسماء الله -تعالى-، إذ كلّ اسم هو عبارة عن الذّات مع صفة ما.

وأمّا (م) فهي إشارة إلى الذّات مع جميع الصّفات والأفعال التي احتجبت بها في الصّورة المحمّديّة التي هي اسم الله الأعظم، بحيث لا يعرفها إلاّ مَن يعرفها.

ألا تدري أنّ (م) التي هي صورة الذّات كيف احتجب فيها، فإنّ الميم فيها الياء، وفي الياء ألف؟

والسرّ في وضع حروف التّهجّي هو أن لا حرف إلاّ وفيه ألف، ويقرب من هذا قول مَن قال: معناه القسم بالله العليم الحكيم، إذ جبريل مظهر العلم، فهو اسمه العليم؛ ومحمّد مظهر الحكمة، فهو اسمه الحكيم.

---

[1] ﴿**الم**﴾.

[2] **سورة البَقَرَة، الآيتان 1-2.**

ومن هذا ظهر معنى قول مَن قال تحت كلّ اسم من أسماءه –تعالى– أسماء بغير نهاية. والعلم لا يتمّ ولا يكمل إلاّ إذا قرن بالفعل في عالم الحكمة الذي هو عالم الأسباب والمسبّبات، فيصير حكمة.

ومن ثمّ لا يحصل الإسلام بمجرّد قول: "لا إله إلاّ الله"، إلاّ إذا قرن بـ"محمّد رسول الله".

فمعنى الآية: ﴿**الم * ذَٰلِكَ الْكِتَابُ**﴾[1] الموعود، أي صورة الكلّ المومى إليها بكتاب الجفر والجامعة المشتملة على كلّ شيء، الموعود بأنّه يكون مع المهدي في آخر الزّمان لا يقرأه، كما هو بالحقيقة إلاّ هو، والجفر لوح القضاء الذي هو عقل الكلّ والجامعة لوح القدر الذي هو نفس الكلّ، فمعنى كتاب الجفر والجامعة المحتويان على كلّ ما كان ويكون، كقولك سورة ﴿البقرة﴾ وسورة ﴿النّمل﴾.

[آية 2][2]

﴿**لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ**﴾[3] عند التّحقيق بأنّه الحقّ، وعلى تقدير القول معناه بالحقّ الذي هو الكلّ من حيث هو كلّ، لأنّه مبيّن لذلك الكتاب الموعود على ألسنة الأنبياء وفي كتبهم بأنّه سيأتي، كما قال عيسى –عليه السّلام–: "نحن نأتيكم بالتّنزيل، وأمّا التّأويل فسيأتي به المهدي في آخر الزّمان".

وحذف جواب القسم لدلالة ذلك الكتاب عليه، كما حذف في غير موضع من القرآن، مثل ﴿والشمس﴾[4] ﴿والنازعات﴾[5] وغير ذلك، أي إنّا منزّلون لذلك الكتاب الموعود في التّوراة والإنجيل بأن يكون مع محمّد حذف لدلالة قوله: ﴿**ذَٰلِكَ الْكِتَابُ**﴾[6] عليه، أي ذلك الكتاب المعلوم في العلم السّابق، الموعود في التّوراة والإنجيل حقّ بحيث لا مجال للرّيب فيه.

---

[1] **سورة البَقَرَة، الآيتان 1–2.**

[2] ﴿**ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ**﴾.

[3] **سورة البَقَرَة، الآية 2.**

[4] **سورة ، الآية .**

[5] **سورة ، الآية .**

[6] **سورة البَقَرَة، الآية 2.**

﴿**هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ**﴾[1]، أي هدى في نفسه للّذين يتّقون الرّذائل والحجب المانعة لقبول الحقّ فيه.

واعلم أنّ النّاس بحسب العاقبة سبعة أصناف، لأنّهم إمّا سعداء، وإمّا أشقياء.

قال الله –تعالى–: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾[2]، والأشقياء أصحاب الشّمال، والسّعداء إمّا أصحاب اليمين، وإمّا السّابقون المقرّبون، قال الله –تعالى–: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾[3].

وأصحاب الشّمال إمّا المطرودون الذين حقّ عليهم القول، وهم أهل الظّلمة والحجاب الكلّي المختوم على قلوبهم أزلاً، كما قال –تعالى–: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ﴾[4] إلى آخر الآية.

وفي الحديث الربّاني: «هؤلاء خلقتهم للنّار ولا أبالي».

وأمّا المنافقون الذين كانوا مستعدّين في الأصل، قابلين للتّنوّر بحسب الفطرة والنّشأة، ولكن احتجبت قلوبهم بالرّين المستفاد من اكتساب الرّذائل وارتكاب المعاصي، ومباشرة الأعمال البهيميّة والسّبعيّة، ومزاولة المكائد الشّيطانيّة، حتّى رسخت الهيئات الفاسقة والملكات المظلمة في نفوسهم، وارتكمت على أفئدتهم، فبقوا شاكّين حيارى تائهين، قد حبطت أعمالهم، وانتكست رؤوسهم فهم أشدّ عذابًا وأسوأ حالاً من الفريق الأوّل لمنافاة مسكة استعدادهم لحالهم.

والفريقان هم أهل الدّنيا وأصحاب اليمين.

أمّا أهل الفضل والثّواب، الذين آمنوا وعملوا الصّالحات للجنّة راجين لها، راضين بها، فوجدوا ما عملوا حاضرًا على تفاوت درجاتهم، ولكلّ درجات ممّا عملوا.

ومنهم أهل الرّحمة الباقون على سلامة نفوسهم، وصفاء قلوبهم، المتبوّئون درجات الجنّة على حسب استعداداتهم من فضل ربّهم، لا على حسب كمالاتهم من ميراث عملهم.

وأمّا أهل العفو الذين خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيّئًا، وهم قسمان المعفو عنهم رأسًا لقوّة اعتقادهم، وعدم رسوخ سيّئاتهم لقلة مزاولتهم إيّاها، أو لمكان توبتهم عنها.

فأولئك يبدّل الله سيّئاتهم حسنات، والمعذّبون حينًا بحسب ما رسخ فيهم من المعاصي، حتّى خلصوا عن دون ما كسبوا فنجوا، وهم أهل العدل والعقاب؛ والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيّئات ما كسبوا، لكنّ الرّحمة تتداركهم وثلاثتهم أهل الآخرة.

---

[1] **سورة ، الآية 2.**

[2] **سورة هود، الآية 105.**

[3] **سورة الواقعة، الآية 7.**

[4] **سورة الأعراف، الآية، 179.**

والسّابقون إمّا محبّون، وإمّا محبوبون.

فالمحبّون هم الذين جاهدوا في الله حقّ جهاده، وأنابوا إليه حقّ إنابته، فهداهم سبله.

والمحبوبون هم أهل العناية الأزليّة الذين اجتباهم وهداهم إلى صراط مستقيم.

والصّنفان هما أهل الله، فالقرآن ليس هدى للفريق الأوّل من الأشقياء لامتناع قبولهم للهداية لعدم استعدادهم، ولا للثّاني لزوال استعدادهم ومسخهم وطمسهم بالكلّية بفساد اعتقادهم، فهم أهل الخلود في النّار إلاّ ما شاء الله.

فبقي هدى للخمسة الأخيرة الذين يشملهم المتّقون، والمحبوب يحتاج إلى هداية الكتاب بعد الجذب والوصول لسلوكه في الله، لقوله -تعالى- لحبيبه: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۖ﴾[1]، وقوله: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ﴾[2].

والمحبّ يحتاج إليه قبل الوصول والجذب وبعده لسلوكه إلى الله وفي الله.

فعلى هذا، المتّقون في هذا الموضع هم المستعدّون الذين بقوا على فطرتهم الأصليّة، واجتنبوا رين الشّرك والشكّ لصفاء قلوبهم وزكاء نفوسهم، وبقاء نورهم الفطري، فلم ينقضوا عهد الله.

وهذه التّقوى مقدّمة على الإيمان، ولها مراتب أخرى متأخّرة عنه، كما سيأتي إن شاء الله.

[آية 3 - 5][3]

﴿**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ**﴾[4]، أي بما غاب عنهم الإيمان التّقليدي، أو التّحقيقي العلمي، فإنّ الإيمان قسمان: تقليدي، وتحقيقي.

والتّحقيقي قسمان: استدلالي وكشفي، وكلاهما إمّا واقف على حدّ العلم والغيب، وإمّا غير واقف.

والأوّل هو الإيقان المسمّى علم اليقين.

---

[1] **سورة الفرقان، الآية 32.**

[2] **سورة هود، الآية 120.**

[3] **﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾**

[4] **سورة البَقَرَة، الآية 3.**

والثّاني إمّا عيني، وهو المشاهدة المسمّى عين اليقين، وإمّا حقّي، وهو الشّهود الذّاتي المسمّى حقّ اليقين. والقسمان الأخيران لا يدخلان تحت الإيمان بالغيب.

والإيمان بالغيب يستلزم الأعمال القلبيّة التي هي التّزكية، وهي تطهير القلب عن الميل إلى السّعادات البدنيّة الخارجيّة، الشّاغلة عن إحراز السّعادة الباقية.

فإنّ السّعادات ثلاث: قلبيّة، وبدنيّة، وما حول البدن.

فالقلبيّة هي المعارف، والحكم، والكمالات العلميّة والعمليّة الخلقيّة.

والبدنيّة هي الصّحّة والقوّة واللذّات الجسمانيّة والشّهوات الطّبيعيّة.

وما حول البدن هي الأموال والأسباب، كما قال أمير المؤمنين –رضي الله عنه–: "ألا وإنّ من النّعم سعة المال، وأفضل من سعة المال صحّة الجسد، وتقوى القلب".

ويجب الاحتراز عن الأوليّين لإحراز الأخيرة المطلوبة بالزّهد والعبادة. فإقامة الصّلاة ترك الرّاحات البدنيّة وإتعاب الآلات الجسديّة، وهي أمّ العبادات التي إذا وجدت لم يتأخّر عنها البواقي: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۗ﴾[1]، إذ هي تحامل على البدن والنّفس، ومشقّة فادحة عليهما، والإنّفاق المال هو الإعراض عن السّعادة الخارجيّة المحبوبة إلى النّفس المسمّى بالزّهد، فإنّ الإنفاق ربّما كان أشدّ عليها من بذل الرّوح للزوم الشحّ إيّاها، ولم يكتف بالقدر الواجب، فقال: ﴿**وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**﴾[2] ليعتاد القلب ترك الفضول الماليّة بالجود والسّخاء وبذل المال، في وجوه المروات، والهبات، والصّدقات الغير الواجبة، فيوقي شحّ نفسه، وخصّص الإنفاق بالبعض بإيراد من التّبعيضيّة لئلاّ يقع في رذيلة التّبذير ببذل القدر الضّروري، فيحرم فضيلة الجود الذي هو من باب التّخلّق بأخلاق الله.

﴿**وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ**﴾[3]، أي: الإيمان التّحقيقي الشّامل للأقسام الثّلاثة المستلزم للأعمال القلبيّة التي هي التّحلية، وهي تفرّس القلب بالحكم والمعارف المنزّلة في الكتب الإلهيّة والعلوم المتعلّقة بأحوال المعاد، وأمور الآخرة، وحقائق علم القدس.

---

[1] **سورة العنكبوت، الآية 45.**

[2] **سورة البَقَرَة، الآية 3.**

[3] **سورة البَقَرَة، الآية 4.**

ولهذا قال: ﴿**وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**﴾[1]، وأهل الآخرة الذين ما جاوزوا حد التّزكية، ولم يصلوا إلى التّحليلة التي هي ميراثها، لقوله -عليه الصّلاة والسّلام-: «مَن عمل بما علم ورثة الله علم ما لم يعلم».

وأهل الله الموقنون الجامعون لها كلّهم على هدى من ربّهم إمّا إليه، وإمّا إلى داره، دار السّلامة والفضل والثّواب واللّطف، وهم أهل الفلاح لا غير، إمّا من العقاب، وإمّا من الحجاب.

ولهذا قال: ﴿**أُولَٰئِكَ**﴾[2]، أي الموصوفون بهذه الصّفات المذكورة من التّزكية والتّحلية. ﴿**عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[3] لأجلها.

فعلى هذا الذين يؤمنون مبتدأ، والذين يؤمنون الثّاني معطوف عليه، وأولئك خبره؛ ولو جعل صفة للمتّقين، لكان المراد بهم الكاملين في التّقوى بعد الهداية.

وكان مجازًا من باب تسمية الشّيء بما سيؤول إليه.

[آية 6 - 9][4]

﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾[5] إلى قوله: ﴿**عَظِيمٌ**﴾[6] هم الفريق الأوّل من الأشقياء الذين هم أهل القهر الإلهي لا ينجح فيهم الإنذار ولا سبيل إلى خلاصهم من النّار، أولئك حقّت عليهم كلمة ربّك أنّهم لا يؤمنون، وكذلك حقّت كلمة ربّك على الذين كفروا أنّهم أصحاب النّار، سدّت عليهم الطرق، وأغلقت عليهم الأبواب، إذ القلب هو المشعر الإلهي الذي هو محلّ الإلهام، فحجبوا عنه بختمه؛ والسّمع والبصر هما المشعران الأنسيان، أي الظّاهران اللّذان هما بابا الفهم والاعتبار؛ فحرموا عن جدواهما، لامتناع نفوذ المعنى فيهما إلى القلب، فلا سبيل لهم في الباطن إلى

---

[1] سورة البَقَرَة، الآية 4.

[2] سورة البَقَرَة، الآية 5.

[3] سورة البَقَرَة، الآية 5.

[4] ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ**﴾.

[5] سورة البَقَرَة، الآية 6.

[6] سورة البَقَرَة، الآية 7.

العلم الذّوقي الكشفي ولا في الظّاهر إلى العلم التّعلّمي والكسبي، فحسبوا في سجون الظّلمات، فما أعظم عذابهم.

﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا**﴾[1] هم الفريق الثّاني من الأشقياء، سلب عنهم الإيمان مع ادّعائهم له بقولهم: ﴿**آمَنَّا بِاللَّهِ**﴾[2]، لأنّ محلّ الإيمان هو القلب لا اللّسان.

﴿۞ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ۖ﴾[3].

ومعنى قولهم: ﴿**آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ**﴾[4] ادّعاء علمي التّوحيد والمعاد اللّذين هما أصل الدّين وأساسه، أي لسنا من المشركين المحجوبين عن الحقّ، ولا من أهل الكتاب المحجوزين عن الدّين والمعاد، لأنّ اعتقاد أهل الكتاب في باب المعاد ليس مطابقًا للحقّ.

واعلم أنّ الكفر هو الاحتجاب، والحجاب إمّا عن الحقّ، كما للمشركين، وإمّا عن الدّين، كما لأهل الكتاب. والمحجوب عن الحقّ محجوب عن الدّين الذي هو طريق الوصول إليه ضرورة. وأمّا المحجوب عن الدّين، فقد لا يحجب عن الحق، فهؤلاء ادّعوا رفع الحجابين معًا، فكذبوا بسلب الإيمان عن ذواتهم، أي ليسوا بمؤمنين ما داموا إيّاهم يخادعون.

المخادعة استعمال الخدع من الجانبيْن، وهو إظهار الخير واستبطان الشرّ. ومخادعة الله مخادعة رسوله –صلّى الله عليه وسلّم– لقوله: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۖ﴾[5]، وقوله –تعالى–: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ۚ﴾[6]، ولأنّه حبيبه.

وقد ورد في الحديث: «لا يزال العبد يتقرّب إليّ بالنّوافل حتّى أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي به يسمع، وبصره الذي به يبصر، ولسانه الذي به يتكلم، ويده التي بها يبطش، ورجله التي بها يمشي»، فخداعهم لله وللمؤمنين إظهار الإيمان والمحبّة، واستبطان الكفر والعداوة، وخداع الله والمؤمنين إيّاهم مسالمتهم وإجراء أحكام الإسلام عليهم بحقن الدّماء وحصن الأموال وغير ذلك، وادّخار العذاب الأليم والمآل الوخيم، وسوء المغبة لهم وخزيهم في الدّنيا، لافتضاحهم بإخباره –تعالى– وبالوحي عن حالهم، لكنّ الفرق بين الخدّاعين أنّ خداعهم لا ينجح إلاّ في أنفسهم

---

[1] **سورة البَقَرَة، الآية 8.**

[2] **سورة البَقَرَة، الآية 8.**

[3] **سورة الحجرات، الآية 14.**

[4] **سورة البَقَرَة، الآية 8.**

[5] **سورة النّساء، الآية 180.**

[6] **سورة الأنفال الآية 17.**

بإهلاكها وتحسيرها وإيراثها الوبال والنّكال بازدياد الظّلمة والكفر والنّفاق واجتماع أسباب الهلكة والبعد والشّقاء عليها، وخداع الله يؤثر فيهم أبلغ تأثير ويوبقهم أشد إيباق، كقوله -تعالى-: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[1]، وهم من غاية تعمقهم في جهلهم لا يحسون بذلك الأمر الظّاهر.

[آية 10 - 11][2]

﴿**فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ**﴾[3]، أي شكّ ونفاق تنكير المرض.

وإيراد الجملة الظّرفيّة إشارة إلى عروض المرض واستقراره ورسوخه فيها، كما أشرنا إليه في التّقسيم، وإلاّ لقال قلوبهم مرضى أو موتى.

﴿**فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا** ۖ﴾[4]، أي آخر حقدًا وحسدًا وغلاً بإعلاء كلمة الدّين، ونصرة الرّسول والمؤمنين، والرّذائل كلّها أمراض القلوب، لأنّها أسباب ضعفها وآفتها في أفعالها الخاصّة، وهلاكها في العاقبة.

وفرق بين العذابين بالألم للمنافقين، والعظم للكافرين، لأنّ عذاب المطرودين في الأزل أعظم، فلا يجدون شدّة ألمه لعدم صفاء إدراك قلوبهم، كحال العضو الميّت، أو المفلوج والخدل بالنّسبة إلى ما يجري عليه من القطع والكيّ وغير ذلك من الآلام.

وأمّا المنافقون، فلثبوت استعدادهم في الأصل وبقاء إدراكهم يجدون شدّة الألم، فلا جرم كان عذابهم مؤلما مسبّبًا عن المرض العارض المزمن الذي هو الكذب ولواحقه.

وإذا نهوا عن الإفساد في الأرض، أي في الجهة السّفليّة التي هي النّفوس وما يتعلّق بها من المصالح بتكدير النّفوس، وتهييج الفتن والحروب، والعداوة والبغضاء بين النّاس، أنكروا وبالغوا في إثبات الإصلاح لأنفسهم، إذ يرون الصّلاح في تحصيل المعاش وتيسير أسبابه، وتنظيم أمور الدّنيا لأنفسهم خاصّة، لتوغّلهم في محبّة الدّنيا وانهماكم في اللذّات البدنيّة، واحتجابهم بالمنافع الجزئيّة،

---

[1] **سورة آل عمران، الآية 54.**

[2] **﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾.**

[3] **سورة البَقَرَة، الآية 10.**

[4] **سورة البَقَرَة، الآية 10.**

والملاذّ الحسّية عن المصالح العامّة الكلّية، واللذّات العقليّة، وبذلك يتيسّر مرادهم، ويتسهّل مطلوبهم وهم لا يحسّون بإفسادهم المدرك بالحسّ.

وإذا دعوا إلى الإيمان الحقيقي، كإيمان فقراء المسلمين والصّعاليك المجرّدين، سفّهوهم لمكان تركهم لحطام الدّنيا وإعراضهم عن متاعها ولذّاتها وطيباتها، لزهدهم الحقيقي؛ إذ قصارى همومهم، وقصوى مقاصد عقولهم الأسيرة في قيد الهوى المشوبة بالوهم، المؤدّية لهم إلى الرّدى هي تلك اللذّات يعلمون ظاهرًا من الحياة الدّنيا، وهم عن الآخرة هم غافلون، ولا يعلمون أنّ غاية السفه هو اختيار الفاني الأخسّ على الباقي الأشرف.

وفرق بين الفاضلتين بالشّعور والعلم، لأنّ تأثير خداعهم في أنفسهم وإفسادهم في الأرض أمر بين كالمحسوس.

وأمّا ترجيح نعيم الآخرة على نعيم الدّنيا المستلزم للفرق بين السّفه والحكمة، فأمر استدلالي عقلي صرف.

[آية 12 - 14][1]

﴿**وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾[2] حكاية لنفاقهم اللاّزم لحصول استعدادين فيهم الفطري النّوري، الضّعيف المغلوب، القريب من الانطفاء، الذي ناسبوا به المؤمنين، والكسبي الظّلماني القوي الغالب الذي تألفوا به الكفّار، إذ لو لم يكن فيهم أدنى نور لم يقدروا على مخالطة المؤمنين ومصاحبتهم أصلاً كغيرهم من الكفّار، لتنافي الضّروري بين النّور والظّلمة من جميع الوجوه.

والشّيطان فيعال من الشّطون، الذي هو البعد، وشياطينهم المتعمّقون في البعد، وهم المطرودون، ورؤساهم البالغون في النّفاق واستهزاؤهم بالمؤمنين يدلّ على ضعف جهة النّور وقوّة جهة الظّلمة فيهم، إذ المستخفّ بالشّيء هو الذي يجد ذلك الشيء في نفسه خفيفًا، قليل الوزن والقدر؛ فهم يستخفّون النّورانيّين لخفّة النّور عندهم، إذ بالنّور يعرف قدر النّور، وبرجحان الظّلمة فيهم أووا إلى الكفّار وألفوهم.

---

[1] ﴿**أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ * وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ**﴾.

[2] **سورة البَقَرَة، الآية 14**.

[آية 15 - 16][1]

﴿**اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ**﴾[2]، أي: يستخفّهم، لأنّ الجهة التي هم بها ناسبوا الحضرة الإلهيّة فيهم خفيفة، ضعيفة؛ فبقدر ما فنيت فيهم الجهة الإلهيّة ثبتوا عند أنفسهم، كما أنّ المؤمنين بقدر ما فنيت فيهم أينيتهم النّفسانيّة وجدوا عند الله؛ شتّان بين المرتبتيْن!

﴿**وَيَمُدُّهُمْ**﴾[3] في ظلماتهم البهيميّة والسّبعيّة التي هي الصّفات الشّيطانيّة والنّفسانيّة بتهيئة موادّها وأسبابها التي هي مشتهياتهم ومستلذّاتهم وأموالهم ومعايشهم من الدّنيا التي اختاروها بهواهم في حالة كونهم متحيّرين.

﴿**فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾[4] والعمه عمى القلب.

وطغيانهم: التّعدّي عن حدّهم الذي كان ينبغي أن يكونوا عليه، وذلك الحدّ هو الصّدر، أي وجه القلب الذي يلي النّفس، كما أنّ الفؤاد وجهه الذي يلي الرّوح، فإنّه متوسّط بينهما ذو وجهيْن إليهما.

والوقوف على ذلك الحدّ هو التّعبّد بأوامر الله –تعالى– ونواهيه، مع التّوجّه إليه طلبًا للتّنوّر، ليستنير ذلك الوجه فتتنوّر به النّفس، كما أنّ الوقوف على الحدّ الآخر هو تلقّي المعارف والعلوم والحقائق والحكم والشّرائع الإلهيّة لينتقش بها الصّدر، فتتزيّن به النّفس.

فالطّغيان هو الانهماك في الصّفات النّفسانيّة البهيميّة والسّبعيّة والشّيطانيّة واستيلاؤها على القلب ليسود ويعمى، فتتكدّر الرّوح.

﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ**﴾[5]، أي الظّلمة، والاحتجاب عن طريق الحقّ الذي هو الدّين، أو عن الحقّ، فإنّ الضّلالة تنقسم بإزاء الهداية بالنّور الاستعدادي الأصلي.

﴿**فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ**﴾[6]، إذ كان رأس مالهم من عالم النّور والبقاء، ليكتسبوا به ما يجانسه من النّور الفيضي الكمالي بالعلوم والأعمال والحكم والمعارف والأخلاق والملكات

---

[1] ﴿**اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ**﴾.

[2] **سورة البَقَرَة، الآية 15.**

[3] **سورة البَقَرَة، الآية 15.**

[4] **سورة البَقَرَة، الآية 15.**

[5] **سورة البَقَرَة، الآية 16.**

[6] **سورة البَقَرَة، الآية 16.**

الفاضلة، فيصيرون أغنياء في الحقيقة، مستحقّين للقرب والكرامة والتّعظيم والوجاهة عند الله؛ فما ربحوا بكسبها، وضاعت الهداية الأصليّة التي كانت بضاعتهم ورأس مالهم بإزالة استعدادهم وتكدير قلوبهم بالرّين الموجب للحجاب والحرمان الأبدي، فخسروا بالخسران السّرمدي، أعاذنا الله من ذلك.

[آية 17 - 18][1]

﴿**مَثَلُهُمْ**﴾[2]، أي: صفتهم في النّفاق كصفة المستوْقد للإضاءة الذي إذا أضاءت ما حوله من الأشياء القريبة منه خمدت ناره وبقي متحيّرًا، لأنّ نور استعدادهم بمنزلة النّار الموقدة، وإضاءتها لما حولهم هي اهتداؤهم إلى مصالح معاشهم القريبة منهم دون مصالح المعاد البعيدة بالنّسبة إليهم وصحبة المؤمنين وموافقتهم في الظّاهر، وخمودها سريعًا انطفاء نورهم الاستعدادي وسرعة زوال ما تمتّعوا به من دنياهم ووشك انقضائه.

﴿**ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ**﴾[3] الاستعدادي بإمدادهم في الطّغيان، وخلاهم محجوبين عن التّوفيق في ظلمات صفات النّفس.

﴿**لَّا يُبْصِرُونَ**﴾[4] ببصر القلب، ووجه المخرج ولا ما ينفعهم من المعارف، كمَن تنطفئ ناره وهو في تيه بين أشغال وأسباب.

﴿**صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ**﴾[5] بالحقيقة لاحتجاب قلوبهم عن نور العقل الذي به تسمع الحقّ وتنطق به، وتراه في الظّاهر لعدم فوائدها، لانسداد الطّرق من تلك المشاعر إلى القلب لمكان الحجاب، فلم يصل إليها نور القلب ليحتفظوا بفوائدها ولم ترد مدركاتها على القلب ليفهموا ويعتبروا.

---

[1] ﴿**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ * صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ**﴾.

[2] **سورة البَقَرَة، الآية 17.**

[3] **سورة البَقَرَة، الآية 17.**

[4] **سورة البَقَرَة، الآية 17.**

[5] **سورة البَقَرَة، الآية 18.**

﴿**فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ**﴾[1] إلى الله لوجود السدّين المضروبين على قلوبهم المذكورين في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾[2].

وفائدة التّشبيه تصوير المعقول بصورة المحسوس، ليتمثّل في نفوس العامّة.

ثمّ شبّههم ثانيًا بقوم أصابهم مطر فيه ظلمات ورعد وبرق، فالمطر هو نزول الوحي الإلهي ووصول إمداد الرّحمة إليهم ببركة صحبة المؤمنين، وبقيّة استعدادهم ممّا يفيد قلوبهم أدنى لين، وحصول النّعم الظّاهرة لهم بموافقتهم في الظّاهر.

[آية 19 - 20][3]

والظّلمات هي الصّفات النّفسانيّة، والشّكوك الخياليّة والوهميّة، والوساوس الشّيطانيّة ممّا تحيّرهم وتوحشهم.

والرّعد هو التّهديد الإلهي والوعيد القهري الوارد في القرآن والآيات والآثار المسموعة والمشاهدة ممّا يخوفهم، فيفيد أدنى انكسار لقلوبهم الطّاغية وانهزام لنفوسهم الآبية.

والبرق هو اللّوامع النّوريّة والتّنبهات الرّوحيّة عند سماع الوعد وتذكير الآلاء والنّعماء ممّا يطمعهم ويرجيهم، فيفيدهم أدنى شوق وميل إلى الإجابة.

ومعنى: ﴿**يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۚ**﴾[4]: يتشاغلون عن الفهم بالملاهي والملاعب عن سماع آيات الوعيد، ولكي لا ينجع فيهم، فيقطعهم عن اللذّات الطّبيعيّة بهم الآخرة، إذ الانقطاع عن اللذّات الحسية هو موتهم، والله قادر عليهم، قاطع إيّاهم عن تلك اللذات المألوفة بالموت الطّبيعي، قدرة المحيط بالشّيء الذي لا يفوته منه، فلا فائدة لحذرهم.

---

[1] **سورة البَقَرَة، الآية 18.**

[2] **سورة يس، الآية 9.**

[3] ﴿**أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۚ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ * يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ۖ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾.

[4] **سورة البَقَرَة، الآية 19.**

﴿**يَكَادُ الْبَرْقُ**﴾[1]، أي اللاّمع النّوري؛ ﴿**يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ** ۖ﴾[2]، أي: عقولهم المحجوبة بالنّعاس عن نور الهداية والكشف، إذ العقل بصر القلب؛ ﴿**كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ**﴾[3]، أي: ترقّوا وقربوا من قبول الحقّ والهدى، ﴿**وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا** ۚ﴾[4]، أي: ثبتوا على حيرتهم في ظلمتهم.

﴿**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ** ۚ﴾[5]، لطمس أفهامهم وعقولهم، ومحا نور استعدادهم، كما للفريق الأوّل، فلم يتأثّروا بسماع الوحي أصلاً.

﴿**إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[6] الشّيء الموجود الخارجي الواجب والممكن، والموجود الذّهني الممكن والممتنع، إذ اللاّشيء هو المعدوم الصّرف الذي ليس في الذّهن ولا في الخارج، لكنّ تعلّق القدرة به خصّصه بالممكن وأخرج عنه الواجب والممتنع بدليل العقل.

هذا آخر الكلام في الأصناف السّبعة على سبيل الإجمال، وفصّل بين فريقي الأشقياء وأوجز ذكر الفريق الأوّل وأعرض عنهم، إذ الكلام فيهم لا يجدي. وبالغ في ذكر الفريق الثّاني، وذمّهم، وتعييرهم، وتقبيح صورة حالهم، وتهديدهم، وإبعادهم، وتهجين سيرهم، وعاداتهم لإمكان قبولهم للهداية وزوال مرضهم العارض، واشتعال نور قرائحهم بمدد التّوفيق الإلهي، عسى التّقريع يكسّر أعواد شكائمهم، والتّوبيخ يقلع أصول رذائلهم، فتتزكّى بواطنهم وتتنوّر قلوبهم بنور الإرادة، فيسلكوا طريق الحقّ.

ولعلّ موادعة المؤمنين وملاطفتهم إياهم ومجالستهم معهم، تستميل طباعهم، فتهيّج فيهم محبّة ما، وشوقًا تليّن به قلوبهم إلى ذكر الله، وتنقاد به نفوسهم لأمر الله، فيتوبوا ويصلحوا، كما قال الله –تعالى–: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[7].

---

[1] **سورة البَقَرَة، الآية 20.**

[2] **سورة البَقَرَة، الآية 20.**

[3] **سورة البَقَرَة، الآية 20.**

[4] **سورة البَقَرَة، الآية 20.**

[5] **سورة البَقَرَة، الآية 20.**

[6] **سورة البَقَرَة، الآية 20.**

[7] **سورة النّساء، الآيات 145 – 146.**

[آية 21 - 22][1]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾[2].

ثمّ لمّا فرغ من ذكر السّعداء والأشقياء، دعاهم إلى التّوحيد.

وأوّل مراتب التّوحيد: توحيد الأفعال، فلهذا علّق العبوديّة بالرّبوبيّة، ليستأنسوا برؤية النّعمة، فيحبّوه، كما قال: «خلقت الخلق وتحبّبت إليهم بالنّعم».

فيشكروه بإزائها، إذ العبادة شكر، فلا تكون إلاّ في مقابلة النّعمة، وخصّص ربوبيّته بهم ليخصّوا عبادتهم به، وقصد رفع الحجاب الأوّل من الحجب الثّلاثة التي هي حجب الأفعال والصّفات والذّات، ببيان تجلي الأفعال، لأنّ الخلق في الثّلاثة كلّهم محجوبون عن الحقّ بالكون مطلقًا، فنسب إنشاءهم وإنشاء ما توقّف عليه وجودهم من المبادئ والأسباب والشّرائط، كمَن قبلهم من الآباء والأمّهات، وجعل الأرض فراشًا لهم لتكون مقرّهم ومسكنهم، وجعل السّماء بناء لتظلهم، وأنزل الماء من السّماء، وأخرج النّبات به من الأرض ليكون رزقًا لهم إلى نفسه، لعلّهم يتّقون نسبة الفعل إلى غيره، فيتنزّهون عن الشّرك في الأفعال عند مشاهدة جميعها من الله.

ولهذا ذكر نتيجة هذه المقدّمات بالفاء، فقال: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[3]، ما ذكرنا من المقدّمات، كأنّه قال: هو الذي فعل هذه الأفعال، فلا تحقّ العبادة إلاّ له، ولا تنبغي أن تجعل لغيره، فلا تجعلوا له ندًّا بنسبة الفعل إليه، فيستحقّ أن يعبد عندكم، فتعبدوه مع علمكم بهذا.

فعبادتهم إنّما هي للصّانع، وربّهم هو المتجلّي في صورة الصّنع، إذ كلّ عابد لا يعبد إلاّ ما يعرفه، ولا يعرف الله إلاّ بقدر ما وجد من الألوهيّة في نفسه، وهم ما وجدوا إلاّ الفاعل المختار فعبدوه.

وغاية هذه العبادة الوصول إلى الجنّة التي هي كمال عالم الأفعال، فالله ممد لهم أراضي نفوسهم، وبنى عليها سموات أرواحهم، وأنزل من تلك السّموات ماء علم توحيد الأفعال، فأخرج به من تلك الأرض نبات الاستسلام والأعمال والطّاعات والأخلاق الحسنة ليرزق قلوبهم منها ثمرات الإيقان والأحوال والمقامات، كالصّبر والشّكر والتّوكّل.

ولمّا أثبت التّوحيد، استدلّ على إثبات النّبوّة ليصحّ بها الإسلام، فإنّه لا يصحّ إلاّ بشهادتيْن، لأنّ مجرّد التّوحيد هو الاحتجاب بالجمع عن التّفصيل، وهو محض الجبر المؤدّي إلى الزّندقة والإباحة، ومجرّد إسناد الفعل والقول إلى الرّسول، احتجاب بالتّفضيل عن الجمع الذي هو صرف القدر المؤدّي إلى المجوسيّة[4] والثّنويّة[5]، والإسلام

---

[1] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

[2] سورة البَقَرَة، الآية 21.

[3] سورة البَقَرَة، الآية 22.

[4] في *موسوعة الإسلام المختصرة* (ج /ص298): "اللّفظة مرّت قبل وصولها إلى اللّغة العربيّة بنقل من اللّغة الفارسيّة إلى الآراميّة". واللّفظة وردت في القرآن الكريم في الآية 17 من سورة الحجّ. وفي *تاج العروس* للزّبيدي (ج4/ص245): "المجوسيّة دين قديم، وإنّما زرادشت جدّده وأظهره وزاد فيه، قاله شيخنا، قال: هو معرّب أصله منج كوش معرّب مجوس". ومسائل المجوس، كما يذكر الشّهرستاني في

طريق بينها بالجمع بين قولنا: لا إله إلاّ الله، وبين قولنا: محمّد رسول الله، واعتقاد مظهريّته لأفعاله -تعالى-.

فإنّ أفعال الخلق بالنّسبة إلى أفعال الحقّ، كالجسد بالنّسبة إلى الرّوح، فكما أنّ مصدر الفعل هو الرّوح ولا يتمّ إلاّ بالجسد، فكذلك مبدئ الفعل هو الحقّ ولا يظهر إلاّ بالخلق.

ولا بدّ من الرّسالة، لأنّ الخلق بسبب احتجابهم وبعدهم عن الحقّ لا يمكنهم تلقّي المعارف من ربّهم، فيجب وجود واسطة يجانس بروحه الشّاهدة للحقّ الحضرة الإلهيّة، وبنفسه المخالطة للخلق الرّتبة البشريّة، ليتلقّى قلبه من روحه الكلمات الربّانيّة، ويلقي إلى نفسه القدسيّة، ويقبل منه الخلق برابطة الجنسيّة، فقال:

[آية 23][1]

﴿**وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا**﴾[2]، أي في تنزيلنا على محمّد فتشكّوا في حقّية نبوّته، فروزوا قواكم البشريّة، وأحرزوا عقولكم المحتنكة بالقياس، المحجوبة عن نور الهداية، وأفكاركم الدرية بتركيب الكلام ونظم المعاني، وأنتم ومن حضركم من أبناء جنسكم، هل تقدرون على الإتيان بسورة، أي: طائفة، من الكلام مثله، ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[3] في نسبته إلى محمّد؟

[آية 24][4]

﴿**فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا**﴾[5]، فأذعنوا وأسلموا وآمنوا، واتركوا العناد المفضي بكم إلى النّار.

الملل (ج**1**/ص**232**) **تدور على قاعدتين اثنتين: أوّلهما: بيان سبب امتزاج النّور بالظّلمة؛ وثانيهما: بيان خلاص النّور من الظّلمة. وجعلوا الامتزاج مبدأ والخلاص معادا. وقد قسّمها إلى ثلاث جماعات: الكيومرثيّة: الذين أثبتوا أصلين: يزدان وأهرمن، والأوّل أزليّ والثّاني محدث. والزّروانيّة: قالوا: إنّ الله أبدع أشخاصا من نور كلّها روحانيّة نورانيّة ربّانيّة، ولكنّ الشّخص الأعظم الذي اسمه زروان شكّ في شيء من الأشياء، فحدث أهرمن الشّيطان، يعني إبليس. والزّرادشتيّة.**

[5] **الفرق بين الثّنويّة والمجوس أنّهم –أي الثّنويّة– يقولون بقدم الأصليْن، وأنّ النّور والظّلمة عندهم أزليّان.**

[1] ﴿**وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾.

[2] **سورة البَقَرَة، الآية 23.**

[3] **سورة البَقَرَة، الآية 23.**

[4] ﴿**فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**﴾.

[5] **سورة البَقَرَة، الآية 24.**

فحذف الملزوم الذي هو الإيمان أو الإسلام، وأقام لازمه الذي هو اتّقاء النّار مقامه، ليكون أدلّ على أنّ الإنكار موجب لدخول النّار وحصول العذاب لهم.

وقوله: ﴿**وَلَن تَفْعَلُوا**﴾[1] اعتراض على طريق الإخبار بالغيْب للعلم بامتناع عقول المحجوبين وعن مثله.

والمراد بالنّار: احتراقهم بثورة نفوسهم، وشرر طباعهم المصروفة عن الرّوح القدسي الرّوحاني، والنّسيم الذّوقي الرّحماني، المحرومة عن لذّة برد اليقين، وسلامة دار القرار المقطوعة بالمألوفات الحسّيّة، واللذّات البدنيّة الممنوعة، بما خبريت به وألفته مع بقاء حنينها إليه وولهها، ورسوخ هيئات التّعلّق بالأمور السّفليّة، ومحبّة الأجساد الأرضيّة فيها التي هي سبب استيقاد نيرانها.

ولهذا قال: ﴿**وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ**﴾[2]، أي الأمور الجاسية، السّفلية، الصّامتة، التي تعلّقوا بها بالمحبّة، فرسخت صورها في أنفسهم، وسجنت نفوسهم بميلهم إليها، كما قال رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-: «المرء يحشر مع مَن أحبّ حتّى لو أحبّ أحدكم حجرًا حشر معه».

وكيف لا، وقد ركّزت صورته في نفسه بالمحبّة، بحيث صار صورة قلبه صورته؟!

واعلم أنّ حرارة النّار تابعة لصورتها النّوعيّة التي هي روحانيّتها وملكوتها، وإلاّ ساوت سائر الأجسام في خواصّها، وتلك الرّوحانيّة شرّ من نار، قهر الله المعنويّة بعد تنزّلها في مراتب كثيرة، كتنزّلها في مرتبة النّفس بثورة الغضب، إذ ربّما تؤثر ثورة الغضب في إحراق الأخلاق ما لا تؤثّر النّار في الحطب.

ومن هذا يعلم أنّ كلّ مسخّن لا يجب أن يكون حارًّا.

وإذا كانت النّار الجسمانيّة أثرًا للنّار الرّوحانيّة، فلا جرم أنّ إيلامها أشدّ وأدوم من إيلام هذه النّار، كيف وكلّ قوة جسمانية متناهية دون القوى الرّوحانيّة؟!

ولهذا المعنى يقال إنّ نار جهنّم غسلت بالماء سبعين مرّة، ثمّ أنزلت إلى الدّنيا ليمكن الانتفاع بها، ﴿**أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**﴾[3] المحجوبين عن الدّين لانقطاعهم دون مرادهم.

---

[1] **سورة البَقَرَة، الآية 24.**

[2] **سورة البَقَرَة، الآية 24.**

[3] **سورة البَقَرَة، الآية 24.**

[آية 25 – 26][1]

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[2] بالصّانع وعملوا ما يصلحهم للجنّة بمقتضى علمهم بتوحيد الأفعال أنّ لهم مراداتهم ومشتهياتهم فوق ما تصوّروا وتمنّوا، التّنكير الجنّات، والجنّات الجارية من تحتها الأنهار أبهى وأطيب ما يكون من مقام، وألذّ وأحلى ما يكون من مرام لأهل الدّنيا، فهي لنفوسهم من جنس جنّات الدّنيا، وأصفى منها بحسب المعاد الجسماني، فإنّه حقّ كما ستعلم.

﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ﴾[3] في الدّنيا، فإنّها مألوفهم، ﴿وَأُتُوا﴾[4] بالرّزق ﴿مُتَشَابِهًا ۖ﴾[5]، ولقلوبهم هي مقاماتهم، كالتّوكّل مثلاً، وروضات عالم القدّوس التي تنشأ من كلّ مرتبة منها أنهار علوم تنفع السّالكين، وتنفع علّة المتعطّشين المشتاقين.

والثّمرات هي الحكم والمعارف.

وقولهم: ﴿هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ﴾[6] إشارة إلى أنّ تلك العلوم والحكم كانت ثابتة للقلب حالة التّجرّد، فاحتجبت عنها بالتّوغّل في الأمور الطّبيعيّة عند التّعليق فنسيتها، ثمّ تذكّرت حين تجرّدت عن ملابسها، لقوله –صلّى الله عليه وسلّم–: «الحكمة ضالّة المؤمن».

والأزواج لنفوسهم الحور العين المطهّرة عن الطّمث والفواحش، ولقلوبهم النّفوس القدسيّة المطهرة عن دنس الطّبائع وكدر العناصر، ولا جنّة لأرواحهم لاحتجابهم عن المشاهدة.

---

[1] ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * ۝ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾.

[2] سورة البَقَرَة، الآية 25.

[3] سورة البَقَرَة، الآية 25.

[4] سورة البَقَرَة، الآية 25.

[5] سورة البَقَرَة، الآية 25.

[6] سورة البَقَرَة، الآية 25.

﴿۞ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي﴾[1] لا يمتنّه المستحيي ﴿أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ﴾[2]، إذ الكافر عنده أحقر من بعوضة، والدّنيا من جناحها، كما نطق به الحديث: «أنّه الحقّ من ربّهم»، لمناسبة الممثّل به الممثّل له، ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾[3] الذين خرجوا من مقام القلب إلى مقام النّفس، ومن طاعة الرّحمن إلى طاعة الشّيطان.

وهم الفريق الثّاني من الأشقياء لا الفريق الأوّل، فإنّهم ضالّون في نفس الأمر على أيّ حال كان لا به ولا بسبب آخر.

وإضلالهم به مسبّب عن فسقهم في الحقيقة، إذ ترتيب الحكم على الوصف يشعر بالعلية، وهي زيادة عنادهم وإنكارهم وحقدهم وغلبة صفات نفوسهم على قلوبهم بورود القرآن، فيزيدهم بعدًا وظلمة على ظلمة.

[آية 27][4]

﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾[5] هو الذي أشار إليه في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ﴾[6].

وقد ورد في الحديث: «أنّ الله -تعالى- مسح ظهر آدم بيده وأخرج ذرّيته منه كهيئة الذرّ».... الحديث.

فيد الله هو العقل الأقداس، والرّوح الأوّل الذي هو روح العالم المسمّى يمين الرّحمن، وآدم هو النّفس النّاطقة الكلّية التي هي قلب العالم.

ومسحه ظهره تأثير العقل فيها وتنويره إيّاها بنوره بالاتّصال الرّوحاني، وإخراج ذرّيته منه إيجاد النّفوس الشّخصيّة الجزئيّة التي كانت فيها بالقوّة، وإخراجها إلى الفعل.

---

[1] سورة البَقَرَة، الآية 26.

[2] سورة البَقَرَة، الآية 26.

[3] سورة البَقَرَة، الآية 26.

[4] ﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

[5] سورة البَقَرَة، الآية 27.

[6] سورة الأعراف، الآية 172.

وعهد الله إليهم بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ﴾[1] إيداع علم التّوحيد في ذواتهم وميثاق ذلك العهد ركّز أدلّة التّوحيد في عقولهم وإلزام ذلك العلم إيّاهم وجعله من اللّوازم الذّاتيّة لهم، بحيث إذا تجرّدوا عن الصّفات النّفسانيّة والغواشي الجسمانيّة تبيّن لهم ذلك، وانكشف عليهم أظهر شيء وأبيّنه، وهو إشهادهم على أنفسهم، لكون ذلك العلم ضروريًّا حينئذ.

وإجابتهم لذلك بقولهم: ﴿بَلَىٰ ۛ﴾[2] قبولهم الذّاتي له، ونقض ذلك العهد انهماكهم في اللذّات البدنيّة والغواشي الطّبيعيّة وتعبّدهم لهواهم وشهواتهم، بحيث احتجبوا بها عن وحدة الله وتعبّده، وقطعهم ما أمر الله بوصله إعراضهم عن اتّصال روح القدس والمبادئ العالية والأرواح السّماويّة التي هي الملأ الأعلى، وسكّان الحضرة الإلهيّة من أهل الجبروت والملكوت الذين يجانسونهم بذواتهم وصفاتهم، وهم أهل قرابتهم الحقيقيّة، ورحمهم الظّاهر المأمور بوصله حقيقة بتوجّههم إلى العالم السّفلي ومحبّتهم للجواهر الفاسقة المظلمة، وعشقهم وشغفهم بالأمور الخسيسة الفانية.

ولهذا قال -عليه الصّلاة والسّلام-: «إن الله يحبّ معالي الأمور وأشرافها، ويبغض سفاسفها»، إذ كلّما كان مطلوب النّفس أخسّ كانت عن العالم الشّريف أبعد.

ضروب النّاس عشاق ضروبا فأغدرهم أشقهم جيوبـــــا

وقد مرّ تفسير الإفساد في الأرض، والخسران الذي هو تضييع الجوهر النّوري الباقي لأجل الظّلماني الفاني.

[آية 28 - 29][3]

﴿**كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ**﴾[4]، أي على أيّ حال تحجبون عنه؛ ﴿**وَ**﴾[5] الحال أنّكم ﴿**كُنتُمْ أَمْوَاتًا**﴾[6] نطفًا في أصلاب آبائكم ﴿**فَأَحْيَاكُمْ ۖ**﴾[7]، أي لم لا تستدلّون بالخلق على الخالق؛

---

[1] **سورة البَقَرَة، الآية 172.**

[2] **سورة البَقَرَة، الآية 172.**

[3] **﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.**

[4] **سورة البَقَرَة، الآية 28.**

[5] **سورة البَقَرَة، الآية 28.**

[6] **سورة البَقَرَة، الآية 28.**

﴿**ثُمَّ يُمِيتُكُمْ**﴾[1] بالموت الطّبيعي؛ ﴿**ثُمَّ يُحْيِيكُمْ**﴾[2] بالبعث، إذ الأوّل معلوم بالمشاهدة، والثّاني بالاستدلال عليه بالإنشاء الأوّل؛ ﴿**ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾[3] للمجازاة، أو ثمّ يميتكم عن أنفسكم بالموت الإرادي الذي هو الفناء في الوحدة، ثمّ يحييكم بالحياة الحقيقيّة التي هي البقاء بعد الفناء بالوجود الموهوب الحقّاني؛ ﴿**ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾[4] للمشاهدة إن كانت الوحدة وحدة الصّفات، أو الشّهود إن كانت وحدة الذّات.

﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا**﴾[5]، أي: الجهة السّفليّة التي هي العالم العنصري جميعًا، لكونها مبادئ خلقكم وموادّ وجودكم وبقائكم.

﴿**ثُمَّ اسْتَوَىٰ**﴾[6]، أي: قصد قصدًا مستويًا إلى الجهة العلويّة، وثمّ للتّفاوت بين الجهتيْن والإيجاديْن الإبداعي والتّكويني لا للتّراخي بين الزّمانيْن، ليلزم تقدّم خلق الأرض على السّماء؛ فعددهنّ سبع سموات بحسب ما تراه العامّة، إذ الثّامن والتّاسع هو الكرسيّ والعرش الظّاهران.

والحقيقة أنّ الجهة السّفليّة هي العالم الجسماني، كالبدن وأعضائه لدنوّ رتبته بالنّسبة إلى العالم الرّوحاني الذي هو الجهة العلويّة المعبّر عنها بالسّماء.

وثمّ للتّفاوت بين الخلق والأمر.

وسواهنّ سبع سموات إشارة إلى مراتب عالم الرّوحانيّات:

- فالأوّل هو عالم الملكوت الأرضيّة والقوى النّفسانيّة والجنّ.
- والثّاني: عالم النّفس.
- والثّالث: عالم القلب.
- والرّابع: عالم العقْل.
- والخامس: عالم السرّ.
- والسّادس: عالم الروح.
- والسّابع: عالم الخفاء الذي هو السرّ الرّوحي غير السرّ القلبي.

---

[7] **سورة البَقَرَة، الآية 28.**

[1] **سورة البَقَرَة، الآية 28.**

[2] **سورة البَقَرَة، الآية 28.**

[3] **سورة البَقَرَة، الآية 28.**

[4] **سورة البَقَرَة، الآية 28.**

[5] **سورة البَقَرَة، الآية 29.**

[6] **سورة البَقَرَة، الآية 29.**

وإلى هذا أشار أمير المؤمنين –رضي الله عنه– بقوله: "سلوني عن طرق السّماء، فإنّي أعلم بها من طرق الأرض"، وطرقها الأحوال والمقامات كالزّهد، والتّوكّل، والرّضا، وأمثالها.

واعلم أنّ العقل باصطلاح الحكمة هو الرّوح باصطلاح أهل التّصوّف[1]، والذي سمّيناه ههنا بالعقل على اصطلاح المتصوّفة هو القوّة العاقلة التي للنّفس النّاطقة عند الحكماء.

---

[1] طرح تعريف هذا الاصطلاح على المختصّين مشكلتين أساسيّتين: الأولى: في اشتقاقه ونشأته تاريخيّا. الثّانية: في مدلوله وتعريفه. يرى فريق من العلماء أنّ أصله يعود إلى لبس الصّوف: شعار الأنبياء والأصفياء، كالطّوسي وابن خلدون. ويرى آخرون أنّه نسبة إلى أهل الصّفة وإلى الصّفوف معا، كالكلاباذي. بينما يرى القشيري أنّ الكلمة جامدة وأنّها تجري على غير قياس، وأنّه لا يشهد لهذا الاسم اشتقاق من جهة العربيّة ولا قياس، ولهذا فالأظهر أنّه كاللّقب. وهناك تفسيرات اشتقاقيّة أخرى كالصّوفانة: بقلة صحراويّة، أو صوفة قوم كانوا يقومون على خدمة الكعبة، أو صوفة القفا أي الشّعرات التي تنبت في متأخّرة أمن الصّفاء. وهناك تفسير ذكره البيروني في *تحقيق ما للهند من مقولة*، وهو أنّ الصّوفيّة هم الحكماء، لأنّ سوفيا باليونانيّة هي الحكمة. ولم يخل رأي من هذه الآراء من النقّد. أمّا بالنّسبة لمدلول هذه اللّفظة، فلها عدّة تعريفات، منها: التّخلّق بالأخلاق الإلهيّة (القاشاني)، الوقوف مع الآداب الشّرعيّة ظاهرا وباطنيّا، وهي الأخلاق الإلهيّة (محيي الدّين بن عربي والجرجاني)، "قطع عقبات النّفس والتّنزّه عن أخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة، حتّى يُتوصّل بها إلى تخلية القلب عن غير الله –تعالى– وتحليته بذكر الله" (الغزالي)، "هو علم يُعرف به كيفيّة ترقّي أهل الكمال من النّوع الإنسانيّ في مدارج سعادتهم والأمور العارضة لهم في درجاتهم بقدر الطّاقة البشريّة" (حاجّي خليفة والقنوجي) ... إلى غير ذلك من التّعريفات التي قدّمها الصّوفيّة أنفسهم للتّصوّف. وما تعدّد هذه التّعريفات وتضاربها فيما بينها إلاّ دليلا قاطعا على استحالة حدّ هذا المفهوم حدّا منطقيّا عقلانيّا مضبوطا.

انظر: *التّعرّف لمذهب أهل التّصوّف*، ص21 إلى ص26؛ *تلبيس إبليس* لابن الجوزي، ص161 إلى ص163؛ *المنقذ من الضّلال* للغزالي، ص35؛ *مقدّمة* ابن خلدون، ص863 إلى ص882؛ *تحقيق ما للهند من مقولة* للبيروني، ص24–ص25؛ *الرّسالة القشيريّة* بشرحي الأنصاري والعروسي، ج4/ص2 إلى ص4؛ *التّصوّف في الأدب والأخلاق* لزكي مبارك، ج1/ص41 إلى ص55؛ *تاريخ التّصوّف الإسلامي* لعبد الرّحمان بدوي؛ *الحياة الرّوحيّة في الإسلام* لمصطفى حلمي، ص102 إلى ص112؛ *نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام* لسامي النشّار، ج3/ص36 إلى ص42؛ *التّصوّف في الإسلام* لعمر فرّوخ؛ *نشأة التّصوّف الإسلامي* لإبراهيم بسيوني، ص17 إلى ص32؛ *مدخل التّعريفات* للجرجاني، ص61–ص62؛ *اصطلاحات الصّوفيّة* للقاشاني، ص156؛ *عوارف المعارف* للسّهروردي، ص53 إلى ص64؛ *كشف الظّنون*، ج1/ص413–ص414؛ *أبجد العلوم* لصدّيق بن حسن القنوجي، ج2/ص152 إلى ص164؛ مادّة *تصوّف* في *المعجم الفلسفي* لجميل صليبا، ج1/ص282 إلى ص284.

ولهذا قالت المتصوّفة: "العقل هو موضع صقيل من القلب، متنوّر بنور الرّوح. والقلب هو النّفس النّاطقة".

فاحفظه لئلاّ يتشوّش الفهم باختلاف الاصطلاح.

[آية 30][1]

﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ**﴾[2]، إذ إشارة إلى السّرمد الذي هو من الأزل إلى الأبد، والقول هو إلقاء معنى تعلّق مشيئة الله –تعالى– بإيجاد آدم في الذّوات القدسيّة الجبروتيّة التي هي الملائكة المقرّبون والأرواح المجرّدة والملكوتيّة التي هي النّفوس السّماويّة، إذ كلّ ما يحدث في عالم الكون له صورة قبل التّكوين في عالم الرّوح الذي هو عالم القضاء السّابق، ثمّ في عالم القلب الذي هو قلب العالم المسمّى باللّوح المحفوظ، ثمّ في عالم النّفس، أي نفس العالم الذي هو لوح المحو والإثبات المعبّر عنه بالسّماء الدّنيا في التّنزيل، كما قال –تعالى–: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾[3]، فذلك قوله –تعالى– للملائكة: ﴿**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** ۖ﴾[4].

واعتبر بحالك في نفسك، فإنّ كلّ ما يظهر على جوارحك التي هي عالم كونك وشهادتك من القول والفعل، له وجود في روحك التي هي ما وراء غيب غيبك، ثمّ في غيب، ثمّ في نفسك التي هي غيبك الأدنى وسماؤك الدّنيا، ثمّ يظهر على جوارحك.

والجعل أعمّ من الإبداع والتّكوين، فلم يقل: "خالق"، لأنّ الإنسان مركّب من العالمَيْن خليفة يتخلّق بأخلاقي، ويتّصف بأوصافي، وينفّذ أمري، ويسوس خلقي، ويدبّر أمرهم، ويضبط نظامهم، ويدعوهم إلى طاعتي.

---

[1] ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾.

[2] **سورة ، الآية 30.**

[3] **سورة الحجر، الآية 21.**

[4] **سورة البَقَرَة، الآية 4.**

وإنكار الملائكة بقولهم: ﴿**قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ**﴾[1]، وتعريضهم بأولويّتهم لذلك بقولهم: ﴿**وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ**﴾[2] هو احتجابهم عن ظهور معنى الإلهيّة والأوصاف الربّانيّة فيه التي هي من خواصّ الهيئة الاجتماعيّة والتّركيب الجامع للعالمين الحاصر لما في الكوْنيْن.

وعلمهم بصدور الأفعال البهيميّة التي هي الإفساد في الأرض، والسّبعيّة المعبّر عنها بسفك الدّماء اللّتيْن هما من خواصّ قوّة الشّهوة والغضب الضّروري وجودهما في تعلّق الرّوح البدن، وبنزاهة ذواتهم وتقدّس نفوسهم عن ذلك، إذ كلّ طبقة من الملائكة المقدّسة تطّلع على ما تحتها وما في أنفسها، ولا تطّلع على ما فوقها؛ فهي تعلم أنّه لا بدّ في تعلّق الرّوح العلوي النّوراني بالبدن السّفلي الظّلماني من واسطة تناسب الرّوح من وجه، وتناسب الجسم من وجه، هي النّفس، وهي مأوى كلّ شرّ، ومنبع كلّ فساد؛ ولا تعلم أنّ الجمعيّة الإنسانيّة جالبة للنّور الإلهي الذي هو سرّ، ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[3].

والفرق بين التّسبيح والتّقديس: أنّ التّسبيح هو التّنزية عن الشّريك والعجز والنّقص. والتّقديس هو التّنزية عن التّعلّق بالمحلّ وقبول الانفعال وشوائب الإمكان والتّعدّد في ذاته وصفاته، وكون شيء من كمالاته بالقوّة.

فالتّقديس أخصّ، إذ كلّ مقدّس مسبّح، وليس كلّ مسبح مقدّسًا؛ فالملائكة المقرّبون الذين هم الأرواح المجرّدة بتجرّدهم وعدم احتجابهم عن نور ربّهم وقهرهم ما تحتهم بإفاضة النّور عليهم، وتأثيرهم في غيرهم، وكون جميع كمالاتهم بالفعل مقدّسون وغيرهم من الملائكة السّماويّة والأرضيّة مسبّحون ببساطة ذواتهم وخواصّ أفعالهم وكمالاتهم.

[آية 31 – 33][4]

---

[1] **سورة البَقَرَة، الآية 30.**

[2] **سورة البَقَرَة، الآية 30.**

[3] **سورة البَقَرَة، الآية 30.**

[4] **﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ ۖ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾.**

﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا**﴾[1]، أي: ألقى في قلبه خواصّ الأشياء التي تعرف بها هي ومنافعها ومضارّها؛ ﴿**ثُمَّ عَرَضَهُمْ**﴾[2]، أي: عرض مسمّياتها، ﴿**عَلَى الْمَلَائِكَةِ**﴾[3] بشهودهم البنية الإنسانيّة ومرافقتهم لآدم في التّنزيل.

ومعنى قوله: ﴿**فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾[4]: إرادته لانتعاشهم ببعض معلومات الإنسان باقتضاء التّركيب الإنساني، وتأذّي محسوساته ومعلوماته المتنوّعة منها والحادثة فيه بخاصّية التّركيب والهيئة الاجتماعيّة إلى ذواتهم بعد ما لم تكن، إذ علومهم تابعة لعلمه، وهو معنى إفحامهم وتعلّق إرادته بذلك أمر آدم باللإنباء، إذ جميع القوى الإنسانيّة والملائكة التي بحضرته تنتعش بما لا تنتعش هي في غير ذلك المحلّ، وهو معنى إنباء آدم إيّاهم.

ومعنى قوله: ﴿**قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**﴾[5] شهادة وجوداتهم بالدّلالة وألسنة الحال على قصورهم عن الكمالات الإنسانيّة وتخلّفهم عن شأوها، وبتنزيه الله عن فعل ما فيه مفسدة بالإجمال، وعلمهم بامتناع ترقيهم إلى مراتبهم بكسب العلوم، إذ كمالاتهم مقارنة لوجوداتهم، وبأنّ علمه –تعالى– فوق علمهم، فهو العليم المطلق، والحكيم الذي لا يفعل إلاّ ما ينبغي.

ولهذا قال: ﴿**يَا آدَمُ أَنبِئْهُم**﴾[6]، ولم يقل: "علّمهم"، لأنّ العلم المكتسب الموجب للتّرقّي هو من خاصّيّة الجمعيّة الإنسانيّة، فلا يقبل كلّ منها إلاّ ما في طباعه من جنس مدركاته لا غير؛ وكما أنّ البصر مثلاً من كثرة مبصراته لا يزيد علمًا ورتبة ولا يقبل إلاّ ما هو من جنس المبصرات فقط، وإن تكثّرت عنده، فكذلك حال كلّ قوّة باطنة.

ومعنى: ﴿**أَلَمْ أَقُل**﴾[7]: تقريره في طباع الملائكة أنّه –تعالى– يعلم ما لا يعلمون من غيب السّموات والأرض الذي هو سرّ المعرفة والمحبّة المودع في الإنسان الذي استأثر الله بعلمه.

---

[1] **سورة البَقَرَة، الآية 31.**

[2] **سورة البَقَرَة، الآية 31.**

[3] **سورة البَقَرَة، الآية 31.**

[4] **سورة البَقَرَة، الآية 31.**

[5] **سورة البَقَرَة، الآية 32.**

[6] **سورة البَقَرَة، الآية 33.**

[7] **سورة البَقَرَة، الآية 33.**

﴿**وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ**﴾[1] من علمكم بمفاسد الإنسان؛ ﴿**وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ**﴾[2] من ترجيحكم ذواتكم عليه لنزاهتها وتقدّسها.

[آية 34][3]

﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ**﴾[4]، سجودهم لآدم انقيادهم وتذلّلهم له ومطاوعتهم وتسخّرهم له، ﴿**فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ**﴾[5]، وإبليس هو القوّة الوهميّة، لأنّها ليست من الملائكة الأرضيّة الصّرفة المحجوبة عن إدراك المعاني بإدراك الصّور، فيذعن بالقهر مطاوعة لأمر الله، ولا من السّماويّة العقليّة، فتدرك شرف آدم وتوافق عقله، فيذعن بالمحبّة طالبًا لرضا الله.

وكان جنّيًّا، أي من جملة الملكوت السّفليّة والقوى الأرضيّة، نشأ وتربّى بين ظهور الملائكة السّماويّة لإدراكه المعاني الجزئيّة وترقّيه إلى الأفق العقلي.

ولهذا كان في الحيوانات العجم بمنزلة العقل في الإنسان وإباؤه عدم انقياده للعقل، وامتناعه لقبول حكمه، واستكباره تفوّقه على الخلقة الطّينيّة والملائكة السّماويّة والأرضيّة بعدم وقوفه على حدّه من إدراك المعاني الجزئيّة المتعلّقة بالمحسوسات، وتعدّيه عن طوره بخوضه في المعاني العقليّة والأحكام الكلّيّة.

﴿**وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ**﴾[6] المحجوبين في الأزل عن الأنوار العقليّة والزّوجيّة فضلاً عن نور الوحدة.

[آية 35][7]

---

[1] **سورة البَقَرَة، الآية 33.**

[2] **سورة البَقَرَة، الآية 33.**

[3] **﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.**

[4] **سورة البَقَرَة، الآية 34.**

[5] **سورة البَقَرَة، الآية 34.**

[6] **سورة البَقَرَة، الآية 34.**

[7] **﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.**

﴿**وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ**﴾[1] زوجته هي النّفس، وسمّيت حوّاء لملازمتها الجسم الظّلماني، إذ الحياة هي اللّون الذي يغلب عليه السّواد، كما أنّ القلب سمّي آدم لتعلّقه بالجسم دون الملازمة بالانطباع، إذ الأدمة هي السّمرة، أي اللّون الذي يضرب إلى السّواد، ولولا تعلّقه لما سمّي آدم.

والجنّة المأمور بملازمتهما إيّاها هي سماء عالم الرّوح التي هي روضة القدس، أي ألزما سماء الرّوح.

﴿**وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا**﴾[2]، أي: توسّعًا وتفسّحًا في تلقّي معانيها ومعارفها وحكمها التي هي الأقوات القلبيّة والفواكه الرّوحيّة توسّعًا بالغًا على أيّ وجه ومن أيّ مرتبة وحال ومقام شئتما، إذ هي دائمة غير منقطعة ولا محجورة؛ ﴿**فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾[3] الواضعين النّور في محلّ الظّلمة الذي ليس موضعه والنّاقصين من نور استعدادكما وحظّكما من عالم النّور، فإنّ الظّلم في العرف هو وضع الشّيء في غير موضعه، وفي اللّغة: نقص الحقّ والحظّ الواجب.

[آية 36 - 37][4]

﴿**فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا**﴾[5]، أي: حملهما على الزلّة من مقامهما إلى مهوى الطّبيعة عن الجنّة بتسويل الملاذّ الجسمانيّة ودوامها عليهما؛ ﴿**فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ** ۖ﴾[6] من النّعيم والرّوح الدّائم.

وقيل: بينما هما يتفرّجان في الجنّة، إذ راعهما طاووس تجلّى لهما على سور الجنّة، فدنت حواء منه وتبعها آدم، فوسوس لهما الشّيطان من وراء الجدار.

وقيل: توسّل بحيّة تتسور الجنّة، فأخذ بذنبها وصعد الجنّة.

والأوّل: إشارة إلى توسّله من قبل الشّهوة خارج الجنّة.

---

[1] **سورة البَقَرَة، الآية 35.**

[2] **سورة البَقَرَة، الآية 35.**

[3] **سورة البَقَرَة، الآية 35.**

[4] **﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ * فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.**

[5] **سورة البَقَرَة، الآية 36.**

[6] **سورة البَقَرَة، الآية 36.**

والثّاني: إلى توسّله بالغضب.

وتسوّره جدار الجنّة إشارة إلى أنّ الغضب أقرب إلى الأفق الرّوحاني والحيّز القلبي من الشّهوة.

﴿**وَقُلْنَا اهْبِطُوا**﴾[1]، أي ألزمناهم الهبوط إلى الجهة السّفليّة التي هي العالم الجسماني؛ ﴿**بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ**﴾[2] حال من الهبوط مقيّد له، إذ الهبوط إلى الدّنيا التي هي الجهة السّفليّة يستلزم كون مطالبها جزئيّة في ضيق المادّة محصورة لا تحتمل الشّركة.

وكلّما حظي بها أحد حرم منها غيره فمنعه، فيقع بينهما العداوة والبغضاء بخلاف المطالب الكلّية وجمع الخطاب، لأنّ خطابهما خطاب النّوع، إذ الأصل يتناول الفرع.

﴿**وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ**﴾[3]، أي في هذه الجهة، ﴿**مُسْتَقَرٌّ**﴾[4] استقرار ﴿**وَمَتَاعٌ**﴾[5] تمتّع ﴿**إِلَىٰ حِينٍ**﴾[6]، أي: حين تجرّدهما بالموت الإرادي وانقطاع حظوظهما بالموت الطّبيعي وقيام إحدى القيامتيْن الكبرى أو الصّغرى.

﴿**فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ**﴾[7]، أي: استقبل من جهة ربّه أنوارًا وأطوارًا، أي مراتب من الملكوت والجبروت وأرواحًا مجرّدة، إذ كلّ مجرّد كلمة، لأنّه من عالم الأمر، كما سمّي عيسى كلمة أو تلقّن منه معارف وعلومًا وحقائق.

﴿**فَتَابَ عَلَيْهِ**﴾[8] تقبّل رجوعه إليه بالتّجرّد عن الملابس الطّبيعيّة والانخراط في سلك الأنوار الملكوتيّة، والاتّصاف بالكمالات القدسيّة، والتّجلّي بالعلوم الحقيقيّة.

وأصل تاب عليه: ألقى الرّجوع عليه وجعله راجعًا.

ولعمري إنّها هي التّوبة المقبولة لا الرّجوع النّاشئ من قبله!

---

[1] سورة البَقَرَة، الآية 36.

[2] سورة البَقَرَة، الآية 36.

[3] سورة البَقَرَة، الآية 36.

[4] سورة البَقَرَة، الآية 36.

[5] سورة البَقَرَة، الآية 36.

[6] سورة البَقَرَة، الآية 36.

[7] سورة البَقَرَة، الآية 37.

[8] سورة البَقَرَة، الآية 37.

﴿**إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ**﴾[1] الكثير القبول لتوبة عبادة، ﴿**الرَّحِيمُ**﴾[2] الذي سبقت رحمته غضبه، فيرحم عبده في حين غضبه، كما جعل غضبه على آدم سبب كماله ورجوعه إليه وبعده ليتقرّب منه.

[آية 38 - 40][3]

﴿**قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا** ۖ﴾[4] كرّر ذلك الأمر بالهبوط، ليفيد أنّه هو الذي أراد ذلك؛ ولولا إرادته لما قدر إبليس على إغوائهم، لهذا أسند الإهباط إلى نفسه مجرّدًا عن التّعليق بالسّبب بعد إسناد إخراجهما إلى الشّيطان، فهو قريب ممّا قال لنبيّه: ﴿**وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ** ۚ﴾[5]، فتفطّن منه سرّ قضائه وقدره.

وبيّن وجه حكمة الإهباط بتعقيبه بقوله: ﴿**فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾[6]، وإيراده بالفاء، إذ لولا الهبوط لما أمكنهم من متابعة الهدى، ولما تميّز السّعيد والشّقيّ، ولا حصل استحقاق الثّواب والعقاب، ولبَطل دار الجزاء من الجنّة والنّار، بل ما وجدت.

والهدى هو الشّرع، فمن تبعه أمن سوء العاقبة، فلم يخف ممّا يأتي من العقاب والفناء، وتسلّى عن الشّهوات واللذّات، فلم يحزن على ما فاته من حطام الدّنيا ونعيمها، لاكتحال بصيرته بنور المتابعة واهتدائه إلى ما لا يقاس بلذّات الدّنيا من الأذواق الرّوحانيّة، والفتوحات السريّة، والمشاهدات القلبيّة، والعلوم العقليّة، والمواجيد النّفسيّة.

---

[1] **سورة البَقَرَة، الآية 37.**

[2] **سورة البَقَرَة، الآية 37.**

[3] **﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾.**

[4] **سورة البَقَرَة، الآية 38.**

[5] **سورة الأنفال، الآية 17.**

[6] **سورة البَقَرَة، الآية 38.**

﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا**﴾[1]، أي: حجبوا عن الدّين لكونه في مقابلة اتّباع الهدى، وإردافه بقوله ﴿**وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ**﴾[2]، أي: نار الحرمان، ﴿**هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾[3].

﴿**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ**﴾[4]، بنو إسرائيل هم أهل اللّطف الإلهي، وأرباب نعمة الهداية والنّبوّة، دعاهم باللّطف وتذكير النّعمة السّابقة، والعهد السّالف المأخوذ منهم في التّوراة بتوحيد الأفعال بعد العهد الأزليّ، كما هو عادة الأحباب عند الجفاء.

ألم يك بيننا رحم ووصـــــل وكان بنا المودّة والإخـاء

وهذه الدّعوة مخصوصة بتوحيد الصّفات الذي هو رفع الحجاب الثّاني، فهي أخصّ من الدّعوة الأولى العامّة لتذكير النّعمة الدّينيّة والعهد والتّجلّي بصفة المنعم والوليّ، والتّهديد على عدم إجابتها بالرّهبة التي هي أخصّ من الخوف، فإنّ الخوف إنّما يكون من العقاب، والرّهبة من السّخط والقهر، والإعراض والاحتجاب والخشية أخصّ منها، لكونها مخصوصة باحتجاب الذّات.

قال الله –تعالى–: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾[5].

وكذا الهيبة، لأنّها قرنت بعظمة الذّات.

[آية 41 - 43][6]

﴿**وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ**﴾[7] من القرآن على حبيبي من توحيد الصّفات، ﴿**مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ**﴾[8] في التّوراة من توحيد الأفعال.

---

[1] **سورة البَقَرَة، الآية 39.**

[2] **سورة البَقَرَة، الآية 39.**

[3] **سورة البَقَرَة، الآية 39.**

[4] **سورة البَقَرَة، الآية 40.**

[5] **سورة الرّعد، الآية 21.**

[6] **﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ * وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ * وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾.**

[7] **سورة البَقَرَة، الآية 41.**

[8] **سورة البَقَرَة، الآية 41.**

﴿**وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ** ۖ﴾[1]، أي أوّل محجوب عنه لاحتجابكم باعتقادكم.

﴿**وَلَا تَشْتَرُوا**﴾[2]، أي: لا تستبدلوا ﴿**بِآيَاتِي**﴾[3] الدّالّة على تجلّيات ذاتي وصفاتي كسورة ﴿الإخلاص﴾ وآية ﴿الكرسي﴾ وأمثالهما، ﴿**ثَمَنًا قَلِيلًا**﴾[4]، أي جنّتكم النّفسيّة لتألفكم بالملاذّ الحسّيّة وثواب الأعمال بتوحيد الأفعال.

وإن اتّقيتم عن الشّرك، فاتّقوا سطوة قهري وجلالي وحجابي بابتغاء رضاي، فلا تثبتوا صفة لغيري.

﴿**وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ**﴾[5]، أي: ولا تخلطوا صفاته -تعالى- الثّابتة، كعلمه وقدرته وإرادته بالباطل الذي هو صفات نفوسكم بظهورها بصفاتها، وعدم تمييزكم بين دواعيها وخواطرها ودواعي الحقّ وخواطره، ولا تكتموها بحجاب صفات النّفس وسترها إيّاها عند ظهورها.

﴿**وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[6] من علم توحيد الأفعال أنّ مصدر الفعل هو الصّفة، فكما لم تسندوا الفعل إلى غيره لا تثبتوا صفة لغيره.

﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ**﴾[7] طلبًا لمرضاتي لا رجاء لثوابي، ومصداقه قوله: ﴿**وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ**﴾[8]، إذ الرّكوع هو الخضوع والإذعان لما يفعل به، فهو علامة الرّضا الذي هو ميراث تجلّي الصّفات وغايته، أي أرضوا بقضائي عند مطالعة صفاتي والتّوجّه عند القيام بالفعل علامة طلب الثّواب والأجر لاستقلال النّفس بصورتها، والسّجود الذي هو غاية الخضوع علامة الفناء في الوحدة عند تجلّي الذّات.

[آية 44 - 48][9]

---

[1] سورة البَقَرَة، الآية 41.

[2] سورة البَقَرَة، الآية 41.

[3] سورة البَقَرَة ، الآية 41.

[4] سورة البَقَرَة، الآية 41.

[5] سورة البَقَرَة، الآية 42.

[6] سورة البَقَرَة، الآية 42.

[7] سورة البَقَرَة، الآية 43.

[8] سورة البَقَرَة، الآية 43.

[9] ﴿۞ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ * الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * يَا

﴿۞ **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ**﴾[1] الذي هو الفعل الجميل الموجب لصفاء القلب، وزكاء النّفس الزّائد منها بالتّنوّر؛ ﴿**وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ**﴾[2]، أفلا تفعلون ما ترتقون به من مقام تجلّي الأفعال إلى تجلّي الصّفات؛ ﴿**وَأَنتُمْ تَتْلُونَ**﴾[3] كتاب فطرتكم الذي يأمركم باتّباع محمّد في دينه السّالك بكم سبيل التّوحيد؟! ﴿**أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾[4] تعيير بالغ، وتهييج لحميتهم؟!

﴿**وَاسْتَعِينُوا**﴾[5] واطلبوا العوْن والمدد ممَّن له القدرة، إذ لا قدرة لكم على أفعالكم، ﴿**بِالصَّبْرِ**﴾[6] على ما تكرهون ممّا يفعل بكم وتكلّفكم ونيتكم به لكي تصلوا إلى مقام الرّضا، ﴿**وَالصَّلَاةِ** ۚ﴾[7] التي هي حضور القلب لتلقّي تجلّيات الصّفات؛ ﴿**وَإِنَّهَا**﴾[8] وإنّ المراقبة أي الحضور القلبي ﴿**لَكَبِيرَةٌ**﴾[9] لشاقّة ثقيلة ﴿**إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ**﴾ [10]المنكسرة، الليّنة قلوبهم لقبول أنوار التّجلّيات اللّطيفة واستيلاء سطوات التّجليّات القهريّة، الذين يتيقّنون أنّهم بحضرة ربّهم، أي: حضرة الصفات لدلالة الربّ عليها في حال لقائه، ﴿**وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**﴾[11] بفناء صفاتهم ومحوها في صفاته.

كرّر الخطاب ليفيد أنّ الذي هداهم أوّلاً ولطف بهم وفضلهم على عالمي زمانهم المحجوبين بالهداية إلى رفع الحجاب الأوّل هو الذي يهديهم ثانيًا، فكما لم يرد بهم شرًّا في الهداية الأولى، فكذلك في الثّانية لا يريد بهم إلاّ خيرًا.

بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ * وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾.

[1] **سورة البَقَرَة، الآية 44.**

[2] **سورة البَقَرَة، الآية 44.**

[3] **سورة البَقَرَة، الآية 44.**

[4] **سورة البَقَرَة، الآية 44.**

[5] **سورة البَقَرَة، الآية 45.**

[6] **سورة البَقَرَة، الآية 45.**

[7] **سورة البَقَرَة، الآية 45.**

[8] **سورة البَقَرَة، الآية 45.**

[9] **سورة البَقَرَة، الآية 45.**

[10] **سورة البَقَرَة، الآية 45.**

[11] **سورة البَقَرَة، الآية 46.**

﴿**وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي**﴾[1]، أي: حال تجلي صفة القهر حين لا تغنّي ﴿**نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا**﴾[2] من الإغناء لعدم القدرة لأحد، ﴿**وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ**﴾[3] لعدم الشّفاعة والمدد، إذ كلّهم مسلوب الصّفات والأفعال، كقوله:

ولا ترى الضب بها ينجحـــــــر

﴿**وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ**﴾[4]، أي فدية لعدم الملك لأحد.

﴿**وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ**﴾[5]، لامتناع القوّة والنّصرة لغيره -تعالى-.

[آية 49 - 50][6]

﴿**وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ**﴾[7]، ظاهره وتفسيره على ما يفهم من تذكير النّعمة لتهييج المحبّة وباطنه؛ وتأويله، ﴿**وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ**﴾[8]، النّفس الأمّارة المحجوبة بأنانيّتها المستعلية على ملك الوجود ومصر مدينة البدن التي استعبدت هي وقواها التي هي الوهم والخيال والتّخلية والغضب والشّهوة والقوى الرّوحانيّة التي هي أبناء صفوة الله يعقوب الرّوح والقوى الطّبيعيّة البدنيّة من الحواسّ الظّاهرة والقوى النّباتيّة.

﴿**يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ**﴾[9]، يكلفولكم المتاعب الصّعبة والكدّ والأعمال الشّاقّة في جمع المال وادّخاره بالحرص والأمل وترتيب الأقوات والملابس وغيرها ممّا يكدح فيه الحراص من أبناء الدّنيا ويستعبدونكم في التّفكّر فيها والاهتمام بها وضبطها وتحصيل لذّاتهم التي هي عذاب لمنعها إيّاكم عن لذّاتكم.

---

[1] سورة البَقَرَة، الآية 48.

[2] سورة البَقَرَة، الآية 48.

[3] سورة البَقَرَة، الآية 48.

[4] سورة البَقَرَة، الآية 48.

[5] سورة البَقَرَة، الآية 48.

[6] ﴿**وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ * وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ**﴾.

[7] سورة البَقَرَة، الآية 49.

[8] سورة البَقَرَة، الآية 49.

[9] سورة البَقَرَة، الآية 49.

﴿**يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ**﴾[1] التي هي تلك القوى الرّوحانيّة عن العاقلة النّظريّة، والعاقلة العمليّة اللّتين هما عينا القلب النّظريّة اليمنى والعمليّة اليسرى، والفهم الذي هو سمع القلب، والسرّ الذي هو قلب القلب، والفكر والذّكر، ﴿**وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ** ۚ﴾[2] القوى الطّبيعيّة المذْكورة بمنع الطّائفة الأولى عن أفعالها الخاصّة بالقهْر والاستيلاء وحجبها عن حياة نور الرّوح ومددها وإقدار الطّائفة الثّانية عن أفعالها وتمكينها.

﴿**وَفِي ذَٰلِكُم**﴾[3] الإنجاء نعمة عظيمة ﴿**مِّن رَّبِّكُمْ**﴾[4] هي نعمة مطالعة صفات جلاله وجماله، أو في ذلكم التّعذيب نقمة عظيمة من ربّكم هي نقمة الاحتجاب والحرمان والبعد، إذ البلاء الذي هو الامتحان يحصل بهما. قال الله -تعالى-: ﴿**وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ**﴾[5].

﴿**وَإِذْ فَرَقْنَا**﴾[6] بوجودكم ﴿**الْبَحْرَ**﴾[7]، أي البحر الأسود الزّعاق الذي هو المادّة الجسمانيّة لانفلاقها بوجودكم انفلاق الأرض من النّبات، ﴿**فَأَنجَيْنَاكُمْ**﴾[8] بالتّجرّد منها، ﴿**وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ**﴾[9]، أي: القوى النّفسانيّة فيها بملازمتها إيّاها وهلاكها بفسادها، ﴿**وَأَنتُمْ**﴾[10] تشاهدون ذلك.

وعلى هذا يمكن أن يؤوّل بنو إسرائيل في أوّل الخطاب بتلك القوى الرّوحانيّة والنّعمة التي أنعم بها عليهم هي التّهدّي إلى قبول الأنوار الفائضة عليها من عالم الرّوح وتلقّي المعارف والحكم، وإيفاؤهم بالعهد، وإبرازهم ما ركّز فيها بحسب الاستعداد الأوّل من الأدلّة التّوحيديّة والمعاني الكلّية الكامنة فيها بالتّصفية ومزاولة ما يختصّ بها من الأفعال، وإيفاؤه بعهدهم إفاضة النّور الكمالي عليها عند قيامها بحقّ النّور الاستعدادي بالتّصفية واستعمال ما عندهم من المعاني.

---

[1] **سورة البَقَرَة، الآية 49.**

[2] **سورة البَقَرَة، الآية 49.**

[3] **سورة البَقَرَة، الآية 49.**

[4] **سورة البَقَرَة، الآية 49.**

[5] **سورة الأعراف، آية 168.**

[6] **سورة البَقَرَة، الآية 50.**

[7] **سورة البَقَرَة، الآية 50.**

[8] **سورة البَقَرَة، الآية 50.**

[9] **سورة البَقَرَة، الآية 50.**

[10] **سورة البَقَرَة، الآية 50.**

وإن كنتم رهبتم شيئًا، فارهبوا احتجاب أنواري بزوال استعدادكم، ﴿وآمنوا﴾[1]، أي واقبلوا ما أفيض عليكم من الإشراقات النّوريّة والسّواغ الغيبيّة مصدّقًا لما في استعدادكم من النّور الفطري، ولا تكونوا في أوّل رتبة المحتجبين عن قبولها بالتّوجّه إلى الجهة السّفليّة ولا تستبدلوا بها لذّات النّفس ومقاصدها، ولا تخلطوا حقّ المعارف الرّوحيّة والأنوار القدسيّة بباطل المطالب الحسّية والصّفات النّفسيّة، وتكتّموا تلك الأنوار والمعارف بظهور هذه عليكم.

وأقيموا وأديموا التّوجّه إلى حضرة الرّوح وامتثال أمره، وآتوا زكاة معلوماتكم التي هي أموالكم بتصفّحها وتركيبها لتحرزوا بها ثواب النّتائج واللّوازم. وأنفقوها على فقرائكم الذين بحضرتكم من القوى البدنيّة الطّبيعيّة ليعيشوا بها، ويكتسبوا بها الأخلاق الفاضلة والملكات الجميلة، وعلموها أبناء جنسكم ليكملوا بها، واركعوا واخضعوا لقبول الأوامر العقليّة والأنوار الرّوحيّة والأعمال القلبيّة.

أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم؟

أتسوسون ما تحتكم من القوى بالعبادات الجميلة والآداب الحسنة والتّرقّي إلى مقامكم والتّأدّب بآدابكم وتنسون أنفسكم في التّأدّب بين يدي الله بآداب الرّوحانيّين والتّمرّن في المراقبة، والتّنوّر بأنوار الرّوح في مقام المشاهدة والتّرقّي إلى مقامه عند الفناء في الوحدة، وأنتم تتلوّن كتاب المعقولات النّازلة من ربّ الرّوح بواسطة ملك العقل إلى نبيّ القلب؟

أفلا تعقلون بالعقل المجرد عن شوب الهوى والوهم؟

واستعينوا بالصّبر على ما يظهر عليكم ويرد من سلطنة أنوار سلطان الرّوح وأحكامه وقهر تجلّيات العظموت والحضور مع الحقّ، وأنّ هذه الاستعانة لشاقّة إلاّ على الخاشعين، المرتاضين، المذعنين لانقياد أمر القلب والرّوح، المتيقّنين بأنّهم بحضرته وفي لقائه، وأنّهم يرجعون إليه في قبول أنواره. وتفضيلهم على العالمين هو شرفهم على جميع ما في الإنسان من القوى.

[آية 51 - 54][2]

---

[1] سورة البَقَرَة، الآية .

[2] ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ * ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ﴾[1] بعد فراغه من مقاومة آل فرعون وإهلاكهم ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾[2] يخلص لنا فيها لترفع بها الغشاوات الطّبيعيّة التي حجبت قلبه عن معدن النّور في الأربعين التي خلق فيها بدنه عند تكونه جنينًا واحتجابه بالنّشأة عن الفطرة، كما ورد في الحديث «خمر طينة آدم بيده أربعين صباحًا».

وعن وجه قلبه، وتظهر حكمة التّوراة من قلبه على لسانه.

﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ﴾[3] عجل النّفس الحيوانيّة النّاقصة إلها من بعد اعتزاله وغيبته عنكم، ﴿وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ﴾[4] واضعون العبادة في غير موضعها.

﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾[5] الفعل الشّنيع، والظلم القبيح، بتوبتكم عند رجوع موسى إليكم لكي تشكروا نعمة عفوي بتصوّر تلك النّعمة عن المنعم، فتستعدّوا لقبول تجلّي صفة المنعم.

وعلى التّأويل الثّاني ﴿وَاعَدْنَا مُوسَىٰ﴾[6]: القلب عند تعلّقه بالبدن واحتجابه عن قومه القوى الرّوحانيّة الأربعين التي خلقت فيها بنية بدنه، ثمّ تعبّدتم عجل النّفس الحيوانيّة الطّفل من بعد غيبته واحتجابه في حال الصّبا.

﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾[7] التّعبّد بالبلوغ الحقيقي، وظهور نور القلب بتجرّدكم لكي تشكروا نعمة توفيقي إيّاكم لذلك التّجرّد وتهيئتي لأسباب كمالكم بسلوك سبيل صفاتي.

﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى﴾[8] القلب كتاب المعقولات والحكم والمعارف والتّمييز الفارق بين الحق والباطل، لكي تهتدوا بنور هداه. وعلى الوجه الأوّل غني عن التّأويل.

---

[1] سورة البَقَرَة، الآية 51.
[2] سورة البَقَرَة، الآية 51.
[3] سورة البَقَرَة، الآية 51.
[4] سورة البَقَرَة، الآية 51.
[5] سورة البَقَرَة، الآية 52.
[6] سورة البَقَرَة، الآية 51.
[7] سورة البَقَرَة، الآية 52.
[8] سورة البَقَرَة، الآية 53.

﴿**ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم**﴾[1] نقصتم حقوقها وحظوطها من الثّواب والتّجلّيات المذكورة، ﴿**فَتُوبُوا**﴾[2] إلى خالقكم برفع الحجاب الأوّل لدلالة ذكر البارئ عليه، ﴿**فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ**﴾[3] بسيف الرّياضة ومنعها عن حظوظها وأفعالها الخاصّة بها على سبيل الاستقلال وقمع هواها التي هي روحها التي تحيا هي بها، وعلى الثّاني ألهم القلب قواه أنّكم نقصتم حقوقكم بتعبد النّفس فارجعوا إلى بارئكم بنور هداه، فامنعوا أنفسكم بالرّياضة عمّا ضربتم، فاقتلوها عن حياتها العارضة لها بغلبة الهوى لتحيوا بحياتكم الأصليّة فتقبل توبتكم.

[آية 55 - 57][4]

﴿**وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ**﴾[5] لأجل هدايتك الإيمان الحقيقي حتّى تصل إلى مقام المشاهدة والعيان، ﴿**فَأَخَذَتْكُمُ**﴾[6] صاعقة الموت الذي هو الفناء في التّجلّي الذّاتي، ﴿**وَأَنتُمْ**﴾[7] تراقبون أو تشاهدون.

﴿**ثُمَّ بَعَثْنَاكُم**﴾[8] بالحياة الحقيقيّة والبقاء بعد الفناء، لكي تشكروا نعمة التّوحيد والوصول بالسّلوك في الله، ﴿**وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ**﴾[9] غمام تجلّي الصّفات لكونها حجب شمس الذّات المحرقة بالكّلية، ﴿**وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ**﴾[10] من الأحوال والمقامات الذّوقيّة الجامعة بين الحلاوة وإسهال رذائل

---

[1] سورة البَقَرَة، الآية 54.

[2] سورة البَقَرَة، الآية 54.

[3] سورة البَقَرَة، الآية 54.

[4] ﴿**وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ * ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾.

[5] سورة البَقَرَة، الآية 55.

[6] سورة البَقَرَة، الآية 55.

[7] سورة البَقَرَة، الآية 55.

[8] سورة البَقَرَة، الآية 56.

[9] سورة البَقَرَة، الآية 57.

[10] سورة البَقَرَة، الآية 57.

أخلاق النّفس كالتّوكّل والرّضا، وسلوى الحكم، والمعارف والعلوم الحقيقيّة التي تحشرها عليكم رياح الرّحمة، والنّفحات الإلهيّة في تيه الصّفات عند سلوككم فيها.

﴿**كُلُوا**﴾[1]، أي: تناولوا وتلقوا هذه الطيّبات، ﴿**وَمَا ظَلَمُونَا**﴾[2] ما نقصوا حقوقنا وصفاتنا باحتجابهم بصفات نفوسهم، ﴿**وَلَٰكِن كَانُوا**﴾[3] ناقصين حقوق أنفسهم بحرمانها وخسرانها.

هذا على التّأويليْن، والخطاب، وإن كان عامًّا، لكنّه مخصوص بالسّبعين المختارين.

[آية 58][4]

﴿**وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ**﴾[5]، أي: روضة الرّوح المقدّسة التي هي مقام المشاهدة ﴿**وَادْخُلُوا الْبَابَ**﴾[6] الذي هو الرّضا، كما ورد في الحديث: «الرّضا بالقضاء باب الله الأعظم»، ﴿**سُجَّدًا**﴾[7] منحنين، خاضعين، لما يرد عليكم من التّجلّيات الوصفيّة والفعليّة والحمليّة.

وقوله: ﴿**وَقُولُوا حِطَّةٌ**﴾[8]، أي: اطلبوا أن يحط الله عنكم ذنوب صفاتكم وأخلاقكم وأفعالكم، ﴿**نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ۚ**﴾[9] تلويناتكم وذنوب أحوالكم ﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾[10]، أي: المشاهدين لقوله -عليه الصّلاة والسّلام-: «الإحسان أن تعبد الله كأنّك تراه».

ثواب إحسانهم الذي هو كشف الذّات أو إحسانهم بالسّلوك في الله.

---

[1] سورة البَقَرَة، الآية 57.

[2] سورة البَقَرَة، الآية 57.

[3] سورة البَقَرَة، الآية 57.

[4] ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾.

[5] سورة البَقَرَة، الآية 58.

[6] سورة البَقَرَة، الآية 58.

[7] سورة البَقَرَة، الآية 58.

[8] سورة البَقَرَة، الآية 58.

[9] سورة البَقَرَة، الآية 58.

[10] سورة البَقَرَة، الآية 58.

[آية 59][1]

﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾[2]، أي طلبوا الاتّصاف بصفات النّفس ابتغاء حظوظها سوى طلب الاتّصاف بصفات الله ابتغاء الحظوظ الرّوحيّة، كما روي عنهم حنطًا سمقانًا، أي: نطلب غذاء النّفس.

﴿فَأَنزَلْنَا﴾[3] على الظّالمين خاصّة ﴿رِجْزًا﴾[4] عذابًا وضنكًا وضيقًا وظلمة في حبس النّفس وأسرًا في وثاق التّمنّي واحتجابًا في قيد الهوى، وحرمانًا وذلاً بمحبّة المادّة السّفليّة وتغيّرها وزوالها من جهة قهر سماء الرّوح، ومنع اللّطف والرّوح عنهم بسبب فسقهم، أي خروجهم عن طاعة القلب إلى طاعة النّفس، وتركنا التّأويل الثّاني لقربه منه جدًّا.

[آية 60][5]

﴿۞ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ﴾[6] طلب نزول أمطار العلوم والحكم والمعاني من سماء الروح، فأمرناه بضرب عصا النّفس التي يتوكّأ عليها في تعلقه بالبدن وثباته على أرضه بالفكر على حجر الدّماغ الذي هو منشأ العقل، ﴿فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ﴾[7] من مياه العلوم على عدد المشاعر الإنسانيّة التي هي الحواسّ الخمس الظّاهرة، والخمس الباطنة، والعاقلة النّظريّة والعمليّة.

ولهذا قال -صلّى الله عليه وسلّم-: «مَن فقد حسًّا، فقد فقد علمًا».

---

[1] ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

[2] سورة البَقَرَة، الآية 59.

[3] سورة البَقَرَة، الآية 59.

[4] سورة البَقَرَة، الآية 59.

[5] ﴿۞ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

[6] سورة البَقَرَة، الآية 60.

[7] سورة البَقَرَة، الآية 60.

﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ﴾[1]، أي أهل كلّ علم مشربهم من ذلك العلم، كأهل الصّناعات، والعلماء العاملين من مشرب العقل العملي، والحكماء والعارفين من النّظري والصبّاغين من علم الألوان المبصرة، وأهل صناعة الموسيقى من علم الأصوات وغير ذلك.

وعلى التّأويل الثّاني: أمرنا موسى القلب، بضرب عصا النّفس على حجر الدّماغ، ﴿فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ﴾[2] هي المشاعر المذكورة التي تختصّ كلّ واحدة منها بقوّة من القوى الاثنتي عشرة المذكورة التي هي أسباط يعقوب الرّوح، قد علم كلّ منها مشربه.

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ﴾[3]، أي انتفعوا بما رزقكم الله من العلم والعمل والأحوال والمقامات.

﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[4]، ولا تبالغوا في الفساد بالجهل.

[آية 61][5]

﴿لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾[6]، أي الغذاء الرّوحاني من العلم والمعرفة والحكمة، ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾[7]، أي اسأل لنا ربّك يوسّع علينا، ويرخّص لنا فيما تنبته أرض نفوسنا من الشّهوات الخبيثة واللذّات الخسيسة والتّفكّهات الباردة وكلّ ما فيه حظّ النّفس وعذابها.

---

[1] سورة البَقَرَة، الآية 60.

[2] سورة البَقَرَة، الآية 60.

[3] سورة البَقَرَة، الآية 60.

[4] سورة البَقَرَة، الآية 60.

[5] ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۖ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾.

[6] سورة البَقَرَة، الآية 61.

[7] سورة البَقَرَة، الآية 61.

﴿**اهْبِطُوا مِصْرًا**﴾[1]، أي: مدينة البدن، ﴿**فَإِنَّ لَكُم**﴾[2] فيها ﴿**مَّا سَأَلْتُمْ ۖ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ**﴾[3] اللاّزمة لاتّباع الشّهوات والحرص في المقتنيات ﴿**وَالْمَسْكَنَةُ**﴾[4]، أي: دوام الاحتياج ودوام سكنى الجهة السّفليّة، ﴿**وَبَاءُوا**﴾[5]، واستحقّوا ﴿**بِغَضَبٍ**﴾[6] البعد والطّرد ﴿**مِّنَ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ**﴾[7] باحتجابهم عن آيات الله وتجلّياته، والباقي ظاهر.

وعلى الوجه الثّاني: وبقتلهم أنبياء القلوب بغير أمر ثابت لهم عليهم يتوجّه به ذلك، بل بصرف باطلهم ذلك بعصيانهم أوامر القلوب والعقول واعتدائهم عن ظهورهم.

[آية 62][8]

﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾[9] الإيمان التّقليدي، والظّاهريّين والباطنيّين والذين تعبّدوا ملائكة العقول، لاحتجابهم بالمعقولات وكواكب القوى النّفسانيّة لاحتجابهم بالوهميّات والخياليّات ﴿**مَنْ آمَنَ**﴾[10] منهم الإيمان الحقيقي ﴿**بِاللَّهِ**﴾[11] والمعاد، وأيقنوا علم التّوحيد والقيامة، وعملوا ما يصلحهم للقاء الله ونيل السّعادة في المعاد، فلهم الثّواب الباقي الرّوحاني عند ربّهم من جنّات

---

[1] سورة البَقَرَة، الآية 61.

[2] سورة البَقَرَة، الآية 61.

[3] سورة البَقَرَة، الآية 61.

[4] سورة البَقَرَة، الآية 61.

[5] سورة البَقَرَة، الآية 61.

[6] سورة البَقَرَة، الآية 61.

[7] سورة البَقَرَة، الآية 61.

[8] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

[9] سورة البَقَرَة، الآية 62.

[10] سورة البَقَرَة، الآية 62.

[11] سورة البَقَرَة، الآية 62.

الأفعال والصّفات، ﴿**وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ**﴾[1] من عقوبة أفعالهم، ﴿**وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾[2] بفوات تجلّيات الصّفات.

والجملة اعتراض بين خطاب بني إسرائيل.

[آية 63 - 64][3]

﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ**﴾[4]، أي عهْدكم السّابق أو اللاّحق المأخوذ منهم في التّوراة أو بدلائل العقل بتوحيد الأفعال والصّفات، ﴿**وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ**﴾[5] طور الدّماغ للتّمكّن من فهم المعاني وقبولها.

وقلنا: ﴿**خُذُوا**﴾[6]، أي اقبلوا ﴿**مَا آتَيْنَاكُم**﴾[7] من التّوراة أو كتاب العقل الفرقاني بجدّ، ﴿**وَاذْكُرُوا**﴾[8] وعوا ما فيه من الحكم والمعارف والعلوم والشّرائع، لكي تتّقوا الشّرك والجهل والفسق.

﴿**ثُمَّ**﴾[9] أعرضتم ﴿**مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ**﴾[10] بإقبالكم إلى الجهة السّفليّة.

---

[1] **سورة البَقَرَة، الآية 62.**

[2] **سورة البَقَرَة، الآية 62.**

[3] **﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾.**

[4] **سورة البَقَرَة، الآية 63.**

[5] **سورة البَقَرَة، الآية 63.**

[6] **سورة البَقَرَة، الآية 63.**

[7] **سورة البَقَرَة، الآية 63.**

[8] **سورة البَقَرَة، الآية 63.**

[9] **سورة البَقَرَة، الآية 64.**

[10] **سورة البَقَرَة، الآية 64.**

﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾[1] بهدايته العقل ﴿وَرَحْمَتُهُ﴾[2] بنور البصيرة والشّرع، ﴿لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾[3].

[آية 65 - 66][4]

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا﴾[5].

اعلم أنّ النّاس لو أهملوا وتركوا وخلي بينهم وبين طباعهم لتوغلوا وانهمكوا في اللذّات الجمسانيّة، والغواشي الظّلمانيّة لضراوتهم بها واعتيادهم من الطّفوليّة والصّبا حتّى زالت استعداداتهم وانحطّوا عن رتبة الإنسانيّة، فمسخوا كما قال -تعالى-: ﴿مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾[6]؛ وإن حفظوا وروعوا بالسّياسات الشّرعيّة والعقليّة والحكم والآداب والمواعظ الوعديّة والوعيديّة ترقّوا وتنوّروا، كما قال الشّاعر:

هي النّفس إن تهمل تلازم خساسة وإن تبتعث نحو الفضائل تبهج

فلهذا وضعت العبادات، وفرض عليهم تكرارها في الأوقات المعيّنة لتزول عنهم بها درن الطّباع المتراكم في أوقات الغفلات وظلمة الشّواغل العارضة في أزمنة اتّخاذ اللذّات، وارتكاب الشّهوات.

فتتنور بواطنهم بنور الحضور، وتنتعش قلوبهم بالتّوجّه إلى الحقّ عن السّقوط في هاوية النّفس والعثور، وتستريح بروح الرّوح، وحبّ الوحدة عن وحشة الهوى، وتعلّق الكثرة، كما قال -صلّى الله عليه وسلّم-: «الصّلاة بعد الصّلاة كفارة ما بينهما من الصّغائر إذا اجتنبت الكبائر».

ألا ترى كيف أمرهم عند الحدث الأكبر ومباشرة الشّهوة بتطهير الغسل، وعند الأصغر بالوضوء، وعند الاشتغال بالأشغال الدّنيويّة في ساعات اليوم واللّيل بالصّلوات الخمس المزيلة لكدورات الحواسّ الخمس الحاصلة في النّفس بسببها، كلّ بما يناسبه؟

---

[1] سورة البَقَرَة، الآية 64.

[2] سورة البَقَرَة، الآية 64.

[3] سورة البَقَرَة، الآية 64.

[4] ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ * فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

[5] سورة البَقَرَة، الآية 65.

[6] سورة المائدة، الآية 60.

فلذلك وضعوا بإزاء وحشة تفرقة الأسبوع وظلمة انفرادهم بدؤوب الأشغال والمكاسب، والملابس البدنية، والملاذ النّفسانيّة، اجتماع يوم واحد على العبادة والتّوجّه لتزول وحشة التّفرقة بأنس الاجتماع وتحصل بينهم المحبّة والأنس وتزول ظلمة الاشتغال بالأمور الدّنيويّة والإعراض عن الحقّ بنور العبادة والتّوجّه، ويحصل لهم التّنوّر فوضع لليهود أوّل أيّام الأسابيع لكونهم أهل المبدأ والظّاهر، وللنّصارى بعده، لأنّهم أهل المعاد والرّوحاني والباطن المتأخّرين عن المبدأ والظّاهر بالنّسبة إلينا، وللمسلمين[1] آخرها الذي هو يوم الجمعة لكونهم في آخر الزّمان أهل النّبوّة الخاتمة وأهل الوحدة الجامعة للكلّ، وإن جعل السّبت آخر الأيّام –على ما نقل أنّه السّابع–؛ فبالنّسبة إلى الحقّ –تعالى–، لأنّ عالم الحسّ الذي إليه دعوة اليهود هو آخر العوالم، وعالم العقل الذي إليه دعوة النّصارى أوّلها، والجمعة هي يوم الجمع والختم.

فمَن لم يراع هذه الأوضاع والمراقبات أصلاً زال نور استعداده، فمسخ كما مسخت أصحاب السّبت. نهوا عن الصّيد، أي إحراز الحظوظ النّفسانيّة واقتنائها في يوم السبت، فاحتالوا فيه، فاتّخذوا حياضًا على ساحل البحر ليحبسوا فيها الحيتان ويصطادوها يوم الأحد. أي ادّخروا في سائر أيّام الأسبوع من ماء بحر الهيولى الجرميّة والجرمانيّات المادّية في حياض بيوتهم، فجمعوا بها أنواع المطاعم والمشارب والملاذّ والملاهي، فاجتمع لهم كلّ الحظوظ النّفسانيّة في يوم السّبت ما اكتفوا به سائر أيّام الأسبوع ليفرغوا فيها إلى الاشتغال بالمكاسب والصّناعات والمهن، كما هو عادة اليهود اليوم وشطّار المسلمين في الجماعات، فإنّ أكثر فسقهم فيها؛ فذلك اعتيادهم في السّبت؛ وهو يدلّ على أن جميع أوقات حضورهم مصروفة في هموم الدّنيا وطلب حظوظ النّفس والهوى.

كما ترى اليوم واحدًا من المسلمين قالبه في المسجد في الصّلاة وقلبه في السّوق في المعاملة، حتّى قال أحدهم: جريدة حسابي هي الصّلاة، أي إذا فرغت من أشغال الدّنيا إلى الصّلاة أخذ

---

[1] **يقول الشّهرستاني في كتاب *الملل والنّحل* (ج1/ص40–ص41): "فرق في التّفسير بين الإسلام والإيمان. والإسلام قد يرد بمعنى الاستسلام ظاهرا، ويشترك فيه المؤمن والمنافق. قال الله تعالى: ﴿قالت الأعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾ (سورة الحجرات (49)، الآية 13)، ففرّق التّنزيل بينهما. فإذا كان الإسلام بمعنى التّسليم والانقياد ظاهرا موضع الاشتراك، فهو المبدأ؛ ثمّ إذا كان الإخلاص معه بأن يصدّق بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر، ويقرّ عقدا بأنّ القدر خيره وشرّه من الله تعالى، بمعنى أنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه؛ كان مؤمنًا حقّا. ثمّ إذا جمع بين الإسلام والتّصديق، وقرن المجاهدة بالمشاهدة، وصار غيبه شهادة؛ فهو الكمال. فكان الإسلام مبدأ والإيمان وسطا والإحسان كمالا، وعلى هذا شمل لفظ المسلمين: النّاجي والهالك".**

قلبي في تصفح تجاراتي وما لي على النّاس وما للنّاس عليّ، وذلك موجب للانحطاط عن العالم العلوي الإنساني إلى الأفق السّفلي الحيواني.

وهو معنى قوله: ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً﴾[1]، أي مشابهين النّاس في الصّورة وليسوا بهم ﴿خَاسِئِينَ﴾[2] بعيدين، طريدين.

والمسخ بالحقيقة حقّ غير منكر في الدّنيا والآخرة، ووردت به الآيات والأحاديث كقوله –تعالى–: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾[3]، وقول رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–: «يحشر بعض النّاس على صور يحسن عندها القردة والخنازير».

وقد روي عنه –عليه الصّلاة والسّلام–: «المسوخ ثلاثة عشر»، ثمّ عدّهم وبيّن أعمالهم ومعاصيهم وموجبات مسخهم، والحاصل أنّ من غلب عليه وصف من أوصاف الحيوانات ورسخ فيه، بحيث أزال استعداده وتمكّن في طباعه وصار صورة ذاتيّة له، كالماء الذي منبعه معدن الكبريت مثلاً صار طباعه طباع ذلك الحيوان ونفسه نفسه، فاتّصلت روحه عند المفارقة ببدن بناسب صفته، فصارت صفته صورته، والله أعلم بذلك.

[آية 67 - 71][4]

﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً** ۖ﴾[5] هي النّفس الحيوانيّة، وذبحها قمع هواها الذي هو حياتها ومنعها عن أفعالها الخاصّة بها بشفرة سكّين الرّياضة، ﴿**قَالُوا**

---

[1] **سورة البَقَرَة، الآية 65.**

[2] **سورة البَقَرَة، الآية 65.**

[3] **سورة المائدة، الآية 60.**

[4] ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً** ۖ **قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا** ۖ **قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ * قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ** ۚ **قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ** ۖ **فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ * قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا** ۚ **قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ * قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ * قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا** ۚ **قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ** ۚ **فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ**﴾.

[5] **سورة البَقَرَة، الآية 67.**

﴿**أَتَتَّخِذُنَا**﴾[1] مهزوا بنا، وتستخفنا لنطيعك ونتسخّر لك، كما جاء في حقّ فرعون: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ ۚ﴾[2].

﴿**قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾[3]: الاستخفاف والاستهزاء وطلب التّرؤّس هو فعل الجهّال.

﴿**قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ ۚ**﴾[4]، أي سلْ لنا ربّك ما هي، ﴿**إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ**﴾[5]، أي: غير مسنة لزوال استعدادها ورسوخ اعتقادها وضراوتها بعاداتها كما قيل الصّوفي بعد الأربعين بارد.

﴿**وَلَا بِكْرٌ**﴾[6]، أي: فتية، لقصور استعدادها عمّا يراد منها وعسر احتمالها للرّياضة لغلبة القوى الطّبيعيّة وقوّتها فيها ﴿**عَوَانٌ**﴾[7] نصفة ﴿**بَيْنَ**﴾[8] ما ذكر ﴿**صَفْرَاءُ**﴾[9]، لأنّ لوح الجسم أسود لعدم النّوريّة فيه أصلاً، ولون النّفس النّباتيّة أحضر لظهور النّوريّة فيها، وغلبة السّواد عليها لعدم إدراكها، ولون القلب أبيض لتجرّده عن الجسم، وقوّة إدراكه، وكمال نوريّته.

فلزم أن يكون لون النّفس الحيوانيّة في الحيوانات العجم أحمر لتركّب نوريّة إدراكها وسواد تعلّقها بالجسم، إذ الحمرة لون بين البياض والسّواد ومركّب منهما، لكنّ السّواد فيه أكثر.

وفي الإنسان أصفر لغلبة نورية إدراكها بمجاورة القلب، إذ الصّفرة حمرة عليها البياض ﴿**فَاقِعٌ لَّوْنُهَا**﴾[10] لصفاء استعدادها وشعشعان شعاع نور القلب عليها ﴿**تَسُرُّ النَّاظِرِينَ**﴾[11] لقوّة نور استعدادها وتشعشعها، والنّاظرون هم الكاملون المطّلعون على الاستعدادات لوجوب محبّتهم للمستعدّين المستبصرين وذوقهم بحضورهم.

---

[1] سورة البَقَرَة، الآية 67.
[2] سورة الزّخرف، الآية 54.
[3] سورة البَقَرَة، الآية 67.
[4] سورة البَقَرَة، الآية 68.
[5] سورة البَقَرَة، الآية 68.
[6] سورة البَقَرَة، الآية 68.
[7] سورة البَقَرَة، الآية 68.
[8] سورة البَقَرَة، الآية 68.
[9] سورة البَقَرَة، الآية 69.
[10] سورة البَقَرَة، الآية 69.
[11] سورة البَقَرَة، الآية 69.

﴿**إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا**﴾[1] لكثرة البقر الموصوف بهذه الصّفة، أي: كثرة أصناف المستعدّين وما كلّ مستعدّ طالبًا. كما قيل: ما كلّ طبع قابلاً ولا كلّ قابل طالبًا، ولا كلّ طالب صابرًا، ولا كلّ صابر واجدًا.

﴿**وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ**﴾[2] إلى ذبح هذه البقرة.

وقولهم: ﴿**إِن شَاءَ اللَّهُ**﴾[3]، دليل على استعدادهم لعلمهم بأنّ الأمور متعلّقة بمشيئة الله، ميسرة بتوفيقه.

ولهذا قال رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–: «لو لم يستثنوا لما ظفروا بها أبد الدّهر».

﴿**لَّا ذَلُولٌ**﴾[4] غير مذللة، منقادة لأمر الشّرع ﴿**تُثِيرُ**﴾[5] أرض الاستعداد بالأعمال الصّالحة والعبادات، ﴿**وَلَا تَسْقِي**﴾[6] حرث المعارف والحكم التي فيها بالقوّة باستقاء ماء العلوم الكسبيّة والأفكار الثّاقبة، لعدم احتياج مثل هذه البقرة إلى الذّبح ﴿**مُسَلَّمَةٌ**﴾[7] سلّمها أهلها لترعى، غير مسوسة برسوم وعادات وشرائع وآداب ﴿**لَّا شِيَةَ فِيهَا**﴾[8]، أي لم يرسخ فيها اعتقاد ومذهب لعدم صلاحيتها للذّبح.

﴿**جِئْتَ بِالْحَقِّ**﴾[9] الثّابت في بيان المستعدّ المشتاق، الطّالب للكمال، ﴿**فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ**﴾[10] لكثرة سؤالاتهم ومبالغاتهم وتعمّقهم في البحث والتّفتيش عن حالها، وفضول كلامهم في بيانها التي تدلّ على عدم انقياد النّفس بالسّرعة، وإبائها للرّياضة، وغلبة الفضول عليها، وتعذّر مطلوبهم، وتأخّرهم عنه بسبب ذلك.

ولهذا قال رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–: «لو اعترضوا أدنى بقرة فذبحوها لكفتهم، ولكن شدّدوا، فشدّد الله عليهم»، أي: لو لم يكن منهم كثرة فضول البحث والسّؤال لما عزّ

---

[1] سورة البَقَرَة، الآية 70.
[2] سورة البَقَرَة، الآية 70.
[3] سورة البَقَرَة، الآية 70.
[4] سورة البَقَرَة، الآية 71.
[5] سورة البَقَرَة، الآية 71.
[6] سورة البَقَرَة، الآية 71.
[7] سورة البَقَرَة، الآية 71.
[8] سورة البَقَرَة، الآية 71.
[9] سورة البَقَرَة، الآية 71.
[10] سورة البَقَرَة، الآية 71.

عليهم مطلوبهم لقوة قبولهم وإرادتهم، فكان سلس القياد، سهل الانقياد، ونهى -صلّى الله عليه وسلّم- عن كثرة السّؤال، وقال -صلّى الله عليه وسلّم-: «إنّما هلك مَن كان قبلكم بكثرة السّؤال».

قال الله -تعالى-: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[1].

وقيل في قصّتها: إنّ شيخًا من بني إسرائيل نتجت له عجلة على هذه الصّفة، وكان له ابن طفل، فجاء بها إلى عجوز وقال إنّها لهذا الطّفل، سلميهما في مرعاها عساها تنفعه إذا بلغ.

فلمّا وقعت هذه الواقعة وسعى بنو إسرائيل في طلب البقرة أربعين سنة سمعت العجوز بها، فأخبرت ابنها بما فعل أبوه وقد ترعرع، فجاء إلى المرعى فوجدها، فأتى بها فساوموه في شرائها ومنعته العجوز عن بيعها حتّى اشتروها بملء مسكها ذهبًا.

فالشّيخ هو الرّوح، والعجوز الطّبيعة الجمسانيّة، وابنه الطّفل هو العقل الذي هو نتيجة الرّوح، والشّاب المقتول هو القلب.

سلّم شيخ الرّوح عجل النّفس إلى عجوز الطّبع ليرعى في مرعى اللذّات الطّبيعيّة، حتّى يكبر عسى طفل العقل أن ينتفع بها وقت البلوغ في انتزاع المعقولات من محسوساتها واستعمال الفكر الذي هو مَن قوّاها في اكتساب العلوم العقليّة.

وهو الذي جاء بها من المرعى وسعي بني إسرائيل أربعين سنة إشارة إلى السّير إلى الله بالأعمال والآداب والتّخلّق بالأخلاق، إلى أوان البلوغ الحقيقي، وتجرّد القلب، كما قال الله -تعالى-: ﴿بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾[2].

ومساومتهم إيّاها في شرائها إشارة إلى طلب القوى الرّوحانيّة المنوّرة بنور الهداية الشّرعيّة والإرادة، وانتزاعها من العقل المشوب بالوهم، واستعباد العقل إيّاها بالمقعولات القياسيّة، وتسخيرها بالفكريّات، وحجبها عن نور الهداية الشّرعيّة بالقياسات العقليّة، وعدم تحليتها بالشّرعيّات.

وهذا هو الموجب لتشدّدهم في السّؤال وتأخّرهم وتباطئهم في الامتثال. ومنع العجوز إياه هو ممانعة الطبع في الانقياد للشّرع، وموافقة العقل إيّاه في ذلك لرعاية العقل جانب الطّبع في مصالح المعاش وترفيهه إياه، وترخيصه والتّوسيع عليه أكثر من الشّرع. وبيعها بملء مسكها ذهبًا إشارة إلى تحليها بعد الذبح والسلخ بالعلوم النّافعة الشّرعيّة والعقليّة الخلقيّة والأحكام الفرعيّة

---

[1] **سورة المائدة، الآية 101.**

[2] **سورة الأحقاف، الآية 15.**

الدّينيّة، واشتمال صورتها عليها التي توافق العقل والطّبع وتنفعهما باستعمالهما إيّاها في تحصيل مصالح المعاش والمباغي الطّبيعيّة والمطالب العقليّة العمليّة بإذن الشّرع من الوجه الحلال والتّصرّف المباح وأنواع الرّخص في جميع التّمتّعات بعد حصول الكمال وتمام السّلوك.

[آية 72][1]

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ۖ﴾[2] إشارة إلى بيان سبب الأمر بذبح البقرة، وهو أنّه كان شيخ موسر من بني إسرائيل وله ابن شاب فقتله ابنا عمه، أو بنو عمه، طمعًا في ميراث أبيه وطرحوه بين أسباط بني إسرائيل على الطّريق، فتدافعوا في قتله، فورد الأمر بذبح البقرة وضربه ببعضها ليحيا، فيخبر بالقاتل.

فالشابّ هو القلب الذي هو ابن الرّوح الموسر بأموال المعارف والحكم، وقتله منعه عن حياته الحقيقية وإزالة العشق الحقيقي الذي هو حياته عنه باستيلاء قوّتي الشّهوة والغضب اللّذين هما ابنا عمّه النّفس الحيوانيّة أو جميع قواها عليه، إذ الرّوح والنّفس أخوان باعتبار فيضانهما وولادتهما من أب هو العقل الفعال المسمّى (روح القدس) على قياس ما ورد في الحديث: «أكرموا عمتكم النخلة، فإنّها خلقت من بقية طين آدم».

فإنّ النّفس النّباتيّة الكاملة التي إذا كانت عمّة النّفس الإنسانية، كانت النّفس الحيوانيّة عمتها. قتلاه طمعًا في استعمال المعاني العقليّة والحكم التي هي ميراث أبيه في تحصيل مطالبهما وكمالاتهما ولذّاتهما بأنواع الحيل والمكر وصناعة الفكر. وطرحاه على طرق القوى الرّوحانيّة والطّبيعيّة بين محالها وتدافعهم في قتله هو إحاله كلّ قوّة منها الفساد والإثم إلى الأخرى، والصّلاح والبراءة إلى نفسها لتنازعها وتجاذبها في أفعالها ولذاتها واحتجاب كلّ منها بما يلائمها عمّا يلائم الأخرى ورؤيتها الصّلاح فيه والفساد في ضدّه.

﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾[3] من نور القلب وحياته، بالاستيلاء عليه.

---

[1] ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ۖ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾.

[2] سورة البَقَرَة، الآية 72.

[3] سورة البَقَرَة، الآية 72.

[آية 73][1]

﴿**فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا** ۚ﴾[2] بذنبها أو لسانها، على ما ورد في القصّة، ليحيا، فيخبركم بالقاتل.

وضرب الذّنب إشارة إلى إماتة النّفس وتبقية أضعف قواها وآخرها، وجهتها التي تلي النّفس النّباتيّة ورابطتها بها، كالحسّ اللّمسي مثلاً وسائر الحواسّ الظّاهرة، فإنّها ذنبها.

وضرب اللّسان إشارة إلى تعديل أخلاقها وقواها وتبقية فكرها الذي هو لسانها، وهما طريقان طريق الرّياضة وإماتة الغضب والشّهوة، كما هو طريق التّصوّف، وهو بالنّفوس القويّة الجانية المستولية الطّاغية أوْلى، وطريق التّحصيل وتعديل الأخلاق كما هو سبيل العلماء والحكماء، وهو بالنّفوس الضّعيفة والصّافية المنقادة اللّينة أولى؛ فضربوه، فقام وأوداجه تشخب دمًا، وأخبر بقاتليه، أي: صار حيًّا قائمًا بالحياة الحقيقيّة وعليه أثر القتل لتعلّقه بالبدن وتلوّثه بمطالبه بحسب الضّرورة، وعرف حال القوى البدنيّة في منعها إيّاه عن إدراكه وحجبها له عن نوره.

﴿**كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ**﴾[3]، أي مثل ذلك الإحياء العظيم، يحيي الله موتى الجهل بالحياة الحقيقة العمليّة، ﴿**وَيُرِيكُمْ**﴾[4] دلائله وآيات صفاته لكي تعقلون.

[آية 74][5]

﴿**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم**﴾[6]، أي بعد تطاول الأمد، وتراخي مدّة الفترة، وتتابع التّلوينات، وتوالي النّزغات، قست قلوبكم بكثرة مباشرة الأمور واللذّات البدنيّة، وملابسة الصّفات

---

[1] ﴿**فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا** ۚ **كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾.

[2] **سورة البَقَرَة، الآية 73.**

[3] **سورة البَقَرَة، الآية 73.**

[4] **سورة البَقَرَة، الآية 73.**

[5] ﴿**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً** ۚ **وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ** ۚ **وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ** ۚ **وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ** ۗ **وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾.

[6] **سورة البَقَرَة، الآية 74.**

النّفسانيّة، ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ﴾[1] من عدم تأثّرها بالنّفش العلمي ﴿أَوْ﴾[2] شيء ﴿أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ﴾[3] منها، كالحديد مثلاً.

ثم بيّن أنّ الحجارة ألين منها بأنّ حالها منحصر في الوجوه الثّلاثة المذكورة، فأفاد أنّ القلوب أربعة قلب تنوّر بالنّور الإلهي منطمسًا فيه، واستغرق في البحر العلمي منغمسًا فيه، فانفجرت منه أنهار العلم، فمَن شرب منها يحيا أبدًا كقلوب أهل الله السّابقين.

وهو المشار إليه بقوله -تعالى-: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ۚ﴾[4]، وقلب ارْتوى من العلم، فحفظ ووعى، فانتفع به النّاس، كقلوب العلماء الرّاسخين، وهو المشار إليه بقوله: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ۚ﴾[5] وقلب خشعو وانقاد واستسلم وأطاع، كقلوب العبّاد والزهّاد من المسلمين، وهو المشار إليه بقوله: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۗ﴾[6]، وأدنى أحوال حاله هو الهبوط من خشية الله، أي الانقياد لما أمر الله من الميْل إلى المركز بالسّلاسة.

وبقي قلب لم يتأثّر قطّ بالعلم ولم يتليّن بالخوف آبيًا للهدى، متكبّرًا، ممتلئًا بالهوى، متمرّدًا، فلا يوجد من الجواهر ما يشبهه لقبول جميعها ما أمر الله به، فكيف بالحديد الذي يلين لما يراد منه؟!

قال النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير، أصاب أرضًا فكانت طائفة منها طيبة قبلت الماء وأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها طائفة أخاذات أمسكت الماء، فنفع الله بها النّاس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنّما هي قيعان لا تمسّك ماء ولا تنبت كلأ. فذلك مثل مَن فقه في الدّين فعلم وعلّم، ومثل مَن لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به».

فبيّن -صلّى الله عليه وسلّم- القلوب الثّلاثة الأخيرة، والأوّل من الأربعة هو القلب المحمّدي.

---

[1] سورة البَقَرَة، الآية 74.

[2] سورة البَقَرَة، الآية 74.

[3] سورة البَقَرَة، الآية 74.

[4] سورة البَقَرَة، الآية 74.

[5] سورة البَقَرَة، الآية 74.

[6] سورة البَقَرَة، الآية 74.

﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1] تهديد للقاسية قلوبهم، أي الله مطلع فيحجبهم عن نوره ويتركهم في ظلماتهم، والآيات التي تتلوها ظاهرة. وتأويل الأولى.

[آية 75 - 78][2]

﴿۞ أَفَتَطْمَعُونَ﴾[3] أن يوحّدوا بتوحيد الصّفات لأجل هدايتكم، ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾[4] يقبلون صفات الله، ثمّ يحرّفونها بنسبتها إلى أنفسهم ﴿مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾[5]، أي علموا توحيد الصّفات وما وجدوه بالعيان، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[6] أنّ تلك الصفات لله، لكن نفوسهم ينتحلونها بالإشراك حالة ذهول العقل عن استيلائها على القلب لعدم كون توحيدهم ملكة وحالاً، بل علمًا.

[آية 79][7]

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾[8]، أي ويل لمن بقيت منه بقايا صفات النّفس، وهو لا يشعر بها أو يشعر، فيحتفل أو لا يحتفل بها، فيفعل ويقول بنفسه وصفاتها، ويدّعي أنّه

---

1 سورة البَقَرَة، الآية 74.

2 ﴿۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ *وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ * وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾.

3 سورة البَقَرَة، الآية 75.

4 سورة البَقَرَة، الآية 75.

5 سورة البَقَرَة، الآية 75.

6 سورة البَقَرَة، الآية 75.

7 ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾.

8 سورة البَقَرَة، الآية 79.

من عند الله ليكتسب به حظًّا من حظوظ النّفس، بل عين ذلك القول والفعل ونسبته إلى الله حظّ تامّ لها وذنب لا ذنب أقوى منه.

ويمكن أن تؤوّل الآيات الثّلاث الأُوَل على الوجه الثّاني المبنيّ على التّطبيق، فيقال أفتطمعون، أيّتها القوى الرّوحانيّة، أن تؤمن هذه القوى النّفسانيّة لأجل هدايتكم منقادة.

وقد كان فريق منهم كالوهم والخيال يسمعون كلام الله، أي يتلقّفون المعاني الواردة من عند الله على القلب، ثمّ يحرّفونه بالمحاكاة وكثرة الانتقالات وجعلها جزئيّة، وإعطائها أحكام الجزئيّات، كما في المنامات والواقعات.

من بعد ما عقلوه، أي أدركوه على حاله، وهم يعلمون تحريفها وانتقالاتها إلى اللّوازم والأشباه والأضداد.

وإذا لقوكم بالتّوجّه نحوكم، وتلقن مدركاتكم عند حضوركم، ومشايعتها إيّاكم، وعروجها، أذعنوا وصدقوا.

﴿**وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ**﴾[1] في أوقات الغفلات، منع بعضهم بعضًا عن إلقاء ما فتح الله عليهم من مدركاتهم المحسوسة والمخيّلة والموهومة ليركبوا منها الحجج ويحاجوهم بها في الحضرة الرّوحانيّة عند ربهم.

﴿**أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ**﴾[2] عنكم من مدركاتهم ﴿**وَمَا يُعْلِنُونَ**﴾[3]، فيطلعكم عليها وينصركم عليهم، ﴿**وَمِنْهُمْ**﴾[4]، أي القوى الطّبيعيّة الغير المدركة والحواسّ الظّاهرة ﴿**لَا يَعْلَمُونَ**﴾[5] كتاب المعاني المعقولة، ﴿**إِلَّا أَمَانِيَّ**﴾[6] لذّاتهم وشهواتهم وما يتيقّنون خاتمة عاقبتها ومضرّتها في طريق الكمال، بل يظنّون نفعها وخيريّتها.

---

[1] **سورة البَقَرَة، الآية 76.**

[2] **سورة البَقَرَة، الآية 77.**

[3] **سورة البَقَرَة، الآية 77.**

[4] **سورة البَقَرَة، الآية 78.**

[5] **سورة البَقَرَة، الآية 78.**

[6] **سورة البَقَرَة، الآية 78.**

[آية 80 - 82][1]

﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ﴾[2] إلى آخر الآية.

اعتقدوا أنّ زمان العقاب يساوي زمان مباشرة الذّنب، ولم يعلموا أنّ الذّنب إذا كان معتقدًا فاسدًا، ثابتًا في النّفس، وهيئة راسخة فيها، وصار ملكة كصورة ذاتيّة لها، كان سببًا لتخليد العذاب.

وهو معنى قوله -تعالى-: ﴿وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾[3]، أي استولت عليه واستوعبت كالسّواد المستوعب للثّوب.

ولو لم يكن كذلك، لما كانت الطّاعة أيضًا سبب خلود الثّواب.

[آية 83][4]

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[5] عاهدناهم بالتّوحيد.

ومقتضى التّوحيد: ملاحظة الحضرة الرّبوبيّة ومشاهدة تجلّياتها في مظاهرها، والقيام بحقّها على حسب ظهور أوْصافها.

وأوّل مَن يظهر عليه صفات الرّبوبيّة وآثارها في الظّاهر وعالم الشّهادة هما الأبوان لمكان النّسبة والتّربية والعطوفيّة، التي هي آثار الموجد الربّ الرّحيم فيهما له.

فالإحسان إليهما يجب أن يلي عبادة الله بحسب ظهوره في مظهريهما، ثمّ ذوي القربى لظهور المواصلة والمرحمة الإلهيّة فيهم بالنّسبة إليه، ثمّ اليتامى لاختصاص ولايته وحفظه -تعالى- بهم فوق من عداهم، إذ هو وليّ من لا وليّ له، ثمّ المساكين لتوليته رعايتهم ورزقهم بنفسه بلا

---

[1] ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[2] سورة البَقَرَة، الآية 80.

[3] سورة البَقَرَة، الآية 81.

[4] ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾.

[5] سورة البَقَرَة، الآية 83.

واسطة غيره، ثمّ سائر الناس للرّحمة العامّة بينهم التي هي ظلّ الرّحمانيّة؛ فالإحسان المأمور به في الآية على درجاته وتفاضله في مراتبه هو تخصيص العبادة بالله، مع مشاهدة صفاته في مظاهرها، ورعاية حقوق تجلّياتها وأحكامها.

[آية 84][1]

﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ**﴾[2] بهواكم إلى مقارّ النّفس وصفاتها وميلكم إلى هواها وطباعها، ومتاركتكم حياتكم الحقيقيّة، وخواصّ أفعالكم لأجل تحصيل مآربها ولذّاتها، ﴿**وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم**﴾[3]، أي: ذواتكم؛ إذ يعبّر بالنّفس عن الذّات ﴿**مِّن دِيَارِكُمْ**﴾[4]، أي مقاركم الرّوحانيّة والرّوضات القدسيّة؛ ﴿**ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ**﴾[5] بقبولكم لذلك، ﴿**وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ**﴾[6] عليه باستعداداتكم الأوّليّة وعقولكم الفطريّة.

[آية 85 - 86][7]

---

[1] ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾.

[2] سورة البَقَرَة، الآية 84.

[3] سورة البَقَرَة، الآية 84.

[4] سورة البَقَرَة، الآية 84.

[5] سورة البَقَرَة، الآية 84.

[6] سورة البَقَرَة، الآية 84.

[7] سورة البَقَرَة ، الآية .

﴿**ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ**﴾[1] السّاقطون عن الفطرة، المحتجبون عن نور الاستعداد الأصلي، ﴿**تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ**﴾[2] بغوايتكم ومتابعتكم للهوى، ﴿**وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ**﴾[3] أوْطانهم القديمة الأصليّة، بإغوائهم وإضلالهم وتحريضهم على ارتكاب المعاصي واتّباع الهوى، ﴿**تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم**﴾[4] تتعاونون عليهم ﴿**بِالْإِثْمِ**﴾[5]، بارْتكاب الفواحش والمعاصي ليروكم فيتّبعوكم فيها، ﴿**وَالْعُدْوَانِ**﴾[6] والاستطالة على النّاس ليتعدّى إليهم ظلمكم، وإلزامكم إيّاهم رذائل القوتين البهيمية والسبعية وتحريضكم لهم عليها، وتزيينكم لهم إيّاها كما هو عادة ملاحدة المسلمين من أهل الإباحة المدّعين للتّوحيد.

﴿**وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ**﴾[7] في قيد تبعات ارتكبوها وشين أفعالهم القبيحة، أخذتكم الندامة وعيرتهم عقولهم وعقول أبناء جنسهم بما لحقهم من العار والشّنار، ﴿**تُفَادُوهُمْ**﴾[8] بكلمات الحكمة والموعظة والنّصيحة الدالّة على أنّ اللذّات المستعلية هي العقليّة والرّوحيّة، وعاقبة إتّباع الهوى والنّفس والشّيطان وخيمة، ومشاركة البهائم والهوام في أفعالها مذمومة رديئة، فيتيقّظوا بها ويتخلّصوا من قيد الهوى سويعة، كما نشاهد من حال علوج مدّعي التّوحيد والمعرفة والحكمة وأتباعهم في زماننا هذا.

﴿**أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ**﴾[9]، أي كتاب العقل والشّرع قولاً وإقرارًا، فتقرّون به وتصدّقونه، وهو أنّ اتّباع الهوى والنّفس مذموم، موجب للوبال والهلاك والخسران، ﴿**وَتَكْفُرُونَ**

---

[1] ﴿**ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾.

[2] سورة البَقَرَة، الآية 85.

[3] سورة البَقَرَة، الآية 85.

[4] سورة البَقَرَة، الآية 85.

[5] سورة البَقَرَة، الآية 85.

[6] سورة البَقَرَة، الآية 85.

[7] سورة البَقَرَة، الآية 85.

[8] سورة البَقَرَة، الآية 85.

[9] سورة البَقَرَة، الآية 85.

﴿بِبَعْضٍ ۚ﴾[1] فعلاً وعملاً، فلا تنتهون عمّا نهاكم عنه، وهو إباحتهم واستحلالهم للمحرّمات والمنهيّات؛ ﴿فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ﴾[2] افتضاح وذلّة ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[3]، أي: حال المفارقة التي هي القيامة الصّغرى، ﴿يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ﴾[4] الذي هو تعذيبهم بالهيئات المظلمة الرّاسخة في نفوسهم واحتراقهم بنيرانها أو مسخهم عن صورهم بالكلّية، وتضاعف البليّة.

﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ﴾[5] عن أعمالكم، أحصاها وضبطها في أنفسكم وكتبها عليكم، كما قال -تعالى-: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ۚ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ﴾[6].

[آية 87 - 101][7]

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾[8] إلى قوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾[9] ظاهر ومعلوم ممّا مرّ.

---

[1] سورة البَقَرَة، الآية 85.

[2] سورة البَقَرَة، الآية 85.

[3] سورة البَقَرَة، الآية 85.

[4] سورة البَقَرَة، الآية 85.

[5] سورة البَقَرَة، الآية 85.

[6] سورة المجادلة، الآية 6.

[7] ﴿۞ وَلَقَدْ جَاءَكُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ * وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا ۖ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ * قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ * مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ * وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ * أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾,

[8] سورة البَقَرَة، الآية 87.

والظّاهر أنّ جبرائيل هو العقل الفعال.

وميكائيل هو روح الفلك السّادس، وعقله المفيض للنّفس النّباتيّة الكلّيّة الموكلة بأرزاق العباد.

وإسرافيل هو روح الفلك الرّابع، وعقله المفيض للنّفس الحيوانيّة الكلّيّة، والموكلة بالحيوانات.

وعزرائيل هو روح الفلك السّابع الموكل بالأرواح الإنسانيّة كلّها، يقبضها بنفسه أو بالوسائط التي هي أعوانه ويسلّمها إلى الله -تعالى-.

[آية 102][1]

﴿**وَاتَّبَعُوا**﴾[2]، أي: اتّبع اليهود والقوى الرّوحانيّة، ﴿**مَا تَتْلُو**﴾[3] شياطين الإنس الذين هم المتمرّدة العصاة الأشرار، الأقوياء، وشياطين الجنّ وهم الأوهام والخيالات والمتخيّلات المحجوبة عن نور الرّوح، العاصية لأمر العقل المتمرّدة عن طاعة القلب ﴿**عَلَىٰ**﴾[4] عهد ﴿**مُلْكِ سُلَيْمَانَ** ۖ﴾[5] النّبيّ أو سليمان الرّوح من كتب السّحر وعلومه، يزعمون أنّه علم سليمان وبه استولى على الملك وسخّر ما سخّر من الجنّ والإنس والطّير وعلم الحيل والشّعبذة والموهومات والمتخيّلات والسّفسطة.

---

9 سورة البَقَرَة، الآية **101**.

1 ﴿**وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾.

2 سورة البَقَرَة، الآية **102**.

3 سورة البَقَرَة، الآية **102**.

4 سورة البَقَرَة، الآية **102**.

5 سورة البَقَرَة، الآية **102**.

﴿**وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ**﴾[1] بإسناد التّأثير إلى غير الله، إذ السّحر كفر واحتجاب عن مؤثريّة الله، بإسناد التّأثير إلى غيره، ﴿**وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا**﴾[2] احتجبوا، ولم يعلموا أنّ لا مؤثّر إلاّ الله ﴿**يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ**﴾[3]، أي العقل النّظري والعملي المائلين إلى النّفس المنكوسين من بئر الطّبيعة لتوجّههما إليها باستجذاب النّفس إيّاهما إليها ﴿**بِبَابِلَ**﴾[4] الصّدر المعذّبين بضيق المكان بين أبخرة الموادّ وأدخنة نيران الشّهوات من العلوم والأعمال من باب الحيل والنّيرنجات والطّلسمات على التّأويلين، ﴿**وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ**﴾[5] امتحان وبلاء من الله لقوّة النّوريّة وبقيّة الملكوتيّة فيهما، فينبّهان على حالهما بالنّور العقليّ.

﴿**فَلَا تَكْفُرْ**﴾[6] باستعمال هذا العلم في المفاسد والمناهي وإسناد التّأثير إليه، ﴿**فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ**﴾[7] القلب والنّفس، وبين الرّوح والنّفس، وتكدير القلب.

﴿**وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾[8]، أي: إلاّ إذا أراد الله أن يضرّه عند ذلك الفعل، فيفعل ما يريد ويكون زيادة ابتلاءً للسّاحر وإمهالاً له في كفره واحتجابه لرؤيته ذلك من تأثير سحره.

﴿**وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ**﴾[9] بزيادة الاحتجاب وشدّة الميل والهوى، ﴿**وَلَا يَنفَعُهُمْ**﴾[10] في رفع الحجاب برؤيتهم ذلك ابتلاء من الله واستعاذاتهم بالله ليقيهم من شرّه.

﴿**وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ**﴾[11]، أي: نصيب، لإقباله على النّفس والهوى بالكلّية واستعمال ذلك في اكتساب حطام الدّنيا وتمتّعاتها.

---

[1] **سورة البَقَرَة، الآية 102.**
[2] **سورة البَقَرَة، الآية 102.**
[3] **سورة البَقَرَة، الآية 102.**
[4] **سورة البَقَرَة، الآية 102.**
[5] **سورة البَقَرَة، الآية 102.**
[6] **سورة البَقَرَة، الآية 102.**
[7] **سورة البَقَرَة، الآية 102.**
[8] **سورة البَقَرَة، الآية 102.**
[9] **سورة البَقَرَة، الآية 102.**
[10] **سورة البَقَرَة، الآية 102.**
[11] **سورة البَقَرَة، الآية 102.**

[آية 103 - 105][1]

﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا**﴾[2] برؤية الأفعال من الله، ﴿**وَاتَّقَوْا**﴾[3] الشّرك بنسبة التّأثير إلى غيره، ﴿**لَمَثُوبَةٌ**﴾[4] دائمة كائنة ﴿**مِّنْ عِندِ اللَّهِ**﴾[5] من الأنوار الرّوحيّة، والمواهب الفتوحيّة، والأحوال القلبيّة، والمعارف الإلهيّة ﴿**خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾[6].

[آية 106 - 107][7]

﴿**۞ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ**﴾[8] بإبطال حكمها وإبقاء لفظها ومعناها، أو لفظها دون معناها، كآية الرجم ﴿**نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا**﴾[9]، أي: بما هو أصلح في بابه منها في بابها أو يساويها في الخير والصّلاح.

واعلم أنّ الأحكام المثبتة في اللّوح المحفوظ إمّا مخصوصة وإمّا عامة؛ والمخصوصة إمّا أن تختصّ بحسب الأشخاص، وإمّا أن تختصّ بحسب الأزمنة.

---

[1] ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا ۗ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ * مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾.

[2] سورة البَقَرَة، الآية **103**.

[3] سورة البَقَرَة، الآية **103**.

[4] سورة البَقَرَة، الآية **103**.

[5] سورة البَقَرَة، الآية **103**.

[6] سورة البَقَرَة، الآية **103**.

[7] ﴿**۞ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ**﴾.

[8] سورة البَقَرَة، الآية **106**.

[9] سورة البَقَرَة، الآية **106**.

فإذا نزلت بقلب الرّسول، فالتي تختصّ بالأشخاص تبقى بقاء الأشخاص، والتي تختصّ بالأزمنة تنسخ وتزال بانقراض تلك الأزمنة، قصيرة كانت كمنسوخات القرآن، أو طويلة كأحكام الشّرائع المتقدّمة.

ولا ينافي ذلك ثبوتها في اللّوح إذ كانت فيه كذلك، والعامّة تبقى ما بقي الدّهر كتكلم الإنسان واستواء قامته مثلاً.

﴿**أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** ۗ﴾[1]، أي: له ملك سموات عالم الأرواح وأرض الأجساد، وهو المتصرّف فيهما بيد قدرته، بل كلّه ظاهره وباطنه فلم يبق شيء غيره ينصركم ويليكم.

[آية 108 - 112][2]

﴿**أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ**﴾[3] من قبل اللذّات الدّينيّة الحسيّة والشّهوات الخسيسة النّفسيّة: ﴿**كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ** ۗ **وَمَن يَتَبَدَّلِ**﴾[4] الظّلمة بالنّور: ﴿**فَقَدْ ضَلَّ**﴾[5] الطّريق المستقيم.

﴿**وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ** ۗ﴾[6]، أي: قالت اليهود: لن يدخل الجنّة المعهودة عندهم، أي: جنّة الظّاهر وعالم الملك التي هي جنّة الأفعال وجنّة النّفس، إلاّ مَن كان هودًا.

---

[1] سورة البَقَرَة، الآية **107**.

[2] ﴿**أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ** ۗ **وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ * وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ** ۖ **فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ** ۗ **إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ** ۚ **وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ** ۗ **إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ** ۗ **تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ** ۗ **قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾.

[3] سورة البَقَرَة، الآية **108**.

[4] سورة البَقَرَة، الآية **108**.

[5] سورة البَقَرَة، الآية **108**.

[6] سورة البَقَرَة، الآية **111**.

وقالت النّصارى: لن يدخل الجنّة المعهودة عندهم، أي: جنّة الباطن وعالم الملكوت التي هي جنّة الصّفات، وجنّة القلب إلاّ مَن كان نصرانيًّا.

ولهذا قال عيسى –عليهم السّلام– في دعوتهم إلى جنّتهم: "لن يلج ملكوت السموات من لم يولد مرتين"، وكانت دعوته إلى السّماء، أي السّماء الرّوحانيّة.

﴿**تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ**﴾[1]، أي: غاية مطالبهم التي وقفوا على حدّها واحتجبوا بها عما فوقها.

﴿**قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ**﴾[2]، أي: دليلكم الدالّ على نفي دخول غيركم جنّتكم، ﴿**إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾[3] في دعواكم، بل الدّليل دلّ على نقيض مدعاكم.

فإنّ ﴿**مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ**﴾[4]، أي: ذاته الموجودة مع جميع لوازمها وعوارضها ﴿**لِلَّهِ**﴾[5] بالتّوحيد الذّاتي عند المحو الكلّي والفناء في ذات الله، ﴿**وَهُوَ مُحْسِنٌ**﴾[6]، أي: مستقيم في أحواله بالبقاء بعد الفناء، مشاهد ربّه في أعماله، راجع من الشّهود الذّاتي إلى مقام الإحسان الصّفاتيّ الذي هو المشاهدة بالوجود الحقّاني لمكان الاستقامة والعبادة، لا بالوجود النّفساني؛ ﴿**فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ**﴾[7]، أي: ما ذكرتم من الجنّة وأصفى وألذّ لاختصاصها بمقام العنديّة، أي المشاهدة التي احتجبتهم عنها.

﴿**وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾[8]، أي: وزيادة على ما لكم من الجنّة وهو عدم خوفهم من احتجاب الذّات وبقاء النّفس اللاّزم لوجود بقيتهم وعدم حزنهم على ما فاتهم بسبب الوقوف بحجاب جنّة الأفعال، والصّفات والتّلذّذ بها، والاستراحة فيها، والاستدامة إليها من شهود جمال الذّات.

فإنّهم، وإن تركوها بالشّوق إلى تجلّي الذّات، فإنّها حاصلة لهم، وأدْنى مقامهم تحت جنّة الذّات.

---

[1] **سورة البَقَرَة، الآية 111.**

[2] **سورة البَقَرَة، الآية 111.**

[3] **سورة البَقَرَة، الآية 111.**

[4] **سورة البَقَرَة، الآية 112.**

[5] **سورة البَقَرَة، الآية 112.**

[6] **سورة البَقَرَة، الآية 112.**

[7] **سورة البَقَرَة، الآية 112.**

[8] **سورة البَقَرَة، الآية 112.**

[آية 113 - 114][1]

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾[2]، لاحتجاجهم بدينهم عن دينهم، وكذا قالت النّصارى لاحتجاجهم بالباطن عن الظّاهر، كما احتجب اليهود بالظّاهر عن الباطن على ما هو حال أهل المذاهب اليوم في الإسلام.

﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ۗ﴾[3]، وفيه ما يرشدهم إلى رفع الحجاب، ورؤية حقّ كلّ دين ومذهب.

وليس أهل ذلك الدّين والمذهب حقّهم بباطل لتقيدهم بمعتقدهم، فما الفرق بينهم وبين الذين لا علم لهم ولا كتاب، كالمشركين؟ فإنّهم يقولون مثل قولهم، بل هم أعذر، إذ ليس عليهم إلاّ حجّة العقل، وهم بحجّة العقل والشّرع.

﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾[4] بالحقّ في اختلافاتهم ﴿يَوْمَ﴾[5] قيام ﴿الْقِيَامَةِ﴾[6] الكبرى وظهور الوحدة الذّاتيّة عند خروج المهدي –عليه السّلام–.

وفي الحديث ما معناه: "إنّ الله يتجلّى لعباده في صورة معتقداتهم فيعرفونه، ثمّ يتحوّل عن صورته إلى صورة أخرى فينكرونه"، وحينئذ يكونون كلّهم ضالّين محجوبين، إلاّ ما شاء الله، وهو الموحّد الذي لم يتقيّد بصورة معتقده.

---

[1] ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا ۚ أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ۚ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

[2] سورة البَقَرَة، الآية 113.

[3] سورة البَقَرَة، الآية 113.

[4] سورة البَقَرَة، الآية 113.

[5] سورة البَقَرَة، الآية 113.

[6] سورة البَقَرَة، الآية 113.

﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ**﴾[1]، أي: أنقص حقًّا وأبخس حظًّا ﴿**مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ**﴾[2]، أي: مواضع سجود الله التي هي القلوب التي يعرف فيها فيسجد بالفناء الذّاتي ﴿**أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ**﴾[3] الخاصّ الذي هو الاسم الأعظم، إذ لا يتجلّى بهذا الاسم إلاّ في القلب، وهو التّجلّي بالذّات مع جميع الصّفات أو اسمه المخصوص بكلّ واحد منها، أي الكمال اللاّئق باستعداده المقتضي له.

﴿**وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا** ۚ﴾[4] بتكديرها بالتّعصّبات الباردة وغلبة واستيلاء التّمنّيات عليها، ومنع أهلها المستعدين عنها بالهرج والمرج وتهييج الفتن اللاّزمة لتجاذب قوى النّفس ودواعي الشّيطان والوهم.

﴿**أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ** ۚ﴾[5] ويصلوا إليها، أي: منكسرين لظهور تجلّي الحقّ فيها ﴿**لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ**﴾[6]، أي: افتضاح وذلّة بظهور بطلان دينهم ومعتقدهم، وفسخه بدين الحقّ وانقهارهم وتحسّرهم ومغلوبيّتهم.

﴿**وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾[7] هو الاحتجاب عن الحقّ بدينهم.

[آية 115][8]

﴿**وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ**﴾[9]، أي: عالم النّور والظّهور الذي هو جنّة النّصارى، وقبلتهم بالحقيقة هو باطنه؛ ﴿**وَالْمَغْرِبُ** ۚ﴾[10]، أي: عالم الظّلمة والاختفاء الذي هو جنّة اليهود وقبلتهم بالحقيقة هو ظاهره.

---

[1] سورة البَقَرَة، الآية 114.

[2] سورة البَقَرَة، الآية 114.

[3] سورة البَقَرَة، الآية 114.

[4] سورة البَقَرَة، الآية 114.

[5] سورة البَقَرَة، الآية 114.

[6] سورة البَقَرَة، الآية 114.

[7] سورة البَقَرَة، الآية 114.

[8] ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

[9] سورة البَقَرَة، الآية 115.

[10] سورة البَقَرَة، الآية 115.

﴿**فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا**﴾[1]، أي: أيّ جهة تتوجّهوا من الظّاهر والباطن، ﴿**فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ** ۚ﴾[2]، أي: ذات الله المتجلّية بجميع صفاته، أو ولله الإشراق على قلوبكم بالظّهور فيها والتّجلّي لها بصفة جماله حالة شهودكم وفنائكم، والغروب فيها بتستّره واحتجابه بصورها وذواتها، واختفائه بصفة جلاله حالة بقائكم بعد الفناء.

فأيّ جهة تتوجّهوا حينئذ، فثمّ وجهه، لم يكن شيء إلاّ إيّاه وحده.

﴿**إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ**﴾[3] جميع الوجود شامل لجميع الجهات والوجودات، ﴿**عَلِيمٌ**﴾[4] بكلّ العلوم والمعلومات.

[آية 116 - 117][5]

﴿**وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا** ۗ﴾[6]، أي: أوجد موجودًا مستقلاً بذاته مخصوصًا دونه، ﴿**سُبْحَانَهُ** ۖ﴾[7] ننزّهه عن أن يكون غيره شيء فضلاً عمّا يجانسه.

﴿**بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** ۖ﴾[8]، أي: له عالم الأرواح والأجساد، وهي باطنه وظاهره، كما تقول: له الذّات والوجه والصّفات وأمثال ذلك.

﴿**كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ**﴾[9] موجودون بوجوده، فاعلون بفعله، معدومون بذواتهم، وهو غاية الطّاعه والقيام بحقّه، إذ هو الوجود المطلق، فلا يوجد بدونه شيء.

---

[1] سورة البَقَرَة، الآية 115.

[2] سورة البَقَرَة، الآية 115.

[3] سورة البَقَرَة، الآية 115.

[4] سورة البَقَرَة، الآية 115.

[5] ﴿**وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا** ۗ **سُبْحَانَهُ** ۖ **بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** ۖ **كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ * بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** ۖ **وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ**﴾.

[6] سورة البَقَرَة، الآية 116.

[7] سورة البَقَرَة، الآية 116.

[8] سورة البَقَرَة، الآية 116.

[9] سورة البَقَرَة، الآية 116.

والوجودات المعيّنة صفاته وأسماؤه، لامتيازها بتعيناتها التي هي أمور إمكانيّة عدميّة ليست عينه بالاعتبار العقلي الذي يقسّمها إلى الوجود والماهيّة التي هي بدون الوجود ليست شيئًا في الخارج، لكن في العقل.

والعقليّات باطنه، فهي في الحقيقة ليست غيره، فلا يكون غيره موجودًا حتّى يكون ولدًا، أي: معلولاً أو مخلوقًا أو ما شئت فسمّه.

﴿**بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** ۖ﴾[1]، أي: مبدع سمواته وأرضه غير مسبوقة بمادّة ومدّة، بل هي ظلال ذاته ومنشأ عالميّته منوّرة باسمه النّوراني، موجودة بوجوده الخارجي.

ولو لم يكن جهات الإمكان واعتبارات العقل بحسب اليقينيّات، لما اعتبرت وجوداتها أصلاً، إذ هي بلا هو غير شيء؛ فلا تكون معه موجودة بالمقارنة، بل بالتّحقيق بوجوده؛ ولا تكون غيره بالمفارقة، بل بالاعتبار العقلي. فهي باعتبار تعيّناتها خلق، وباعتبار حقيقتها حقّ.

﴿**وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا**﴾[2]، أي حكم به، ﴿**فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ**﴾[3]، أي: فلا يكون إلاّ تعلّق إرادته به، فيوجد بلا تخلّل زمان ولا توسّط شيء، بل معًا.

وذلك التّعلّق هو قوله، وإلاّ لم يكن ثمّ قول ولا صوت.

[آية 118 - 124][4]

---

[1] **سورة البَقَرَة، الآية 117.**

[2] **سورة البَقَرَة، الآية 117.**

[3] **سورة البَقَرَة، الآية 117.**

[4] **﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ * إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ * الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ * وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ * ۞ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾.**

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1] علم التّوحيد من المشركين، ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ ۗ﴾[2] إلى قوله: ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ﴾[3] في الجهل بعلم التّوحيد وبكلام الله وآياته، إذ العلم بهما فرع علم التّوحيد، ﴿قَدْ بَيَّنَّا﴾[4] دلائل التّوحيد وكيفيّة المكالمة لأهل الإيقان.

﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾[5]، أي: ولا تؤخذ باحتجابهم وما عليك أن تنقذهم من ظلمات حجبهم، إنّما عليك أن تدعوهم بالبشارة والإنذار.

﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۗ﴾[6]، أي: طريق الوحدة المخصوصة بالحقّ هو الطّريق لا غير، كما قال عليّ –رضي الله عنه–: "اليمين والشّمال مضلّة، والطّريق الوسطى هي الجادّة".

﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ﴾[7]، أي: من علم التّوحيد والمعرفة، ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[8] لامتناع وجود غيره.

﴿۞ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾[9]، أي: بمراتب الرّوحانيّات، كالقلب والسرّ والرّوح والخفاء والوحدة والأحوال والمقامات، التي يعبّر بها على تلك المراتب، كالتّسليم والتّوكّل والرّضا وعلومها، ﴿فَأَتَمَّهُنَّ ۖ﴾[10] بالسّلوك إلى الله وفي الله حتّى الفناء.

﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ﴾[11] بالبقاء بعد الفناء، والرّجوع إلى الخلق من الحقّ تؤمّهم وتهديهم سلوك سبيلي ويقتدون بك فيهتدون.

﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ﴾[12]، أي: واجعل بعض ذرّيتي أيضًا إمامًا.

---

[1] سورة البَقَرَة، الآية 118.
[2] سورة البَقَرَة، الآية 118.
[3] سورة البَقَرَة، الآية 118.
[4] سورة البَقَرَة، الآية 118.
[5] سورة البَقَرَة، الآية 119.
[6] سورة البَقَرَة، الآية 120.
[7] سورة البَقَرَة، الآية 120.
[8] سورة البَقَرَة، الآية 120.
[9] سورة البَقَرَة، الآية 124.
[10] سورة البَقَرَة، الآية 124.
[11] سورة البَقَرَة، الآية 124.
[12] سورة البَقَرَة، الآية 124.

﴿قَالَ﴾[1] قد يكون منهم ظالمون، و﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي﴾[2] إيّاهم، أي: لا يكونون خلفائي ولا أعهد إلى الظّالمين بالإمامة.

[آية 125][3]

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ﴾[4] القلب ﴿مَثَابَةً﴾[5]، أي: مرجعًا ومبوّأ، ﴿لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾[6]، ومحلّ أمن أو سبب أمن وسلامة لهم يأمنون بالوصول إليه والسّكون فيه شرّ غوائل صفات النّفس وفتْك فتّاك القوى الطّبيعيّة وإفسادها، وتخييل شياطين الوهْم والخيال، وإغوائهم ومكائدهم.

﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾[7] الذي هو ومقام الرّوح مقام الخلّة ﴿مُصَلًّى ۖ﴾[8] موطنًا للصّلاة الحقيقيّة التي هي المشاهدة والمواصلة الإلهيّة والخلّة الذّوقيّة.

﴿وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾[9] أمرناهما بتطهير بيت القلب من قاذورات أحاديث النّفس، ونجاسات وساوس الشّيطان، وأرجاس دواعي الهوى، وأدناس صفات القوى ﴿لِلطَّائِفِينَ﴾[10]، أي: للسّالكين المشتاقين الذين يدورون حول القلب في سيرهم، ﴿وَالْعَاكِفِينَ﴾[11] الواصلين إلى مقام القلب بالتّوكّل الذي هو توحيد الأفعال المقيمين فيه بلا

---

[1] سورة البَقَرَة، الآية 124.

[2] سورة البَقَرَة، الآية 124.

[3] ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾.

[4] سورة البَقَرَة، الآية 125.

[5] سورة البَقَرَة، الآية 125.

[6] سورة البَقَرَة، الآية 125.

[7] سورة البَقَرَة، الآية 125.

[8] سورة البَقَرَة، الآية 125.

[9] سورة البَقَرَة، الآية 125.

[10] سورة البَقَرَة، الآية 125.

[11] سورة البَقَرَة، الآية 125.

تلوينات النّفس وإزعاجها منه، ﴿**وَالرُّكَّعِ**﴾[1]، أي: الخاضعين الذين بلغوا إلى مقام تجلّي الصّفات، وكمال مرتبة الرّضا والسّجود الفانين في الوحدة.

[آية 126][2]

﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا**﴾[3] الصّدر الذي هو حرم القلب ﴿**بَلَدًا آمِنًا**﴾[4] من استيلاء صفات النّفس واغتيال العدوّ اللّعين، وتخطف جن القوى البدنيّة أهله، ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ﴾[5] من ثمرات معارف الرّوح أو حكمه وأنواره ﴿**مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ** ۖ﴾[6] من وحد الله منهم وعلم المعاد.

﴿**قَالَ وَمَن كَفَرَ**﴾[7]، أي: ومَن احتجب أيضًا من الذين سكنوا الصّدر ولا يجاوزون حدّه بالتّرقّي إلى مقام العين لاحتجابهم بالعلم الذي وعاؤه الصّدر، ﴿**فَأُمَتِّعُهُ**﴾[8] تمتيعًا ﴿**قَلِيلًا**﴾[9] من المعاني العقليّة، والمعلومات الكلّيّة النّازلة إليهم من عالم الرّوح على قدر ما تعيشوا به.

﴿**ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ**﴾[10] نار الحرمان والحجاب، ﴿**وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾[11] مصيرهم، لتعذّبهم بنقصانهم وتألّمهم بحرمانهم.

---

[1] سورة البَقَرَة، الآية 125.

[2] ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

[3] سورة البَقَرَة، الآية 126.

[4] سورة البَقَرَة، الآية 126.

[5] سورة البَقَرَة، الآية 126.

[6] سورة البَقَرَة، الآية 126.

[7] سورة البَقَرَة، الآية 126.

[8] سورة البَقَرَة، الآية 126.

[9] سورة البَقَرَة، الآية 126.

[10] سورة البَقَرَة، الآية 126.

[11] سورة البَقَرَة، الآية 126.

[آية 127 - 133][1]

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾[2]، قيل: إنّ الكعبة أنزلت من السّماء في زمان آدم ولها بابان إلى المشرق والمغرب، فحجّ آدم –عليه السّلام– من أرض الهند واستقبله الملائكة أربعين فرسخًا، فطاف بالبيت ودخله.

ثمّ رفعت في زمان طوفان نوح –عليه السّلام–، ثمّ أنزلت مرة أخرى في زمان إبراهيم – صلوات الله عليه–، فزارها ورفع قواعدها وجعل بابيها بابًا واحدًا.

وقيل: ثمّ تمخّض أبو قبيس فانشق عن الحجر الأسود، وكان ياقوتة بيضاء من يواقيت الجنّة نزل بها جبرائيل، فخبّئت فيه في زمان الطّوفان إلى زمن إبراهيم –عليه السّلام–، فوضعه إبراهيم مكانه، ثمّ اسودّ بملامسة النّساء الحيض.

فنزولها في زمان آدم إشارة إلى ظهور القلب في زمانه بوجوده عليه.

وكونه ذا بابين شرقي وغربي إشارة إلى ظهور علم المبدأ والمعاد، ومعرفة عالم النّور، وعالم الظلمة في زمانه دون علم التّوحيد.

وقصده زيارتها من أرض الهند إشارة إلى توجهه بالتكوين والاعتدال من عالم الطّبيعيّة الجسمانيّة المظلمة إلى مقام القلب، واستقبال الملائكة إشارة إلى تعلّق القوى الحيوانيّة والنّباتيّة بالبدن وظهور آثارها فيه قبل أثار القلب في الأربعين التي تكوّنت فيها بنيته وتخمرت طينته أو توجّهه بالسّير والسّلوك من عالم النّفس الظّلماني إلى مقام القلب.

واستقبال الملائكة تلقي القوى النّفسانيّة والبدنيّة إيّاه بقبول الإذعان والأخلاق الجميلة والملكات الفاضلة والتّمرّن فيها والتّنقّل في المقامات قبل وصوله إلى مقام القلب.

---

[1] ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ۚ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ * أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾

[2] سورة البَقَرَة، الآية 127.

وطوافه بالبيت إشارة إلى وصوله إلى مقام القلب وسلوكه فيه مع التّلوين، ودخوله إشارة إلى تمكّنه واستقامته فيه.

ورفعه في زمان الطوفان إلى السّماء إشارة إلى احتجاب النّاس بغلبة الهوى وطوفان الجهل في زمان نوح –عليه السّلام– عن مقام القلب.

وبقاؤه في السّماء الرّابعة، أي: البيت المعمور الذي هو قلب العالم.

ونزوله مرّة أخرى في زمان إبراهيم –عليه السّلام– إشارة إلى اهتداء النّاس في زمانه إلى مقام القلب بهدايته.

ورفع إبراهيم قواعده وجعله ذا باب واحد إشارة إلى تلقّي القلب بسلوكه –عليه السّلام– من مقامه إلى مقام الرّوح الذي هو السرّ، وارتفاع مراتبه ووصوله إلى مقام التّوحيد، إذ هو أوّل مَن ظهر عليه التّوحيد الذّاتي، كما قال –عليه السّلام–: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[1].

والحجر الأسود إشارة إلى الرّوح.

وتمخّض أبي قبيس وانشقافه عنه إشارة إلى ظهوره بالرياضة وتحرك آلات البدن باستعمالها بالتّفكّر والتّبعّد في طلب ظهوره، ولهذا قيل: خبئت فيه، يعني: احتجبت بالبدن.

واسوداده بملامسة النّساء الحيض إشارة إلى اختفائه وتكدّره بغلبة القوى النّفسانيّة على القلب واستيلائها عليه وتسويدها الوجه النّوراني الذي يلي الرّوح منه.

وكذا إسماعيل أيضًا كان من الموحّدين لعطفه عليه في رفع قواعد البيت.

﴿**رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ**﴾[2]، أي: لا تكلنا إلى أنفسنا فنسلم بأنفسنا بل بك وبجعلك.

﴿**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا**﴾[3] هو محمّد –صلّى الله عليه وسلّم–، ولهذا قال –صلّى الله عليه وسلّم–: "أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورؤيا أمّي"، وقد رأت في المنام أنّ نورًا خرج منها، فأضاءت لها قصور الشّام.

---

[1] **سورة الأنعام، الآية 79.**

[2] **سورة البَقَرَة، الآية 128.**

[3] **سورة البَقَرَة، الآية 129.**

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾[1]، أي: ملّة التّوحيد، ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾[2]: إلاّ مَن احتجب عن نور العقل بالكلّية وبقي في مقام ظلمة نفسه، أي: سفه نفسًا على التّمييز أو في نفسه على انتزاع الخافض.

﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ﴾[3]، أي: مَن كان من المحبوبين المرادين بالسّابقة الأزليّة، فاخترناه حالة الفناء في التّوحيد، ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ﴾[4]، أي: حالة البقاء بعد الفناء من أهل الاستقامة الصّالحين لتدبير النّظام وتكميل النّوع.

﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ۖ﴾[5]، أي: وحّد وأسلم ذاتك إلى الله، يعني: جعله في الأزل من أهل الصفّ الأوّل مسلمًا موحّدًا مذعنًا لرب العالمين، فانيًا فيه.

﴿وَوَصَّىٰ بِهَا﴾[6]، أي: بكلمة التّوحيد، ﴿إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾[7] بنيه تأسّيًا.

﴿يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ﴾[8]، أي: دينه الذي يدين به الموحّد، لا دين له غيره، ولا ذات، فدينه دين الله وذاته ذات الله، ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ﴾[9] إلاّ على هذا الدّين، أي: لا تموتنّ بالموت الطّبيعي موت الجهل، بل كونوا ميّتين بأنفسكم، أحياء بالله أبدًا، فيدرككم موت البدن على هذه الحالة.

[آية 134][10]

---

[1] سورة البَقَرَة، الآية 130.

[2] سورة البَقَرَة، الآية 130.

[3] سورة البَقَرَة، الآية 130.

[4] سورة البَقَرَة، الآية 130.

[5] سورة البَقَرَة، الآية 131.

[6] سورة البَقَرَة، الآية 132.

[7] سورة البَقَرَة، الآية 132.

[8] سورة البَقَرَة، الآية 132.

[9] سورة البَقَرَة، الآية 132.

[10] ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ﴾[1]، أي: لا تكونوا مقلّدين، ولا تكتفوا بالتّقليد الصّرف في الدّين، إذ لا اعتماد على النّقل؛ فليس لأحد إلاّ ما كسب من العلم والعمل والاعتقاد والسّيرة، لا يجازى أحد بمعتقد غيره ولا بعمله؛ فكونوا على بصائركم، واطلبوا اليقين واعملوا عليه.

[آية 135 - 141][2]

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾[3] كلّ محجوب بدينه يزعم أنّ الحقّ دينه لا غير.

﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾[4]، فإنّ الهدى المطلق هو التّوحيد الذي يشمل كلّ دين، ويرفع كلّ حجاب، كما ذكر بعده في قوله: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ﴾[5] إلى آخره، ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾[6]، ينفي دين البعض وإبطال ملته وإثبات الآخر وحقيته، بل نقول باجتماعهم على الحقّ واتّفاقهم على التّوحيد، ونقبل جميع أديانهم بالتّوحيد الشّامل لكلّها.

﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ﴾[7] من التّوحيد الجامع من كلّ دين ومذهب، ﴿فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ﴾[8] الاهتداء المطلق، أي: كلّ الاهتداء ﴿وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ﴾[9] في طرف من الدّين وشقّ

---

[1] سورة البَقَرَة، الآية 134.

[2] ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ * فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * صِبْغَةَ اللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ * قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ * أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ * تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[3] سورة البَقَرَة، الآية 135.

[4] سورة البَقَرَة، الآية 135.

[5] سورة البَقَرَة، الآية 136.

[6] سورة البَقَرَة، الآية 136.

[7] سورة البَقَرَة، الآية 137.

[8] سورة البَقَرَة، الآية 137.

من الهداية يشاقونكم فيه.

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ ۖ﴾[1]، أي: آمنّا بالله وصبغنا الله صبغة، فإنّ كلّ ذي اعتقاد ومذهب باطنه مصبوغ بصبغ اعتقاده ودينه ومذهبه.

فالمتعبّدون بالملل المتفرّقة مصبوغون بصبغ نيّتهم، والمتمذهبون بصبغ إمامهم وقائدهم، والحكماء بصبغ عقولهم، وأهل الأهواء والبدع المتفرقة بصبغ أهوائهم ونفوسهم، والموحّدون بصبغة الله خاصّة التي لا صبغ أحسن منها ولا صبغ بعدها؛ كما قال رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- : "إن الله -تعالى- خلق الخلق في ظلمة ثمّ رشّ عليهم من نوره، فمَن أصاب من ذلك النّور اهتدى، ومَن أخطأ ضلّ". فذلك النّور هو صبغته.

[آية 142][2]

﴿۞ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾[3] سمّاهم سفهاء خفاف العقول، لعدم وفاء عقولهم بإدراك حقيقة دين الإسلام وقضائها على ما عرفت بحق مذهبها ووقوفها به؛ ولذلك كانت محاجّتهم في الله، مع اتّفاقهم في التّوحيد واختصاص المسلمين بالإخلاص، إذ لو أدركوا الحقّ لأدركوا إخلاصهم، فلم تبق محاجّتهم معهم.

ولو كانت عقولهم رزينة لاستدلّت بالآيات وأدركت في كلّ دين ومذهب حقّه، وفرّقت بين ذلك الدّين الحقّ الذي هو كالرّوح لذلك، وبين باطل أهله الذي اختلط به ولبسه خاصّة دين الإسلام، فإنّ كلّه حقّ، بل هو حقّ الحقوق ولذلك جعلوا أمّة وسطًا، أي: عدلاً بين الأمم، فضلاء شهداء عليهم.

﴿مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ۚ﴾[4]، لأنّهم كانوا مقيدين بالجهة، فلم يقبلوا إلاّ مقيّدًا، ولم يعرفوا التّوحيد الوافي بالجهات كلّها.

---

9 سورة البَقَرَة، الآية 137.

1 سورة البَقَرَة، الآية 138.

2 ﴿۞ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

3 سورة البَقَرَة، الآية 142.

4 سورة البَقَرَة، الآية 142.

﴿**قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ** ۚ﴾[1]، على ما مرّ من التّأويلين، ﴿**يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾[2]، أي: طريق الوحدة التي تتساوى الجهات بالنّسبة إليها لكون الحقّ المتوجّه إليه لا في جهة، وكون الجهات كلّها فيه وبه وله، كما قال -تعالى-: ﴿**فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ** ۚ﴾[3].

[آية 143][4]

ومعنى شهادتهم على النّاس وشهادة الرّسول عليهم: اطّلاعهم بنور التوحيد على حقوق الأديان ومعرفتهم بحقّ أهل كلّ دين وحقّ، كلّ ذي دين من دينه وباطلهم الذي ليس حقّهم الذي هو مخترعات نفوسهم وتمنّياتهم وأكاذيب أخبارهم وملفقّاتهم، ووقوفهم على حدّ دينهم، وإبطالهم لما عداه من الأديان، واحتجابهم وتقيّدهم بظاهره دون التّعمّق إلى باطنه وأصله وإلاّ عرفوا حقّية دين الإسلام، لأنّ طريق الحقّ واحد، فلا يستخفّون بحقّ سائر الأديان وخاصة دين الإسلام الذي هو الحقّ الأعظم الأظهر.

والرّسول مطلع على رتبة كلّ متديّن بدينه في دينه، وحقيقته التي هو عليها من دينه، وحجابه الذي هو به محجوب عن كمال دينه، فهو يعرف ذنوبهم وحدود إيمانهم وأعمالهم وحسناتهم وسيئاتهم وإخلاصهم ونفاقهم وغير ذلك بنور الحقّ، وأمّته يعرفون ذلك من سائر الأمم بنوره.

﴿**وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ**﴾[5] بالعلم التّفصيلي التّابع لوقوع المعلوم لا العلم السّابق في عين جميع أوّل الوجود، فإنّه معلوم له بذلك العلم قبل وجوده، لأنّ العلم كلّه له لا علم لأحد غيره.

---

[1] **سورة البَقَرَة، الآية 142.**

[2] **سورة البَقَرَة، الآية 142.**

[3] **سورة البَقَرَة، الآية 115.**

[4] **﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.**

[5] **سورة البَقَرَة، الآية 143.**

فعلومنا التي نعلم بها الأشياء تظهر على مظاهرنا من علمه، وذلك علمه التّفصيلي، أي: علمه في تفاصيل الموجودات. فهو يعلم بذلك العلم التّفصيلي الظّاهر في مظاهرنا الأشياء بعد وجودها، كما يعلمها بالعلم الأوّل الذي هو في عين الجمع قبل وجودها.

﴿**مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ**﴾[1]، في توْحيده، ﴿**مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ** ۚ﴾[2]، لاحتجابه بالتّقييد بالدّين.

﴿**وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً**﴾[3]، أي: أنّه كانت التّحويلة لكبيرة لشاقّة ثقيلة، ﴿**إِلَّا عَلَى الَّذِينَ**﴾[4] هداهم الله إلى التّوحيد ونجّاهم عن الاحتجاب بالتّقييد.

﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ** ۚ﴾[5]، أي: صلاتكم إلى بيت المقدس لكونها لله، وإذا كانت له فحيثما توجهتم قبلها.

ولعمري إنّها إنّما شقت على طائفتين: المحجوبين بالحقّ عن الخلق، والمحجوبين بالخلق عن الحقّ.

فإنّ الأولى عرفت أنّ التّحويلة الأولى التي كانت من الكعبة إلى بيت المقدس هي صورة العروج من مقام القلب والسرّ، أي: المكاشفة والمكالمة إلى مقام الرّوح والخفاء، أي: المشاهدة والمعاينة فحسبوا التّحويلة الثّانية التي كانت صورة الرّجوع إلى مقام القلب حالة الاستقامة والتّمكين للدّعوة والنّبوّة ومشاهدة الجمع في عين التّفصيل، والتّفصيل في عين الجمع، حيث لا احتجاب عن الخلق بالحقّ، ولا عن الحقّ بالخلق، هو النّزول بعد العروج، والبعد بعد القرب. وظنّوا ضياع السّعي إلى المقام الأشرف وحصول الهجر بعد الوصول، والسّقوط عن الرّتبة، فشق عليهم ذلك.

وأمّا الطّائفة الثّانية، فتقيّدوا بصورة نسكهم وعملهم وما عرفوا حكمة التحويلة، فظنّوا صحة العبادة الثّانية دون الأولى، فشقّ عليهم ضياعها وبطلانها الذي توهّموه، فهدينا إلى خلاف ما توهّموه بما فهم من الآية.

---

[1] **سورة البَقَرَة، الآية 143.**

[2] **سورة البَقَرَة، الآية 143.**

[3] **سورة البَقَرَة، الآية 143.**

[4] **سورة البَقَرَة، الآية 143.**

[5] **سورة البَقَرَة، الآية 143.**

﴿**إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ**﴾[1] يرؤف بهم بشرح الصّدر، ورفع الحجاب حال البقاء بعد الفناء للأولى، وبقبول ما عملت الثّانية بصدقهم، وإن لم يعلموا ما يفعلون؛ ﴿**رَّحِيمٌ**﴾[2] يرحمهم بالوجود الحقّاني للأولى وثواب الأعمال والهداية إلى الحقيقة للثّانية، وتوفيقهم للتّرقّي من حالهم ومقامهم إلى مقام اليقين.

[آية 144][3]

﴿**قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ**﴾[4] في جهة سماء الرّوح في مقام الجمع عند الاستغراق في الوحدة والاحتجاب بالحقّ عن الخلق يؤدك وزر النّبوّة ومقام الدّعوة، لعدم التفاتك إلى الكثرة، ويعْسر عليك الرجوع إلى الحقّ في أوّل حال البقاء بعد الفناء قبل التمكن لقوّة توجّهك إلى الحقّ؛ ﴿**فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا** ۚ﴾[5]، فلنجعلنّ وجهك يلي قبلة القلب بانشراح الصّدر، كما قال – تعالى–: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾[6]، فإنّها قبلة ترضاها لوجود الجمع هناك في صورة التّفصيل وعدم احتجاب الوحدة بالكثرة، فترضى تلك القبلة بدعوة الخلق إلى الحقّ مع بقاء شهود الوحدة.

﴿**فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ** ۚ﴾[7] جانب الصّدر المشروح المحرم من وصول صفات النفس، ودواعي الهوى والشّيطان.

---

[1] **سورة البَقَرَة، الآية 143.**

[2] **سورة البَقَرَة، الآية 143.**

[3] **﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾.**

[4] **سورة البَقَرَة، الآية 144.**

[5] **سورة البَقَرَة، الآية 144.**

[6] **سورة الشّرح، الآيات 1 إلى 3.**

[7] **سورة البَقَرَة، الآية 144.**

﴿**وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ**﴾[1]، أيّها المؤمنون والمحقّقون، سواء كنتم في جهة مشرق الرّوح ومغرب النّفس، ﴿**فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ**﴾[2] جانبه، ليتيسّر عليكم الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر في الأولى، أي: الجهة الشّرقيّة.

والتّرقّي عن حالكم ومقامكم، والتوقّي عن احتجابكم بدواعي الهوى والشّيطان في الثّانية.

﴿**وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ**﴾[3]، أي: التّوراة والإنجيل وكتاب العقل الفرقاني، أي: العقل المستفاد، ﴿**لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ**﴾[4] لاهتدائهم بما في الكتاب من توحيد الأفعال، والصّفات، والدّلالة على التّوحيد المحمدي الذّاتي إليه، أو بنور العقل المنوّر بالنّور الشّرعي لا المحجوب بالقياس الفكري.

[آية 145][5]

﴿**وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ**﴾[6] دالّة على صحّة نبوتك وحقّية قبلتك ولو من كتابهم، أو ما كانت عقليّة قطعيّة، ﴿**مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ۚ**﴾[7] لاحتجابهم بدينهم ومعقولهم وتقيدهم به، ﴿**وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ**﴾[8] لعلوّك عن رتبة دينهم وترقّيك عن مقامهم، ﴿**وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ**﴾[9]، لاحتجاب كلّ بدينه وتضادّ وجههم النّاشئ من التّضادّ المركوز في طباعهم.

---

[1] سورة البَقَرَة، الآية 144.

[2] سورة البَقَرَة، الآية 144.

[3] سورة البَقَرَة، الآية 144.

[4] سورة البَقَرَة، الآية 144.

[5] ﴿**وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ۚ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ**﴾.

[6] سورة البَقَرَة، الآية 145.

[7] سورة البَقَرَة، الآية 145.

[8] سورة البَقَرَة، الآية 145.

[9] سورة البَقَرَة، الآية 145.

﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم﴾[1] المتفرّقة ﴿مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ﴾[2] علم التّوحيد الجامع إيّاك.
﴿إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ﴾[3] النّاقصين حقّك وحقّ مقامك.

[آية 146 - 148][4]

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾[5] إيتاء فهم ودراية، ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ۖ﴾[6]، أي: كالمحسوس المشاهد، القريب الدّائم الإحساس لقربهم منه بالحقيقة، وتوسّمهم إيّاه بالدّلائل الواضحة.

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ﴾[7]، أي: ولكلّ أحد منكم غاية وكمال بحسب استعداده الأوّل، الله موجّه وجهه إليها أو هو نفسه موجّه نفسه إليها ويتوجّه نحوها بمقتضى هويّته واستعداده بإذن الله.

﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ﴾[8] الأمور المقرّبة إيّاكم من كمالكم وغايتكم التي خلقتم لأجلها وندبتم إليها، ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا﴾[9] من مقام وحال دونها أو تخالفها لكونها في مقابلها.

﴿يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ۚ﴾[10] إلى تلك الغاية قريبًا أو بعيدًا بحسب اقتضاء المقرّبات واستباقها.

---

[1] سورة البَقَرَة، الآية 145.
[2] سورة البَقَرَة، الآية 145.
[3] سورة البَقَرَة، الآية 145.
[4] ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ * وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.
[5] سورة البَقَرَة، الآية 146.
[6] سورة البَقَرَة، الآية 146.
[7] سورة البَقَرَة، الآية 147.
[8] سورة البَقَرَة، الآية 148.
[9] سورة البَقَرَة، الآية 148.
[10] سورة البَقَرَة، الآية 148.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

[آية 149 - 150][2]

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾[3] من طرق حواسّك وميلك إلى حظوظك والاهتمام بمصالحك ومصالح المؤمنين.

﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۖ﴾[4]، أي: فكن حاضرًا للحقّ في قلبك، مواجهًا صدرك، تشاهد مشاهد فيه، مراعيًا جانبه لتكون في الأشياء بالله لا بالنّفس، ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ﴾[5] أيّها المؤمنون، ﴿فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ﴾[6] جانب الصّدر، تشاهدون مشاهدكم فيه، مراعين له غير معرضين عنه في حال، ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾[7] سلطنة بوقوعهم في أعينكم واعتباركم إيّاهم عند غيبتكم عن الحقّ، وترفعهم عليكم، أو غلبة بالقول أو الفعل في مقاصدكم ومطالبكم لكونكم بالحقّ فيها حينئذ، بل يخضعون وينقادون لكم؛ فإنّ حزب الله هم الغالبون، ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾[8]، أي: الكفّار المرْدودين الذين احتجبوا عن الحقّ مطلقًا، فإنّهم يرتفعون عليكم ولا يخضعون، ولا ينقادون لعدم انفعالهم عن الحقّ مطلقًا.

وسمّى شبهتهم التي يسوقونها مساق الحجّة، واعتراضهم على المسلمين قولاً وفعلاً، وترفهم عليهم في أنفسهم حجّة مجازًا.

---

[1] سورة البَقَرَة، الآية 148.

[2] ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ * وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۖ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

[3] سورة البَقَرَة، الآية 149.

[4] سورة البَقَرَة، الآية 149.

[5] سورة البَقَرَة، الآية 150.

[6] سورة البَقَرَة، الآية 150.

[7] سورة البَقَرَة، الآية 150.

[8] سورة البَقَرَة، الآية 150.

وقرئ إلاّ للتّنبيه واستؤنف الذين ظلموا، ﴿**فَلَا تَخْشَوْهُمْ**﴾[1]، لأنّهم لا يغلبونكم ولا يضرونكم، ﴿**وَاخْشَوْنِي**﴾[2]: كونوا على هيبة من تجلّي عظمتي لئلاّ يقعوا في قلوبكم وأعينكم ولا يميلوا صدوركم، فتميلوا إلى موافقتهم إجلالاً لهم وتعظيمًا لكونكم في الغيبة وبالنّفس، كما قال أمير المؤمنين –رضي الله عنه–: "عظم الخالق عندك يصغر المخلوق في عينك".

ولإتمامي نعمة الكمال عليكم ولإرادتي اهتداؤكم أمرتكم بدوام الحضور والمراقبة.

[آية 151 - 154][3]

﴿**كَمَا أَرْسَلْنَا**﴾[4]، أي: كما ذكرتم بإرسال رسول، ﴿**فِيكُمْ**﴾[5]: من جنسكم ليمكنكم التّلقّي والتّعلّم، وقبول الهداية منه لجنسية النّفس ورابطة البشريّة، ﴿**فَاذْكُرُونِي**﴾[6] بالإجابة والطّاعة والإرادة، ﴿**أَذْكُرْكُمْ**﴾[7] بالمزيد والتّوالي للسّلوك وإفاضة نور اليقين، ﴿**وَاشْكُرُوا لِي**﴾[8] على نعمة الإرسال والهداية بسلوك صراطي على قدم المحبّة أزدكم عرفاني ومحبّتي، ﴿**وَلَا تَكْفُرُونِ**﴾[9] بالفترة والاحتجاب بنعمة الدّين عن المنعم، فإنّه كفران بل كفر.

---

[1] **سورة البَقَرَة، الآية 150.**

[2] **سورة البَقَرَة، الآية 150.**

[3] **﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ * فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ * وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾.**

[4] **سورة البَقَرَة، الآية 151.**

[5] **سورة البَقَرَة، الآية 151.**

[6] **سورة البَقَرَة، الآية 152.**

[7] **سورة البَقَرَة، الآية 152.**

[8] **سورة البَقَرَة، الآية 152.**

[9] **سورة البَقَرَة، الآية 152.**

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾[1] الإيمان العياني، ﴿**اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ**﴾[2] معي عند سطوات تجليات عظمتي وكبريائي، ﴿**وَالصَّلَاةِ ۚ**﴾[3]، أي: الشّهود الحقيقي بي.

﴿**إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾[4] المطيقين لتجلّيات أنواره.

﴿**وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾[5]، أي: يجعل فانيًا مقتولة نفسه في سلوك سبيل التّوحيد ميّتًا عن هواه، كما قال رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–: "موتوا قبل أن تموتوا".

هم: ﴿**أَمْوَاتٌ ۚ**﴾[6]، أي: عجزة مساكين، ﴿**بَلْ**﴾[7] هم: ﴿**أَحْيَاءٌ**﴾[8] عند ربّهم بالحياة الحقيقيّة، وحياة الله الدّائمة السّرمديّة، شهداء الله بالحضور الذّاتي، قادرون به، ﴿**وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ**﴾[9]، لِعمى بصيرتكم وحرمانكم عن النّور الذي تبصر به القلوب أعيان عالم القدّوس وحقائق الأرواح.

[آية 155][10]

﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ**﴾[11]، أي: خوفي الموجب لانكسار النّفس وانهزامها، ﴿**وَالْجُوعِ**﴾[12] الموجب لنهك البدن، وضعف قواه، ورفع حجاب الهوى، وسدّ طريق الشّيطان إلى القلب، ﴿**وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ**﴾[13] التي هي موادّ الشّهوات المقوّية للنّفس الزّائدة في طغيانها،

---

[1] سورة البَقَرَة، الآية 153.

[2] سورة البَقَرَة، الآية 153.

[3] سورة البَقَرَة، الآية 153.

[4] سورة البَقَرَة، الآية 153.

[5] سورة البَقَرَة، الآية 154.

[6] سورة البَقَرَة، الآية 154.

[7] سورة البَقَرَة، الآية 154.

[8] سورة البَقَرَة، الآية 154.

[9] سورة البَقَرَة، الآية 154.

[10] ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾.

[11] سورة البَقَرَة، الآية 155.

[12] سورة البَقَرَة، الآية 155.

[13] سورة البَقَرَة، الآية 155.

﴿**وَالْأَنفُسِ**﴾[1] المستولية على القلب بصفاتها، والمستغنية بذاتها، ليزيد بنقصها القلب ويقوى، أو أنفس الأقرباء والأصدقاء الذين تأوون إليهم وتستظهرون بهم لتنقطعوا إلي وتبتلوا، ﴿**وَالثَّمَرَاتِ** ۗ﴾[2]، أي: الملاذ والمتمتّعات النّفسانيّة لتلتذّوا بالمكاشفات والمعارف القلبيّة، والمشاهدات الرّوحيّة عند صفاء بواطنكم بالانقطاع منها وخلوص بصائر قلوبكم بنار الرّياضة والبلاء والعزلة من غشّ صفات نفوسكم.

﴿**وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ**﴾[3]، يعني: الصّابرين عن مألوفاتهم بلذّة محبتي وقوّة إرادتي.

[آية 156 - 158][4]

﴿**الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ**﴾[5] من تصرفاتي فيهم دائمًا شاهدوا آثار قدرتي، بل أنوار تجلّيات صفتي، و﴿**قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ**﴾[6]، أي: سلموا وأيقنوا أنهم ملكي، أتصرّف فيه، ﴿**وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**﴾[7]، أي: تفانوا في، وشاهدوا تهلكهم في بي.

﴿**أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ**﴾[8] بالوجود الموهوب لهم بعد الفناء الموصوف بصفاتي المنوّر بأنواري، ﴿**وَرَحْمَةٌ** ۖ﴾[9] ونور وهداية يهدون بها الخلق إليّ.

﴿**وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**﴾[10] بهداي، كما ورد في الدّعاء: "واجعلنا هادين مهديين غير ضالين ولا مضلين".

---

[1] سورة البَقَرَة، الآية 155.

[2] سورة البَقَرَة، الآية 155.

[3] سورة البَقَرَة، الآية 155.

[4] ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ * ۝ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾.

[5] سورة البَقَرَة، الآية 156.

[6] سورة البَقَرَة، الآية 156.

[7] سورة البَقَرَة، الآية 156.

[8] سورة البَقَرَة، الآية 157.

[9] سورة البَقَرَة، الآية 154.

[10] سورة البَقَرَة، الآية 157.

﴿۞ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ﴾[1]، أي: إنّ صفاء وجود القلب ومروة وجود النّفس ﴿مِن شَعَائِرِ اللَّهِ ۖ﴾[2] من أعلام دينه ومناسكه القلبية كاليقين، والرّضا، والإخلاص، والتّوكّل، والقالبيّة، كالصّلاة والصّيام وسائر العبادات البدنيّة.

﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ﴾[3]، أي: بلغ مقام الوحدة الذاتيّة ودخل الحضرة الإلهيّة بالفناء الذّاتي الكلّي، ﴿أَوِ اعْتَمَرَ﴾[4] نار الحضرة بتوحيد الصّفات والفناء في أنوار تجلّيات الجمال والجلال، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾[5] حينئذ في ﴿أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ﴾[6]، أي: يرجع إلى مقامهما، ويتردّد بينهما، لا بوجودهما التّكويني، فإنّه جناح، وذنب، بل بالوجود الموْهوب بعد الفناء عند التّمكين؛ ولهذا نفي الحرج، فإنّ في هذا الوجود سعة بخلاف الأوّل.

﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾[7]، أي: ومَن تبرّع خيرًا من باب التّعاليم وشفقة الخلق والنّصيحة ومحبّة أهل الخير والصّلاح بوجود القلب، ومن باب الأخلاق، وطرق البرّ والتّقوى، ومعاونة الضّعفاء والمساكين، وتحصيل الرّفق لهم ولعياله بوجود النّفس بعد كمال السّلوك والبقاء بعد الفناء؛ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ﴾[8] يشكر عمله بثواب المزيد، ﴿عَلِيمٌ﴾[9] بأنّه من باب التّصرّف في الأشياء بالله لا من باب التّكوين والابتلاء والفترة.

[آية 159 - 160][10]

---

[1] سورة البَقَرَة، الآية 158.

[2] سورة البَقَرَة، الآية 158.

[3] سورة البَقَرَة، الآية 158.

[4] سورة البَقَرَة، الآية 158.

[5] سورة البَقَرَة، الآية 158.

[6] سورة البَقَرَة، الآية 158.

[7] سورة البَقَرَة، الآية 158.

[8] سورة البَقَرَة، الآية 158.

[9] سورة البَقَرَة، الآية 158.

[10] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۙ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ﴾[1]، أي: يكتمون ما أفضنا عليهم من بيّنات أنوار المعارف وعلوم تجلّيات الأفعال والصّفات، وهدى الأحوال والمقامات أو الهداية إلى التّوحيد الذاتي بطريق علم اليقين، فإنّ العياني لا ينكتم بالتّلوينات النّفسيّة أو القلبيّة الحاجبة للمكاشفات القلبيّة والمسامرات السريّة والمشاهدات الرّوحيّة، ﴿مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ﴾[2] في كتاب عقولهم المنوّرة بنور المتابعة المدركة لآثار أنوار القلوب والأرواح ببركة الصّحبة.

﴿أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾[3] يردهم ويطردهم، ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾[4] من الملأ الأعلى بخذلانهم وترك إمدادهم من عالم الأبد والنّور، ومن المستعدين المشتاقين الذين كانوا قد استأنوا بنور قلوبهم واستفاضوا منهم النّور بقوّة صدقهم، واستراحوا إلى صحبتهم وملازمتهم يتبركون بهم وبأنفاسهم عند استشراق لمعان أحوالهم بالهجران والانقطاع عن صحبتهم والصدّ والإعراض عنهم لفقدانهم ذلك واستشعارهم بتكدّر صفائهم.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾[5]، أي: رجعوا عن ذنوب أحوالهم وعلموا أن ذلك كان ابتلاء من الله، ﴿وَأَصْلَحُوا﴾[6] أحوالهم بالإنابة والرّياضة، ﴿وَبَيَّنُوا﴾[7]، أي: كشفوا وأظهروا بصدق المعاملة مع الله والإخلاص ما احتجب عنهم.

﴿فَأُولَٰئِكَ﴾[8] أتقبّل توبتهم وألقي التّوبة عليهم، ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[9].

[آية 161][10]

---

[1] سورة البَقَرَة، الآية 159.

[2] سورة البَقَرَة، الآية 159.

[3] سورة البَقَرَة، الآية 159.

[4] سورة البَقَرَة، الآية 159.

[5] سورة البَقَرَة، الآية 160.

[6] سورة البَقَرَة، الآية 160.

[7] سورة البَقَرَة، الآية 160.

[8] سورة البَقَرَة، الآية 160.

[9] سورة البَقَرَة، الآية 160.

[10] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾[1] حجبوا عن الدّين أو الحقّ، ﴿**وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ**﴾[2]، أي: بقوا على احتجابهم، حتّى زال استعدادهم وانطفأ نور فطرتهم بدين الحجاب، وانقطعوا عن الأسباب التي يمكن بها رفع حجاب الموت.

﴿**أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**﴾[3]، أي: استحقّوا البعد والحرمان والطّرد الكلّي عن الحقّ وعن عالم الملكوت وعن الفطرة الإنسانيّة المعبّر عنه بالطّمس.

[آية 162 - 164][4]

﴿**خَالِدِينَ فِيهَا ۖ**﴾[5] لطموس استعدادهم وانطفاء نور فطرتهم، ﴿**لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ**﴾[6]، لرسوخ هيئاتهم المعذبة في جواهر نفوسهم، ﴿**وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ**﴾[7] للزوم تلك الهيئات المظلمة إيّاهم.

﴿**وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ**﴾[8] ومعبودكم الذي خصصتموه بالعبادة أيّها الموحّدون معبود واحد بالذّات، واحد مطلق لا شيء في الوجود غيره، ولا موجود سواه فيعبد، فكيف يمكنكم الشّرك به وغيره لعدم البحث؟! فلا شرك إلاّ للجهل به.

---

[1] سورة البَقَرَة، الآية **161**.

[2] سورة البَقَرَة، الآية **161**.

[3] سورة البَقَرَة، الآية **161**.

[4] ﴿**خَالِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ**) **162** (**وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ * إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾.

[5] سورة البَقَرَة، الآية **162**.

[6] سورة البَقَرَة، الآية **162**.

[7] سورة البَقَرَة، الآية **162**.

[8] سورة البَقَرَة، الآية **163**.

﴿**الرَّحْمَٰنُ**﴾[1] الشّامل الرحمة لكلّ موجود، ﴿**الرَّحِيمُ**﴾[2] الذي يخصّ رحمة هدايته بالمؤمنين الموحّدين، وهي أوّل آية نزلت في التّوحيد بحسب الرّتبة، أي: أقدم توحيد من جهة الحقّ لا من جهتنا.

فإنّ أوّل التّوحيد من طرفنا توحيد الأفعال وهذا هو، توحيد الذّات ولما بعد هذا التّوحيد عن مبالغ أفهام النّاس تنزل إلى مقام توحيد الأفعال ليستدلّ به عليه، فقال: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾[3] إلى آخره، أي: أنّ في إيجاد سموات الأرواح والقلوب والعقول وأرض النّفوس، ﴿**وَاخْتِلَافِ**﴾[4] النّور والظّلمة بينهما وفلك البدن التي تجري في بحر الجسم المطلق ﴿**بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ**﴾[5] في كسب كمالاتهم، ﴿**وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ**﴾[6]، أي: الرّوح من ماء العلم، ﴿**فَأَحْيَا بِهِ**﴾[7] أرض النّفس بعد موتها بالجهل، ﴿**وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ**﴾[8] القوى الحيوانيّة الحيّة بحياة القلب، ﴿**وَتَصْرِيفِ**﴾[9] عصوف زيادة الأفعال الحقّانيّة، وسحاب تجلّي الصّفات الربّانيّة المسخّر المهيّأ بين سماء الرّوح وأرض النّفس، ﴿**لَآيَاتٍ**﴾[10]: لدلائل، ﴿**لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾[11] بالعقل المنوّر بنور الشّرع، المجرّد عن شوب الوهم.

[آية 165][12]

---

[1] سورة البَقَرَة، الآية **163**.

[2] سورة البَقَرَة، الآية **163**.

[3] سورة البَقَرَة، الآية **164**.

[4] سورة البَقَرَة، الآية **164**.

[5] سورة البَقَرَة، الآية **164**.

[6] سورة البَقَرَة، الآية **164**.

[7] سورة البَقَرَة، الآية **164**.

[8] سورة البَقَرَة، الآية **164**.

[9] سورة البَقَرَة، الآية **164**.

[10] سورة البَقَرَة، الآية **164**.

[11] سورة البَقَرَة، الآية **164**.

[12] ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ**﴾.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ﴾[1]، أي: مَن يعبد من دون الله أشياء إمّا أناسي من جنسهم كالأزواج، والأولاد، والآباء، والأجداد، والإخوان، والأحباب، والرّؤساء، والملوك، وغيرهم. وإمّا غير أناسي كالحيوانات، والجمادات، وسائر أموالهم، بالإقبال عليهم والتّوجّه نحوهم، ومراعاتهم، وحفظهم، والاهتمام بهم وبحالهم، والتّفكّر في بابهم، يحبّونهم كحبّ الله، أي: كما يجب أن يحبّ الله، فتكون تلك الأشياء عندهم مساوية في المحبّة مع الله، فتكون أندادًا أو شركاء لله بالنّسبة إليهم، أو تكون هي محبوباتهم ومعبوداتهم لا غير، فهي آلهتهم؛ كما أنّ الله إله الخلق، فهم جعلوا لأنفسهم آلهه أندادًا لإله سائر الخلق، إله العالمين.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾[2] من غيره، لأنّهم لا يحبّون إلاّ الله، لا يختلط حبّهم له بحبّ غيره ولا يتغيّر، ويحبّون الأشياء بمحبّة الله ولله، وبقدر ما يجدون فيها من الجهة الإلهيّة، كما قال بعضهم:

الحقّ حبيبنا، والخلق حبيبنـــــــــــا

وإذا اختلفا فالحقّ أحبّ إلينـــــــــا

أي: إذا لم تبق جهة الإلهيّة فيهم بمخالفتهم إيّاه لم تبق محبتنا لهم، أو أشدّ حبًّا من محبّتهم لآلهتهم، لأنّهم يحبّون الأشياء بأنفسهم لأنفسهم، فلا جرم تتغيّر محبّتهم بتغيير إعراض النّفوس أنفسهم عند خوف الهلاك ومضرّة النّفس عليهم، والمؤمنون يحبّون الله بأرواحهم وقلوبهم، بل بالله لله، لا تتغيّر محبتهم لكونها لا لغرض، ويبذلون أرواحهم وأنفسهم لوجهه ورضاه، ويتركون جميع مراداتهم لمراده ويحبون أفعاله، وإن كانت بخلاف هواهم، كما قال أحدهم:

أريد وصاله ويريد هجري فأترك ما أريد لما يريـــــد

﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾[3]، أي: أشركوا بمحبّة الإنذار في وقت رؤيتهم عذاب الاحتجاب بآلهتهم، ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ﴾[4]، أي: القدرة كلّها لله ليس لآلهتهم شيء منها، وشدّة عذاب الله بقرنهم بآلهتهم في نار الحرمان بالسّلاسل النّاريّة المستفاد من محبّتهم إيّاها، لكان ما لا يدخل تحت الوصف؛ ولهذا المعنى حذف جواب: "لو".

---

[1] سورة البَقَرَة، الآية 165.

[2] سورة البَقَرَة، الآية 165.

[3] سورة البَقَرَة، الآية 165.

[4] سورة البَقَرَة، الآية 165.

[آية 166 - 168][1]

﴿**إِذْ تَبَرَّأَ**﴾[2] بدل من: إذ يرَوْن العذاب، أي: وقت رؤيتهم العذاب هو وقت تبرّئ المتبوعين من التّابعين مع لزوم كلّ منهما الآخر بمقتضى المحبّة التي كانت بينهم لتعذّب كلّ منهم بالآخر وتقيّده واحتجابه به عن كمالاته ولذّاته وانقطاع الأسباب والوصل الموجبة للفوائد والتّمتّعات التي كانت بينهم في الدّنيا من القرابة، والرّحم، والإلفة، والعهد، وسائر المواصلات الدّنيويّة الجالبة للنفع واللذّة؛ فإنّها تنقطع كلّها بانقطاع لوازمها وموجباتها دون المواصلات الخيريّة والمحبّات الإلهيّة المبنيّة على المناسبة الرّوحيّة والتّعارف الأزلي، فإنّها تبقى ببقاء الرّوح أبدًا وتزيد في الآخرة بعد رفع الحجب البدنيّة لاقتضائها محبّة الله المفيدة في الآخرة، كما قال -تعالى-: "وجبت محبتي للمتحابين في".

والواو في ﴿**وَرَأَوُا الْعَذَابَ**﴾[3] واو الحال، أي: تبرّؤوا عنهم في حال رؤيتهم العذاب وتقطع الوصل بينهم، يعني: حال ظهور شرّ المقارنة وتبعتها، ونفاد خيرها وفائدتها، كحال سفاح الكلاب مثلاً.

﴿**وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً**﴾[4]، أي: ليت لنا كرّة.

﴿**كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ ۖ**﴾[5]، أي: تنقلب محباتهم وما يبنى عليها من الأعمال حسرات عليهم، وكذا يكون حال القوى الرّوحانيّة المصادقة للقوى النّفسانيّة التّابعة لها، المسخّرة إيّاها في تحصيل لذّاتها.

﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ**﴾[6]، أي: تناولوا من اللذّات والتّمتّعات التي في الجهة السّفليّة من عالم النّفس والبدن على وجه يحلّ ويطيب، أي: على قانون العدالة بإذن الشّرع

---

[1] ﴿**إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ * يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ**﴾,

[2] **سورة البَقَرَة، الآية 166.**

[3] **سورة البَقَرَة، الآية 166.**

[4] **سورة البَقَرَة، الآية 167.**

[5] **سورة البَقَرَة، الآية 167.**

[6] **سورة البَقَرَة، الآية 168.**

واستصواب العقل بقدر الاحتياج والضّرورة، ولا تخطو حدّ الاعتدال الذي به تطيب وتنفع إلى حدود الإسراف، فإنّها خطوات الشّيطان.

ولهذا قال -تعالى-: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ۖ﴾[1]، فإنّه عدوّ لكم بيّن العداوة، يريد أن يهلككم ويبغضكم إلى ربّكم بارتكاب الإسرافات المذمومة، فإنّه لا يحبّ المسرفين.

واعلم أنّ العداوة في عالم النّفس هي ظلّ الإلفة في عالم القلب، والاعتدال ظلّها في عالم البدن، والإلفة ظلّ المحبّة في عالم الرّوح، وهي ظلّ الوحدة الحقيقيّة.

فالاعتدال هو الظلّ الرّابع للوحدة والشّيطان يفرّ من ظلّ الحقّ ولا يطيقه، فيخطوا أبدًا في مجال تلك الظّلال إلى جوانب الإسرافات؛ وحيث يعجز، فإلى جوانب التّفريطات، كما في المحبّة والإلفة.

ولهذا قال أمير المؤمنين عليّ -رضي الله عنه-: "لا ترى الجاهل إلاّ مفرطًا أو مفرّطًا"، فإنّ الجاهل سخرة الشّيطان.

[آية 169 - 172][2]

﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ﴾[3] الإضرار والأذى الذي هو إفراط القوى الغضبيّة، ﴿**وَالْفَحْشَاءِ**﴾[4]، أي: القبائح التي هي إفراط القوّة الشّهوانيّة، ﴿**وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾[5] الذي هو إفراط القوّة النّطقيّة لشوب العقل بالوهم الذي هو الشّيطان المسخّر له.

---

[1] **سورة الإسراء، الآية 27.**

[2] **﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ * وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ۚ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.**

[3] **سورة البَقَرَة، الآية 169.**

[4] **سورة البَقَرَة، الآية 169.**

[5] **سورة البَقَرَة، الآية 169.**

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾[1] من مراعاة حدّ الاعتدال والعدالة في كلّ شيء على الوجه المأمور به في الشّرع.

﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ﴾[2] من الإسرافات المذمومة في الجاهليّة تقليدًا لهم أتتبعونهم.

﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا﴾[3] من الدّين والعلم، ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[4] إلى الصّواب في العلم لجهْلهم.

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[5]، أي: مثل داعي الكفار المردودين، ﴿كَمَثَلِ﴾[6] النّاعق بالبهائم، فإنّها لا تسمع إلاّ صوتًا ولا تفهم ما معناه، فكذا حالهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾[7] إن كنتم موحدين تخصون العبادة بالله، فلا تتناولوا إلاّ من طيّبات ما رزقناكم، أي: ما ينبغي في العدالة أن يستعمل من المرْزوقات، ﴿وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾[8] باستعمالها فيما يجب أن تستعمل على الوجه الذي ينبغي أن تستعمل بالقدر الذي ينبغي، فإنّ التّوحيد يقتضي مراعاة الاعتدال والعدالة في كلّ شيء اقتضاء الذّات ظلّها ولازمها عن النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– عن الله –تعالى–: "إنّي والجنّ والإنس في نبأ عظيم، أخلق ويعبد غيري، وأرزق ويشكر غيري".

[آية 173 - 177][9]

---

[1] سورة البَقَرَة، الآية 170.

[2] سورة البَقَرَة، الآية 170.

[3] سورة البَقَرَة، الآية 170.

[4] سورة البَقَرَة، الآية 170.

[5] سورة البَقَرَة، الآية 171.

[6] سورة البَقَرَة، الآية 171.

[7] سورة البَقَرَة، الآية 172.

[8] سورة البَقَرَة، الآية 172.

[9] ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ۖ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ * ذَٰلِكَ بِأَنَّ

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾[1]، لجمود الدّم فيها، وبعدها عن الاعتدال بانحراف المزاج، ﴿وَالدَّمَ﴾[2]، لاختلاطه بالفضلات النّجسة البعيدة عن قبول الحياة والعدالة والنّوريّة وعدم صلاحيّته لذلك بعد لقصور النّضج، ﴿وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ﴾[3]، لغلبة السّبعيّة والشّره ومباشرة القاذورات والدّياثة على طبعه، فيولد في أكله مثل ذلك.

﴿وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ۖ﴾[4]، أي: رفع الصّوت بذبحه لغير الله، يعني: ما قصد بذبحه وأكله الشّرك لمنافاته التّوحيد سفيرًا عن الشّرك.

ويفهم منه ما يقوى آكله به على الكلام ورفع الصّوت لغير الله، أي: كلّ ما يؤكل لا على التّوحيد، فهو محرّم على آكله.

﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾[5]، أي: من الجماعة، ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾[6] على مضطر آخر باستئثاره، ﴿وَلَا عَادٍ﴾[7] سدّ الرّمق، ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ﴾[8].

﴿مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ﴾[9]، أي: ملء بطونهم إلاّ ما هو وقود نار الحرمان وسبب اشتعال نيران الطّبيعة الحاجبة عن نور الحقّ المعذّبة بهيئات السّوء المظلمة الموقعة صاحبها في جحيم الهيولى الجسمانيّة.

اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ * ۞ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾.

[1] سورة البَقَرَة، الآية 173.

[2] سورة البَقَرَة، الآية 173.

[3] سورة البَقَرَة، الآية 173.

[4] سورة البَقَرَة، الآية 173.

[5] سورة البَقَرَة، الآية 173.

[6] سورة البَقَرَة، الآية 173.

[7] سورة البَقَرَة، الآية 173.

[8] سورة البَقَرَة، الآية 173.

[9] سورة البَقَرَة، الآية 174.

﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾[1]: ولا ينظر إليهم، عبارة عن شدّة غضبه عليهم وبعدهم عنه.

﴿۞ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ﴾[2] مشرق عالم الأرواح ومغرب عالم الأجساد، فإنه تقيد واحتجاب، ﴿وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ﴾[3] برّ الموحّدين الذين آمنوا بالله والمعاد في مقام الجمع، إذ التّوحيد في مقام الجمع يلزمه البقاء الأبدي الذي هو المعاد الحقيقي، وشاهدوا الجمع في تفاصيل الكثرة، ولم يحتجبوا بالجمع عن التّفصيل الذي هو باطن عالم الملائكة وظاهر عالم النبيّين.

﴿وَالْكِتَابِ﴾[4] الذي جمع بين الظّاهر بالأحكام والمعارف، وأفاد علم الاستقامة، ثمّ استقاموا بعد تمام التّوحيد جمعًا وتفصيلاً بالأعمال المذكورة، فإنّ الاستقامة عبارة عن وقوف جميع القوى على حدودها بالأمر الإلهي لتنوّرها بنور الرّوح عند تحقّق صاحبها بالله في مقام البقاء بعد الفناء، وذلك مقام العدالة؛ فتكون هي في ظلّ الحقّ منخرطة في سلك الوحدة بكلّيتها.

﴿عَلَىٰ حُبِّهِ﴾[5]، أي: في حال الاحتياج إليه والشحّ به، كما قال ابن مسعود: أن تؤتيه وأنت صحيح شحيح، تأمل العيش، وتخشى الفقر، ولا تمهل حتّى إذا بلغت الحلقوم، قلت لفلان: كذا، ولفلان : كذا.

قال الله –تعالى–: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ﴾[6] أو على حبّ الله، لئلاّ يشغل قلبه عنه، ولأنّه –تعالى– يرضى بإيتائه أو على حبّ الإيتاء، يعني: بطيب النّفس، فإنّ الكريم هو الفرح وطيب النّفس بالإعطاء.

ومن قوله: ﴿وَآتَى الْمَالَ﴾[7] إلى قوله: ﴿وَآتَى الزَّكَاةَ﴾[8]، من باب العفّة التي هي كمال القوّة الشّهوانيّة ووقوفها على حدها فيما يتعلّق بها، وقوله: ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ﴾[9] من باب العدالة المستلزمة للحكمة التي هي كمال القوّة النّطقيّة، فإنّها ما لم تعلم تبعه الغدر والخيانة وفائدة الفضيلة المقابلة لهما، لم تف بالعهد.

---

[1] سورة البَقَرَة، الآية 174.

[2] سورة البَقَرَة، الآية 177.

[3] سورة البَقَرَة، الآية 177.

[4] سورة البَقَرَة، الآية 177.

[5] سورة البَقَرَة، الآية 177.

[6] سورة الحشر، الآية 9.

[7] سورة البَقَرَة، الآية 177.

[8] سورة البَقَرَة، الآية 177.

[9] سورة البَقَرَة، الآية 177.

وقوله: ﴿**وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ**﴾[1]، أي: الشدّة والفقر، ﴿**وَالضَّرَّاءِ**﴾[2]، أي: المرض والزّمانة، ﴿**وَحِينَ الْبَأْسِ**﴾[3]، أي: الحرب من باب الشّجاعة التي هي كمال القوّة الغضبيّة.

﴿**أُولَئِكَ**﴾[4] الموْصوفون بهذه الفضائل كلّها، الثّابتون في مقام الاستقامة، ﴿**الَّذِينَ صَدَقُوا**﴾[5] الله في مواطن التّجريد بأفعالهم التي هي البرّ كلّه.

﴿**وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**﴾[6] عن محبّة غير الله حتّى النّفس، المجرّدون عن غواشي النّشأة والطّبيعة.

ويمكن أن يؤوّل المال بالعلم الذي هو مال القلب، لأنّه يقوى به ويستغنى، أي: أعطي العلم مع كونه محبوبًا ذوي قربى القوى الرّوحانيّة لقربها منه، ويتامى القوى النّفسانيّة لانقطاعها عن نور الرّوح الذي هو الأب الحقيقي ومساكين القوى الطّبيعيّة لكونها دائمة السّكون لثواب البدن وعلمها علم الأخلاق والسّياسات الفاضلة.

ثمّ إذا ارتوى من العلم، علم المعارف والأخلاق والآداب والمعايش جملة وتفصيلاً وفرغ من نفسه، أفاض على أبناء السّبيل، أي: السّالكين والسّائلين، أي: طلبة العلم وفي فكّ رقاب عبدة الدّنيا والشّهوات من أسرهم بالوعظ والخطابة وأقام صلاة الحضور، أي: أدامها بالمشاهدة، وآتى ما يزكي نفسه عن النّظر إلى الغير، والتفاتات الخواطر بالنّفي، ومحو الصّفات، والموفّون بعهد الأزل بملازمة التّوحيد وإفناء الذّات والآتية، والصّابرين في بأساء الافتقار إلى الله دائمًا، وضراء كسر النّفس وقمع الهوى، وحين بأس محاربة الشّيطان، أولئك الذين صدقوا الله في الوفاء بعهده وعزيمة السّلوك وعقده، وأولئك هم المتّقون عن الشّرك، المنزّهون عن البقيّة.

[آية 178 - 184][7]

---

[1] سورة البَقَرَة، الآية 177.

[2] سورة البَقَرَة، الآية 177.

[3] سورة البَقَرَة، الآية 177.

[4] سورة البَقَرَة، الآية 177.

[5] سورة البَقَرَة، الآية 177.

[6] سورة البَقَرَة، الآية 177.

[7] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ۖ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ *

﴿**الْقِصَاصُ**﴾[1]: قانون من قوانين العدالة، فرض لإزالة عدوان القوّة السّبعيّة، وهو ظلّ من ظلال عدله –تعالى–، فإنّه إذا تصرّف في عبده بإفنائه فيه عوّضه عن حرّ روحه روحًا موهومًا خيرًا منه، وعن عبد قلبه قلبًا موهوبًا، وعن أنثى نفسه نفسًا موهوبة كاملة.

﴿**وَلَكُمْ**﴾[2] في مقاصّة الله إيّاكم بما ذكر ﴿**حَيَاةٌ**﴾[3] عظمية، أي: حياة لا يوصف كنهها.

﴿**يَا أُولِي الْأَلْبَابِ**﴾[4]، أي: العقول الخالصة عن قشر الأوهام وغواشي العينيّات والأجرام.

فكذا في هذا القصاص –لكي تتّقوا تركه وتحافظوا عليه– الوصيّة والمحافظة عليها قانون آخر فرض لإزالة نقصان القوّة الملكيّة، أي: القوى النّطقيّة وقصورها عمّا يقتضي الحكمة من التّصرّف في الأموال، والسّلطنة على القوّتيْن الأخرييْن بنور الحقّ وحكم الشّرع، ومنعها عن عدوانها أيضًا بتبديل الوصيّة الذي هو نوع من الجريمة والخيانة، وتحريضها على التّحقيق والتّدقيق في باب الحكمة التي هي كمالها بالإصلاح بين الموصى لهم على مقتضى الحكمة، إذا توقع وعلم من الموصي إضرارًا بالسّهو والعمد –الصّيام قانون آخر ممّا فرض لإزالة عدوان القوّة البهيميّة وتسلّطها–.

واعلم أنّ قصاص أهل الحقيقة ما ذكر، ووصيّتهم هي بالمحافظة على عهد الأزل بترك ما سوى الحقّ، كما قال –تعالى–: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾[5].

وصيامهم هو الإمساك عن كلّ قول وفعل وحركة وسكون ليس بالحقّ للحقّ.

**كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ * فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ۚ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

[1] **سورة البَقَرَة، الآية 179.**

[2] **سورة البَقَرَة، الآية 179.**

[3] **سورة البَقَرَة، الآية 179.**

[4] **سورة البَقَرَة، الآية 179.**

[5] **سورة البقرة، الآية 132.**

[آية 185 - 187][1]

﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ**﴾[2]، أي: احتراق النّفس بنور الحقّ ﴿**الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ**﴾[3] في ذلك الوقت ﴿القرآن﴾، أي: العلم الجامع الإجمالي، المسمّى بالعقل القرآني الموصل إلى مقام الجمع – هداية للنّاس إلى الوحدة باعتبار الجمع، ﴿**وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ**﴾[4]: ودلائل متّصلة من الجمع والفرق، أي: العلم التّفصيلي –المسمّى بالعقل الفرقاني–.

فمَن حضر منكم في ذلك الوقت، أي: بلغ مقام شهود الذات، ﴿**فَلْيَصُمْهُ** ۖ﴾[5]، أي: فلْيمْسك عن قول وفعل وحركة ليس بالحقّ فيه.

﴿**وَمَن كَانَ مَرِيضًا**﴾[6]، أي: مبتلى بأمراض قلبه من الحجب النّفسانيّة المانعة من ذلك الشّهود، ﴿**أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ**﴾[7]، أي: في سلوك بعد ولم يصل إلى الشّهود الذّاتي، فعليه مراتب أخر يقطعها حتّى يصل إلى ذلك المقام.

---

[1] ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ * أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

[2] سورة البَقَرَة، الآية 185.

[3] سورة البَقَرَة، الآية 185.

[4] سورة البَقَرَة، الآية 185.

[5] سورة البَقَرَة، الآية 185.

[6] سورة البَقَرَة، الآية 185.

[7] سورة البَقَرَة، الآية 185.

﴿**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ**﴾[1] بالوصول إلى مقام التّوحيد والامتداد بقدرة الله، ﴿**وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**﴾[2]، أي: تكلّف الأفعال بالنّفس الضّعيفة العاجزة.

﴿**وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ**﴾[3]، ولتتمّموا تلك المراتب والأحوال والمقامات الموصلة. ولتعظّموا الله وتعرفوا عظمته وكبرياءه على هدايته إيّاكم إلى مقام الجمع.

﴿**وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾[4] بالاستقامة أمركم بذلك.

﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي**﴾[5] السّالكون الطّالبون المتوجّهون إلي، عن معرفتي، ﴿**فَإِنِّي قَرِيبٌ**﴾[6] ظاهر، ﴿**أُجِيبُ دَعْوَةَ**﴾[7] مَن يدعوني بلسان الحال والاستعداد بإعطائه ما اقتضى حاله واستعداده، ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾[8] بتصفية الاستعداد بالزّهد والعبادة، فإنّي أدعوهم إلى نفسي وأعلمهم كيفيّة السّلوك إليّ، وليشاهدوني عند التّصفية، فإنّي أتجلّى عليهم في مرائي قلوبهم لكي يرشدوا بالاستقامة، أي: لكي يستقيموا ويصلحوا.

﴿**أُحِلَّ لَكُمْ**﴾[9]، أي: أبيح لكم، ﴿**لَيْلَةَ الصِّيَامِ**﴾[10]، أي: في وقت الغفلة الذي يتخلّل ذلك الإمساك المذكور في زمان حضوركم، ﴿**الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ**﴾[11] التّنزّل إلى مقارفة نفوسكم بحظوظها، إذ لا مصابرة لكم عنها، لكونها تلابسكم وكونكم تلابسونها بالتّعلّق الضّروريّ.

---

[1] سورة البَقَرَة، الآية 185.
[2] سورة البَقَرَة، الآية 185.
[3] سورة البَقَرَة، الآية 185.
[4] سورة البَقَرَة، الآية 185.
[5] سورة البَقَرَة، الآية 186.
[6] سورة البَقَرَة، الآية 186.
[7] سورة البَقَرَة، الآية 186.
[8] سورة البَقَرَة، الآية 186.
[9] سورة البَقَرَة، الآية 187.
[10] سورة البَقَرَة، الآية 187.
[11] سورة البَقَرَة، الآية 187.

﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾[1] باستراق الحظوظ في أزمنة تلك السّلوك والرّياضة والحضور، ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ﴾[2].

﴿فَالْآنَ﴾[3]، أي: في وقت الاستقامة والتّمكين حال البقاء بعد الفناء، ﴿بَاشِرُوهُنَّ﴾[4] في أوْقات الغفلات.

﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ۚ﴾[5] من التّقوى والتّكمّن بتلك الحظوظ على توفير حقوق الاستقامة والقيام بما أمر الله به من العبوديّة والدّعوة إليه، ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾[6]، أي: كونوا مع رفقها، ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ﴾[7]، حتّى تظهر عليكم بوادي الحضور ولوامعه وتغلب آثاره وأنواره على سواد الغفلة وظلمتها، ثمّ كونوا على الإمساك المذكور بالحضور مع الحقّ حتّى يأتي زمان الغفلة، لولا ذلك لما أمكنه القيام بمصالح معاشه ومهماته.

ولا تقاربوهنّ في حال كونكم معتكفين مقيمين حاضرين في مساجد قلوبكم، وإلاّ لتشوّش وقتكم بظهورها.

[آية 188 - 189][8]

---

[1] سورة البَقَرَة، الآية 187.

[2] سورة البَقَرَة، الآية 187.

[3] سورة البَقَرَة، الآية 187.

[4] سورة البَقَرَة، الآية 187.

[5] سورة البَقَرَة، الآية 187.

[6] سورة البَقَرَة، الآية 187.

[7] سورة البَقَرَة، الآية 187.

[8] ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ * ۞ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

﴿**وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم**﴾[1]: معارفكم ومعلوماتكم ﴿**بَيْنَكُم**﴾[2] بباطل شهوات النّفس ولذّاتها بتحصيل مآربها واكتساب مقاصدها الحسّيّة والخياليّة باستعمالها، ﴿**وَتُدْلُوا بِهَا**﴾[3]، وترسلوا إلى حكّام النّفوس الأمّارة بالسّوء، ﴿**لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ**﴾[4] القوى الرّوحانيّة ﴿**بِالْإِثْمِ**﴾[5]، أي: بالظّلم لصرفكم إيّاها في ملاذ القوى النّفسانيّة، ﴿**وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[6] أنّ ذلك إثم ووضع للشّيء في غير موضعه.

﴿۞ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ** ۖ﴾[7]، أي: عن الطّوالع القلبيّة عند إشراق نور الرّوح عليها.

﴿**قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ**﴾[8]، أي: أوقات وجوب المعاملة في سبيل الله وعزيمة السّلوك، وطواف بيت القلب، والوقوف في مقام المعرفة.

﴿**وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا**﴾[9] بيوت قلوبكم ﴿**مِن ظُهُورِهَا**﴾[10] من طرق حواسّكم ومعلوماتكم المأخوذة من المشاعر البدنيّة، فإنّ ظهر القلب هو الجهة التي تلي البدن، ﴿**وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ**﴾[11]، برّ ﴿**مَنِ اتَّقَىٰ** ۗ﴾[12] شواغل الحواسّ وهواجس الخيال ووَساوِس النّفس.

﴿**وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا** ۚ﴾[13] الباطنة التي تلي الرّوح والحقّ، فإنّ باب القلب هو الطّريق الذي انفتح منه إلى الحقّ، ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ**﴾[14] في الاشتغال بما يشغلكم عنه، ﴿**لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[15].

---

[1] سورة البَقَرَة، الآية 188.
[2] سورة البَقَرَة، الآية 188.
[3] سورة البَقَرَة، الآية 188.
[4] سورة البَقَرَة، الآية 188.
[5] سورة البَقَرَة، الآية 188.
[6] سورة البَقَرَة، الآية 188.
[7] سورة البَقَرَة، الآية 189.
[8] سورة البَقَرَة، الآية 189.
[9] سورة البَقَرَة، الآية 189.
[10] سورة البَقَرَة، الآية 189.
[11] سورة البَقَرَة، الآية 189.
[12] سورة البَقَرَة، الآية 189.
[13] سورة البَقَرَة، الآية 189.
[14] سورة البَقَرَة، الآية 189.
[15] سورة البَقَرَة، الآية 189.

[آية 190 - 194][1]

﴿**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ**﴾[2] من الشّيطان وقوى النّفس الأمّارة، ﴿**وَلَا تَعْتَدُوا** ۚ﴾[3] في قتالها بأن تميتوها عن قيامها بحقوقها والوقوف على حدودها، حتّى تقع في التّفريط والقصور والفتور.

﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾[4]، لكوْنهم خارجين عن ظلّ المحبّة والوحدة الذي هو العدالة.

﴿**وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ**﴾[5] وجدْتموهم أزيلوا حياتهم وامنعوهم عن أفعالها بقمع هواها الذي هو روحها حيث كانوا، ﴿**وَأَخْرِجُوهُم**﴾[6] من مكّة الصّدر عند استيلائها عليها، كما أخرجوكم عنها باستنزالكم إلى بقعة النّفس وإخراجكم عن مقرّ القلب.

وفتنتهم التي هي عبادة هواها وأصنام لذاتها أشد من قمع هواها وإماتتها الكلّيّة، أو محنتكم وابتلاؤكم بها عند استيلائها أشدّ عليكم من القتل الذي هو طمس غرائزكم ومحْو استعدادكم بالكلّيّة لزيادة الألم هناك.

---

[1] ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ * فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ * الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾.

[2] سورة البَقَرَة، الآية 190.

[3] سورة البَقَرَة، الآية 190.

[4] سورة البَقَرَة، الآية 190.

[5] سورة البَقَرَة، الآية 191.

[6] سورة البَقَرَة، الآية 191.

﴿**وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**﴾[1] الذي هو مقام القلب، أي: عند الحضور القلبي إذا وافقوكم في توجهكم، فإنّها أعوانكم على السّلوك حينئذ، ﴿**حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ**﴾[2] وينازعوكم في مطالبهم ويجروكم عن جناب القلب ودين الحقّ إلى مقام النّفس ودينهم الذي هو عبادة العجل.

﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ**﴾[3] من تنازعهم ودواعيهم وتعبدهم، ﴿**وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ**﴾[4] بتوجّه جميعها إلى جناب القدس ومشايعتها للسرّ في التّوجّه إلى الحقّ، ليس للشّيطان والهوى فيه نصيب.

﴿**فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ**﴾[5] عليهم، إلاّ العادين المجاوزين عن حدودهم.

﴿**الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ**﴾[6]، أي: وقت منعها إياكم عن مقصدكم ودينكم، وهو بعينها وقت منعكم إيّاها عن عقوقها حتّى ترضى بالوقوف على حدودها، وشهرها الحرام هو وقت قيامها بحقوقها، وشهركم الحرام هو وقت الحضور والمراقبة.

[آية 195 - 196][7]

---

[1] سورة البَقَرَة، الآية **191**.

[2] سورة البَقَرَة، الآية **191**.

[3] سورة البَقَرَة، الآية **193**.

[4] سورة البَقَرَة ، الآية **193**.

[5] سورة البَقَرَة، الآية **193**.

[6] سورة البَقَرَة، الآية **194**.

[7] ﴿**وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوا ۛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾.

﴿**وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾[1] ما معَكم من العلوم بالعمل بها ولا تدّخروها لوقت آخر عسى لا تدركونه، فلا شيء أضرّ من التّسويف.

﴿**وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى**﴾[2] تهلكة التّفريط وتأخير العمل بالعلم وإنفاقه في مصالح النّفس، فإنّه موجب للحرمان، ﴿**وَأَحْسِنُوا** ۛ﴾[3]، أي: وكونوا في عملكم مشاهدين.

﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾[4] المشاهدين في أعمالهم ربّهم، مخلصين له فيها.

﴿**وَأَتِمُّوا**﴾[5] حجّ توحيد الذات وعمرة توحيد الصّفات بإتمام جميع المقامات والأحوال، بالسّلوك إلى الله وفي الله.

﴿**فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ**﴾[6] بمنع كفار النّفس الأمّارة إيّاكم عنهما.

﴿**فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ** ۖ﴾[7]، فجاهدوا في الله بسوق هدي النّفس وذبحها بفناء كعبة القلب أو عرضة ما تمنّى منها القلب من المقام.

وما استيْسر إشارة إلى أنّ النّفوس مختلفة في استعداداتها وصفاتها، فبعضها موصوف بصفات حيوان ضعيف، وبعضها بصفات حيوان قوي. ولكلّ ما تيسّر أو بعضها بصفات حيوان ذلول سهل الانقياد، وبعضها بصفات حيوان صعب عسر الانقياد، وربّما كان لبعضها صفة لم يتيسّر قمعها وإن تيسّر قمع سائر صفاتها.

ومثل هذا الحاجّ محصر أبدًا.

﴿**وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ**﴾[8] ولا تزيلوا آثار الطّبيعة، وتختاروا طيب القلب وفراغ الخاطر من الهموم والتّعلّقات كلّها، والعادات والعبادات، وتقتصروا على صفاء الوقت، كما هو مذهب القلندريّة؛ ﴿**حَتَّىٰ يَبْلُغَ**﴾[9] هدي النّفس ﴿**مَحِلَّهُ** ۚ﴾[10]، أي: مكانه، وهو مذبحه أو منحره

---

[1] **سورة البَقَرَة، الآية 195.**

[2] **سورة البَقَرَة، الآية 195.**

[3] **سورة البَقَرَة، الآية 195.**

[4] **سورة البَقَرَة، الآية 195.**

[5] **سورة البَقَرَة، الآية 196.**

[6] **سورة البَقَرَة، الآية 196.**

[7] **سورة البَقَرَة، الآية 196.**

[8] **سورة البَقَرَة، الآية 196.**

[9] **سورة البَقَرَة، الآية 196.**

[10] **سورة البَقَرَة، الآية 196.**

الذي يقتضي أن تكون أفعالها التي كانت محرّمة عند حياتها بهواها تصير حلاً عند قتلها لكونها بالقلب، فتأمنوا من بقاياها، وإلاّ لتشوّش وقتكم وتكدر صفاؤكم بظهورها ونشاطها بالدّعوى عند بسط القلب، كما هو حال أكثر القلندريّة اليوم.

﴿**فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا**﴾[1]، أي: ضعيف الاستعداد مملوء القلب بعوارض لازمة في جبلتها أو مكتسبة من العادات ﴿**أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ**﴾[2] أو ممنوعًا مبتلى بهموم وتعلّقات ورذائل وهيئات، ولم يتيسّر له السّلوك والمجاهدة على ما ينبغي، وأراد أن يقتصر على طيب القلب وصفاء الوقت ليبقى على الفطرة، ولا ينتكس وينحطّ عن درجته وإن لم يترق.

فعليه فدية من إمساك عن بعض لذّاته وشواغله النّفسانيّة. أو فعل برّ أو رياضة ومجاهدة تقمع بعض القوى المزاحمة، فليحفظ وقته وليراع صفاءه بزهْد ما أو عبادة أو مخالفة نفس.

﴿**فَإِذَا أَمِنتُمْ**﴾[3] من العدوّ المحصر.

﴿**فَمَن تَمَتَّعَ**﴾[4] بذوق تجلي الصّفات متوسلاً به إلى حجّ تجلّي الذّات، ﴿**فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ** ۚ﴾[5] بحسب حاله.

﴿**فَمَن لَّمْ يَجِدْ**﴾[6] لضعف نفسه وخمودها وانقهارها، ﴿**فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ**﴾[7]، فعليه الإمساك عن أفعال القوى التي هي الأصول القويّة في وقت التّجلّي والاستغراق في الجمع والفناء في الوحدة، فإنّها لا بدّ من أن تحجب وتجرّ إلى حضيض النّفس والصّدر، وهي العقل والوهم والمتخيّلة؛ ﴿**وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ** ۗ﴾[8] إلى مقام التّفصيل والكثرة، وهي الحواسّ الخمس الظّاهرة والغضب والشّهوة؛ ليكون عند الاستقامة في الأشياء بالله ﴿**تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ** ۗ﴾[9] فذلكة، أي: تلك الإمساكات المذكورة عن أفعال هذه القوى والمشاعر جميع التّفاصيل الكاملة الموجبة

---

[1] **سورة البَقَرَة، الآية 196.**

[2] **سورة البَقَرَة، الآية 196.**

[3] **سورة البَقَرَة، الآية 196.**

[4] **سورة البَقَرَة، الآية 196.**

[5] **سورة البَقَرَة، الآية 196.**

[6] **سورة البَقَرَة، الآية 196.**

[7] **سورة البَقَرَة، الآية 196.**

[8] **سورة البَقَرَة، الآية 196.**

[9] **سورة البَقَرَة، الآية 196.**

لأفاعيل قوى وجوده الموهوب بالحقّ عند حصول الكمال، كما قال: "كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به..." إلى آخر الحديث.

﴿ذَٰلِكَ﴾[1] الحكم ﴿لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ﴾[2] من المحبوبين الكاملين الحاضري مقام القلب في الوحدة، فإنّه لا هدى له ولا مجاهدة ولا رياضة في وصوله وسلوكه إلى الله، بل هو للمحبّين.

[آية 197 - 199][3]

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ۚ﴾[4]، أي: وقت الحج أزمنة معلومة، وهو من وقت بلوغ الحلم إلى الأربعين، كما قال –تعالى– في وصف البقرة: ﴿لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ﴾[5].

﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ﴾[6] على نفسه بالعزيمة والتزم، ﴿فَلَا رَفَثَ﴾[7]، أي: فاحشة ظهور القوّة الشّهوانيّة، ﴿وَلَا فُسُوقَ﴾[8]، أي لأسباب يعني خروج القوّة الغضبيّة عن طاعة القلب، ﴿وَلَا جِدَالَ﴾[9]، أي: تعدّي القوى النّطقيّة بالشّيطنة، ﴿فِي الْحَجِّ ۗ﴾[10]، أي: في قصد بيت القلب.

---

[1] سورة البَقَرَة، الآية 196.

[2] سورة البَقَرَة، الآية 196.

[3] ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ * لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ * ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

[4] سورة البَقَرَة، الآية 197.

[5] سورة البقرة، الآية 68.

[6] سورة البَقَرَة، الآية 197.

[7] سورة البَقَرَة، الآية 197.

[8] سورة البَقَرَة، الآية 197.

[9] سورة البَقَرَة، الآية 197.

[10] سورة البَقَرَة، الآية 197.

﴿**وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ**﴾[1] من فضيلة من أفعال هذه القوى الثّلاث بأمر الشّرع والعقل دون رذائلها، ﴿**يَعْلَمْهُ اللَّهُ**﴾[2] ويثبكم عليه، ﴿**وَتَزَوَّدُوا**﴾[3] من فضائلها التي يلزمها الاجتناب عن رذائلها، ﴿**فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ**﴾[4] منها.

﴿**وَاتَّقُونِ**﴾[5] في أعمالكم ونياتكم، ﴿**يَا أُولِي الْأَلْبَابِ**﴾[6]، فإنّ قضيّة اللبّ، أي: العقل الخالص من شوب الوهم وقشر المادّة اتّقائي.

﴿**لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ**﴾[7]، أي: لا حرج عليكم عند الرّجوع إلى الكثرة في أن تطلبوا رفقًا لأنفسكم وتمتّعوها بحظوظها على مقتضى الشّرع بإذن الحقّ، فإنّ حظّها حينئذ يقوّيها على موافقة القلب في مقاصده، ولأنّها غير طاغية لتنوّرها بنور الحقّ.

﴿**فَإِذَا أَفَضْتُم**﴾[8]، أي: دفعتم أنفسكم من مقام المعرفة التّامّة الذي هو نهاية مناسك الحجّ وأمّها، كما قال النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-: "الحجّ عرفة".

﴿**فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ**﴾[9]، أي: شاهدوا جمال الله عند السرّ الرّوحي المسمّى بالخفيّ، فإنّ الذّكر في هذا المقام هو المشاهدة، والمشعر هو محلّ الشّعور بالجمال المحرّم من أن يصل إليه الغير، ﴿**وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ**﴾[10] إلى ذكره في المراتب، فإنّه -تعالى- هدى أوّلاً إلى الذكر باللّسان، وهو ذكر النّفس.

ثمّ إلى الذّكر بالقلب، وهو ذكر الأفعال الذي تصدر نعماء الله آلاؤه منه.

ثمّ ذكر السرّ، وهو معاينة الأفعال ومكاشفة علوم تجلّيات الصّفات.

ثمّ ذكر الرّوح، وهو مشاهدة أنوار تجلّيات الصّفات مع ملاحظة نور الذّات.

ثمّ ذكر الخفي، وهو مشاهدة جمال الذّات مع بقاء الإثنينيّة.

---

[1] **سورة البَقَرَة، الآية 197.**

[2] **سورة البَقَرَة، الآية 197.**

[3] **سورة البَقَرَة، الآية 197.**

[4] **سورة البَقَرَة، الآية 197.**

[5] **سورة البَقَرَة، الآية 197.**

[6] **سورة البَقَرَة، الآية 197.**

[7] **سورة البَقَرَة، الآية 198.**

[8] **سورة البَقَرَة، الآية 198.**

[9] **سورة البَقَرَة، الآية 198.**

[10] **سورة البَقَرَة، الآية 198.**

ثم ذكر الذات، وهو الشّهود الذاتي بارتفاع البقيّة.

﴿وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ﴾[1]، أي: من قبل الوصول إلى عرفات المعرفة والوقوف بها، ﴿**لَمِنَ الضَّالِّينَ**﴾[2] عن هذه الأذكار.

﴿**ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ**﴾[3]، ثم أفيضوا إلى ظواهر العبادات والطّاعات وسائر وظائف الشّرعيّات والمعاملات من حيث، أي: من مقام إفاضة سائر النّاس فيها، وكونوا كأحدهم.

قيل لجنيد[4] -رحمة الله عليه-: "ما النّهاية؟"، قال: "الرّجوع إلى البداية".

﴿**وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ** ۚ﴾[5] من ظهور النّفس وتبرمها بالحال وطغيانها.

قال النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-: "إنّه ليغان على قلبي، وإنّي لأستغفر الله في اليوم سبعين مرّة".

وقال -صلّى الله عليه وسلّم-: "اللّهم ثبّتني على دينك"، فقيل له في ذلك، فقال -صلّى الله عليه وسلّم-: "أو ما يؤمنني، إنّ مثل القلب كمثل ريشة في فلاة، تقلبها الرّياح كيف شاءت".

ولما تورّمت قدماه، فقالت له عائشة[6] -رضي الله عنها-: "أما غفر لك الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر؟"، قال -صلّى الله عليه وسلّم-: "أفلا أكون عبدًا شكورًا؟!".

وقال أمير المؤمنين -رضي الله عنه-: "أعوذ بالله من الضّلال بعد الهدى".

[آية 200 - 205][7]

---

[1] **سورة البَقَرَة، الآية 198.**

[2] **سورة البَقَرَة، الآية 198.**

[3] **سورة البَقَرَة، الآية 199.**

[4] **هو**

[5] **سورة البَقَرَة، الآية 199.**

[6] **هي**

[7] **﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ * وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ۚ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ * ۞ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ اتَّقَىٰ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ**

﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ﴾[1]، وفرغتم من الحجّ، ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ﴾[2]، أي: فلا تكونوا كأهل العادة مشغولين بذكر الأنساب والمفاخرات وسائر أحوال الدّنيا، فإنّ ذلك يكدر وقتكم ويقسي قلوبكم، بل كونوا مشتغلين بأنواع الذّكر والمذاكرة مع الإخوان، مثل ما كنتم تذكرون أحوال الأنساب وسائر أحوال الدّنيا قبل السّلوك أو كما يذكر النّاس هذه الأحوال بالعادة وأبلغ أو أقوى وأكثر ذكرًا منها، ليبقى صفاؤكم ويهتدي بكم النّاس.

﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا﴾[3]، أي: لا يطلب إلاّ متاع الدّنيا ولا يشتغل إلاّ بذكرها ولا يعبد الله إلا لأجلها، ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾[4]، فإنّ توجّهه إلى الأخس يمنعه عن قبول الأشرف لعدم نهوض همّته إليه واكتساب الظّلمة المنافية للنّور.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا﴾[5]، أي: يطلب خير كلّ من الدّارين ويحترز عن الاحتجاب بالظّلمة والتّعذّب بنيران الطّبيعة والحرمان عن أنوار الرّحمة.

﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ۚ﴾[6] من حظوظ الآخرة وأنوار دار القرار واللذّات الباقية بالأعمال الصّالحة بعد المحاسبة وحطّ بعض الحسنات بالسيّئات والتّعذيب بحسبها أو العفو.

﴿۞ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ۚ﴾[7]، أي: مراتب معدودة بعد الفراغ من الحجّ، وهو مرتبة الرّوح والقلب والنّفس، لأنّ الواصل إذا رجع، رجع إلى هذه المراتب وعليه في المراتب الثّلاث أن يكون بالله، فذلك ذكره.

وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾.

[1] سورة البَقَرَة، الآية 200.

[2] سورة البَقَرَة، الآية 200.

[3] سورة البَقَرَة، الآية 200.

[4] سورة البَقَرَة، الآية 200.

[5] سورة البَقَرَة، الآية 201.

[6] سورة البَقَرَة، الآية 202.

[7] سورة البَقَرَة، الآية 203.

﴿**فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ**﴾[1]، أي: فمَن تعجّل إلى حظوظه في مرتبة الرّوح والقلب، فلا إثم عليه، إذ الرّوح والقلب وحظوظهما لا يحجبان ولا يضرّان.

ومعنى التّعجّل هو أنّ الحركة إذا كانت بالله كانت أسرع ولا يكون معها لبث ولا وقوف ريثما يظهر القلب أو الرّوح ويصير حجابًا نوريًّا، كما يكون لأصحاب التّلوين.

﴿**وَمَن تَأَخَّرَ**﴾[2] إلى الثّالث الذي هو مرتبة النّفس، ﴿**فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ اتَّقَىٰ ۗ**﴾[3]، أي: ذلك الحكم لمن اتّقى أن يكون مع حظوظ النّفس بالنّفس، فإنّ النّفس ألزم لحظّها من صاحبيها وحظّها أغلظ وأبعد من النّور من حظوظهما وسريعًا ما تظهر للزوم الطّيش والحركة إيّاها بخلاف صاحبيها وحظّها أيضًا كثيرًا ما يحجب، وإذا حجب كان حجابه غليظًا ظلمانيًّا فالاحتراز هناك والاحتياط واجب وأولى من الباقيين، لأنّهما إن ظهرا رق حجابهما وسهل زواله، أو ذلك التّخيير لمن اتقى في المراتب الثّلاث.

﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ**﴾[4] في المواطن الثّلاثة من ظهور الأنانيّة والآنيّة حتّى تكونوا في الحظوظ به لا بالنّفس ولا بالقلب ولا بالرّوح.

﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**﴾[5]، أي: أنّكم محشورون معه تحشرون من اسم إلى اسم حاضرون بحضرته، فأنتم على خطر عظيم بخلاف سائر النّاس، كما ورد في الحديث: "المخلصون على خطر عظيم".

وعن النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- عن الله -تعالى-: "بشّر المذنبين بأنّي غفور وأنذر الصدّيقين بأنّي غفور".

﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ**﴾[6]، أي: يدّعي المحبّة، وهو ألدّ الخصام، لكوْنه في مقام النّفس زنديقًا؛ ولهذا قال: ﴿**قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾[7]، إذ ليس له قول في الآخرة بالقلب.

---

[1] **سورة البَقَرَة، الآية 203.**

[2] **سورة البَقَرَة، الآية 203.**

[3] **سورة البَقَرَة، الآية 203.**

[4] **سورة البَقَرَة، الآية 203.**

[5] **سورة البَقَرَة، الآية 203.**

[6] **سورة البَقَرَة، الآية 204.**

[7] **سورة البَقَرَة، الآية 204.**

﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ﴾[1] لإباحته وتزندقه، كما ترى عليه أكثر مدّعي المحبّة والتّوحيد.

﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾[2]، أي: هو مفسد ويدّعي محبّة الله.

وكيف تتأتّى له والمحبّ لا يفعل إلاّ ما يحبّ محبوبه، والله لا يحبّ ما يفعله، فلا يكون صادقًا في دعواه؟!

كما قال الشّاعر:

تعصي الإله وأنت تظهر حبّـه هذا قبيح بالفعال بديـع
لو كان حبك صادقاً لأطعتــه إن المحبّ لمن يحبّ مطيع

[آية 206 - 212][3]

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ۚ﴾[4]، أي: حملته الحمية النّفسانيّة حمية الجاهلية على الإثم لجاجًا وأشرًا لظهور نفسه حينئذ وزعمه أنّه أعلم بما يفعل من ناصحه، ﴿فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ ۚ﴾[5]، أي: غايته عمق حضيض رتبته التي هو فيها وظلمتها، فإنّ جهنّم معناه: مهوى بعيد العمق مظلمة.

﴿يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ۗ﴾[6] يبذل نفسه في سلوك سبيل الله طلبًا لرضاه.

---

[1] سورة البَقَرَة، الآية 205.

[2] سورة البَقَرَة، الآية 205.

[3] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ * وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ * سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ * زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا ۘ وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

[4] سورة البَقَرَة، الآية 206.

[5] سورة البَقَرَة، الآية 206.

[6] سورة البَقَرَة، الآية 207.

﴿**ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ**﴾[1]، أي: في الاستسلام وتسليم الوجوه لله، إذ معاداة القوى بعضها بعضًا، وعدم موافقتها في التّسليم لأمر الله دليل تتّبع الشّيطان، وهو يريد أن تستحقّوا قهر الله بارتكاب الإسرافات المذمومة لعداوته الغريزيّة لكم لاختلاف جبلّته وجبلّتكم، وقصوره عن نور فطرتكم، لكونه ناري الخلقة لا يطلب منكم إلاّ أن تكونوا ناريين مثله لا نورانيين، فهو عدوّ في الحقيقة في صورة المحبّ.

﴿**فَإِن زَلَلْتُم**﴾[2] عن مقام التّسليم لأمر الله ﴿**مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ**﴾[3] دلائل تجلّيات الأفعال والصّفات، ﴿**فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ**﴾[4] غالب يقهركم، ﴿**حَكِيمٌ**﴾[5] لا يقهر إلاّ على مقتضى الحكمة، والحكمة تقتضي قهر المخالف المنازع، ليعتبر المطيع الموافق ويزيد في الطّاعة.

﴿**هَلْ يَنظُرُونَ**﴾[6]، أي: هل ينتظرون، ﴿**إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ**﴾[7] يتجلّى ﴿**اللَّهُ فِي ظُلَلٍ**﴾[8] صفات الهويّة من جملة تجلّيات الصّفات وصور ملائكة القوى السّماويّة.

وقضى في اللّوح أمر إهلاكهم، ﴿**وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ**﴾[9]، فيقابل كلّ امرئ بجزانة أو تزهق إليه بالفناء.

[آية 213 - 215][10]

---

[1] سورة البَقَرَة، الآية 208.

[2] سورة البَقَرَة، الآية 209.

[3] سورة البَقَرَة، الآية 209.

[4] سورة البَقَرَة، الآية 209.

[5] سورة البَقَرَة، الآية 209.

[6] سورة البَقَرَة، الآية 210.

[7] سورة البَقَرَة ، الآية 210.

[8] سورة البَقَرَة، الآية 210.

[9] سورة البَقَرَة، الآية 210.

[10] ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ

﴿**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً**﴾[1]، أي: على الفطرة ودين الحقّ، كما قال –صلّى الله عليه وسلّم–: "كلّ مولود يولد على الفطرة"، وهو في عهد الفطرة الأولى على الحقيقة، أو في زمن الطّفولة، أو في عهد آدم –عليه السّلام– ﴿**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً**﴾[2]، ثمّ اختلفوا في النّشأة بحسب اختلاف طبائعهم وغلبة صفات نفوسهم، وتفرّقت أهوائهم.

فإنّ تضادّ أصول بنْيتهم ومراكز أبْدانهم باختلاف البقاع والأهوية، اقتضى ذلك، وكذا ما في طباعهم من جذب النّفع الخاصّ ودفع الضرّ الخاصّ لاحتجاب كلّ بمادّة بدنه واقتضاء الحكمة الإلهيّة، ذلك لمصلحة النّشوء والنّماء يقتضي التّعادي والتّخالف؛ ﴿**فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ**﴾[3]، ليدعوهم من الخلاف إلى الوفاق، ومن الكثرة إلى الوحدة، ومن العداوة إلى المحبة، فتفرقوا وتحزّبوا عليهم وتميّزوا.

فأمّا السّفليون الذين رسخت في طباعهم محبّة الباطل وغلب على قلوبهم الرّين وطبع عليها وعميت وزال استعدادهم بغلبة هواهم، فازدادوا خلافًا وعنادًا، فكأنّهم ما اختلفوا إلاّ عند بعثهم وإتيانهم بالكتاب الذي هو سبب ظهور الحقّ والوفاق حسدًا بينهم، ناشئًا من عند أنفسهم، وغلبة هواهم واحتجابهم.

وأمّا العلويّون الذين بقوا على الصّفاء الأصلي والاستعداد الأوّل، فهداهم الله إلى الحقّ الذي اختلفوا فيه، وزال خلافهم وسلكوا الصّراط المستقيم.

﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا**﴾[4] جنّة تجلّي الجمال، ﴿**وَلَمَّا يَأْتِكُم**﴾[5] حال ﴿**الَّذِينَ**﴾[6] مضوا ﴿**مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ**﴾[7] بأساء التّرك والتّجريد والفقر والافتقار، وضراء المجاهدة والرّياضة

قَرِيبٌ * يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾.

[1] **سورة البَقَرَة، الآية 213.**

[2] **سورة البَقَرَة، الآية 213.**

[3] **سورة البَقَرَة، الآية 213.**

[4] **سورة البَقَرَة، الآية 214.**

[5] **سورة البَقَرَة، الآية 214.**

[6] **سورة البَقَرَة، الآية 214.**

[7] **سورة البَقَرَة، الآية 214.**

وكسر النّفس بالعبادة، ﴿**وَزُلْزِلُوا**﴾[1] بدواعي الشّوق والمحبّة عن مقارّ نفوسهم، ليظهروا ما في استعدادهم بالقوّة؛ ﴿**حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ**﴾[2]، أي: حتّى تضجروا من طول مدّة الحجاب، وكثرة الجهاد من الفراق، وعيل صبرهم عن مشاهدة الجمال، وذوق الوصال، وطلبوا نصر الله بالتّجلّي على قمع صفات النّفوس مع قوّة مصابرتهم، وحسن تحمّلهم لما يفعل المحبوب، ويريد بهم من ابتلائهم بالهجران، وإذاقتهم الفرقة لاشتداد قوّة المحبّة، فكيف بغيرهم؟

فأجيبوا إذا بلغ جهدهم ونفذت طاقتهم، وقيل لهم: ﴿**أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ**﴾[3]، أي: رفع الحجاب وظهرت آثار الجمال.

[تفسير سورة البقرة من آية 216 إلى آية 245][4]

---

[1] سورة البَقَرَة، الآية 214.

[2] سورة البَقَرَة، الآية 214.

[3] سورة البَقَرَة، الآية 214.

[4] ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ ۚ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * ۞ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ * فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۗ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۖ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ * نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ * وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا

كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ * لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ
اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ
ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ
بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ
وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا
مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ
عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
الظَّالِمُونَ * فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن
يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ
فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا ۚ وَمَن
يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ
عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * وَإِذَا طَلَّقْتُمُ
النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ
بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا
تَعْلَمُونَ * ۞ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى
الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا
مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ ۚ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ
عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاتَّقُوا
اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ
أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ اللَّهُ
أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ
يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ
* لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ
قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ * وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن
تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ۚ
وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * حَافِظُوا عَلَى
الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ * فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ
كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ * وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى
الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ * وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ * كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾[2] قتال النّفس والشّيطان، وهو مكروه لكم أمرّ من طعم العلقم، وأشدّ من ضغم الضيغم.

﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[3]، لاحتجابكم بهوى النّفس وحبّ اللذّة العاجلة عمّا في ضمنه من الخير الكثير، واللذّة العظيمة الرّوحانيّة التي تستحقر تلك الشدّة السّريعة الانقضاء بالقياس إلى ذلك الخير الباقي، واللذّة السّرمديّة، وكذا عكسه.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾[4] ما في الأمور من الخير والشرّ، ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[5] ذلك، لاحتجابكم بالعاجل عن الآجل، وبالظّاهر عن الباطن.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ﴾[6] يسألونك عن جهاد النّفس وأعوانها، والشّيطان وجنوده في وقت التّوجّه والسّلوك إلى الحقّ وجمعية الباطن الحرام فيه حركة السرّ.

﴿قُلْ﴾[7] الجهاد في ذلك الوقت أمر عظيم شاقّ، وصرف وجوهكم عن سبيل الله، ومقام السرّ، ومحلّ الحضور احتجاب عن الحقّ، وإخراج أهل القلب الذين هم القوى الرّوحانيّة عن مقارّهم أعظم وأكبر عند الله، وفتنة الشّرك والكفر وبلاؤهما عليكم أشدّ من قتلكم إيّاهم بسيف الرّياضة.

تَعْقِلُونَ * ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ * وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

[1] سورة البَقَرَة، الآية 216.

[2] سورة البَقَرَة، الآية 216.

[3] سورة البَقَرَة، الآية 216.

[4] سورة البَقَرَة، الآية 216.

[5] سورة البَقَرَة، الآية 216.

[6] سورة البَقَرَة، الآية 217.

[7] سورة البَقَرَة، الآية 217.

ولا تزال تلك القوى النّفسانيّة والأهواء الشّيطانيّة يقاتلونكم، بذبّكم عن دينكم ومقصدكم، ودعوتكم إلى دين الهوى والشّيطان، ﴿**حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ**﴾[1] باتّباعهم.

﴿**فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ**﴾[2] التي عملوها في الاستسلام والانقياد، ﴿**وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ**﴾[3] نار الحجاب والتّعذيب، ﴿**هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾[4].

﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾[5] يقينًا، ﴿**وَالَّذِينَ هَاجَرُوا**﴾[6] أوطان النّفس ومألوفات الهوى، ﴿**وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾[7]، وجنود الشّيطان والنّفس الأمّارة، ﴿**أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ۚ**﴾[8] تجلّيات الصّفات وأنوار المشاهدة.

﴿۞ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ**﴾[9] خمر الهوى وحبّ الدّنيا وميسر احتيال النّفس في جدب الحظّ، ﴿**قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ**﴾[10] الحجاب والبعد، ﴿**وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ**﴾[11] في باب المعاش وتحصيل اللذّة النّفسانيّة، والفرح بالذّهول عن الهيئات الرّديئة المشوشة والهموم المكدّرة.

﴿۞ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ**﴾[12]، أي: أوطانهم المألوفة ومقارّ نفوسهم المعهودة ومقاماتهم ومراتبهم من الدّنيا، وما ركنوا إليها بدواعي الهوى، وهم قوم كثير ﴿**حَذَرَ الْمَوْتِ**﴾[13]، الجهل والانقطاع عن الحياة الحقيقيّة والوقوع في المهاوي الطّبيعيّة؛ ﴿**فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ**

---

[1] سورة البَقَرَة، الآية **217**.
[2] سورة البَقَرَة، الآية **217**.
[3] سورة البَقَرَة، الآية **217**.
[4] سورة البَقَرَة، الآية **217**.
[5] سورة البَقَرَة، الآية **218**.
[6] سورة البَقَرَة، الآية **218**.
[7] سورة البَقَرَة، الآية **218**.
[8] سورة البَقَرَة، الآية **218**.
[9] سورة البَقَرَة، الآية **219**.
[10] سورة البَقَرَة، الآية **219**.
[11] سورة البَقَرَة، الآية **219**.
[12] سورة البَقَرَة، الآية **243**.
[13] سورة البَقَرَة، الآية **243**.

﴿مُوتُوا﴾[1]، أي: أمرهم بالموت الإرادي، أو أماتهم عن ذواتهم بالتّجلّي الذّاتي، حتّى فنوا في الوحدة؛ ﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ۚ﴾[2] بالحياة الحقيقية العلميّة، أو به بالوجود الموهوب الحقّاني، والبقاء بعد الفناء.

ولا يبعد أن يريد به ما أراد من قصّة عزير، أي: خرجوا هاربين من الموت الطّبيعي، فأماتهم الله؛ ﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ۚ﴾[3] بتعلّق أرواحهم بأبدان من جنس أبدانهم، ليحصلوا بها كمالهم.

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[4] النّفس والشّيطان على الأوّل والثّاني. وعلى الثّالث لا تخافوا من الموت في مقاتلة الأعداء، فإنّ الهرب منه لا ينفع، كما لم ينفع أولئك. والله يحييكم كما أحياهم.

﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾[5] هو بذل النّفس بالجهاد، أو بذل المال بالإيثار.

﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾[6]، أي: هو مع معاملتكم في القبض والبسط، فإنّكم بأوصافكم تستنزلون أوصافه.

إن تبخلوا بما في أيديكم يضيّق عليكم ويقتّر، وإن تجودوا يوسّع عليكم بحسب جودكم، كما ورد في الحديث: "تنزل المعونة على قدر المؤونة".

للتّفسير [سورة البقرة من آية 246 إلى آية 247][7]

---

[1] سورة البَقَرَة، الآية 243.

[2] سورة البَقَرَة، الآية 243.

[3] سورة البَقَرَة، الآية 243.

[4] سورة البَقَرَة، الآية 244.

[5] سورة البَقَرَة، الآية 245.

[6] سورة البَقَرَة، الآية 245.

[7] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۖ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿**طَالُوتَ**﴾[1]: كان رجلاً فقيرًا، لا نسب له، ولا مال، فما قبلوه للملك، لأنّ استحقاق الملك والرّياسة عند العامّة إنّما هو بالسّعادة الخارجيّة التي هي المال والنّسب، فنبّه نبيّهم على أنّ الاستحقاق إنّما يكون بالسّعادتيْن الأخرييْن:

– الرّوحانيّة التي هي العلم.

– والبدنيّة: التي هي زيادة القوى وشدّة البنية والبسطة، بقوله: ﴿**وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ**﴾[2].

والله أعلم بمن يستحقّ الملك فيؤتيه ﴿**مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ**﴾[3] كثير العطاء، يؤتي المال، كما يؤتي الملك، ﴿**عَلِيمٌ**﴾[4] بمن له الاستحقاق وما يحتاج إليه من المال الذي يعتضد به، فيعطيه.

للتّفسير [سورة البقرة من آية 248 إلى آية 254][5]

---

[1] سورة البَقَرَة، الآية 247.

[2] سورة البَقَرَة، الآية 247.

[3] سورة البَقَرَة، الآية 247.

[4] سورة البَقَرَة، الآية 247.

[5] ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۚ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ * وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ * تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * ۞ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ۚ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ۗ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

ثمّ بيّن أنّ استحقاق الملك له علامة أخرى، وهي: إذعان الخلق له، ووقوع هيبته ووقاره في القلوب، وسكون قلوبهم إليه، ومحبّتهم له، وقبولهم لأمره على الطّاعة والانقياد.

وهو الذي كان يسميه الأعاجم من قدماء الفرس "خوره". وما يختصّ بالملوك كيان خوره، ثمّ من بعدهم سموه "فر"، فقالوا: كان فر للملك في أفريدون، وذهب عن كيكاؤوس فر الملك، فطلبوا من له الفر، فوجدوا للملك المبارك كيخسرو وسماه "التّابوت"، أي: ما يرجع إليه من الأمور. لأنّ التابوت فعلوت من التّوب، أي: يأتيكم من جهته ما يرجع في ثبوت ملكه من الإذعان والطّاعة والانقياد والمحبّة له بإلقاء الله له ذلك في قلوبكم، كما قال النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-: "نصرت بالرّعب مسيرة شهر". أو ما يرجع إليه من الحالة النّفسانيّة، والهيئة الشّاهدة له على صحّة ملكه.

﴿**فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ**﴾[1]، أي: ما تسكن قلوبكم إليه.

﴿**وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ**﴾[2] في أولادهم من المعنى المسمّى "فر"، وهو نور ملكوتيّ تستضيء به النّفس باتّصالها بالملكوت السّماويّة، واستفاضتها ذلك من عالم القدرة مستلزم لحصول علم السّياسة وتدبير الملك والحكمة المزيّنة لها.

﴿**تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ۚ**﴾[3]، أي: ينزل إليكم بتوسّط الملائكة السّماويّة.

ويمكن أنّه كان صندوقًا فيه طلسم من باب نصرة الجيش وغيره من الطّلسمات التي تذكر أنها للملك على ما يرى من أنّه كان فيه صورة لها رأس كرأس الآدمي والهرّ، وذنب كذنبه، كالذي كان في عهد أفريدون المسمّى "درفش كاويان".

﴿**إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ**﴾[4] هو منهل الطّبيعة الجسمانيّة، ﴿**فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي**﴾[5]، أي: من كرع فيه مفرطًا في الريّ منه؛ لأنّ أهل الطّبيعة وعبدة الشّهوات أذلّ وأعجز خلق الله، لا قوّة لهم بقتال جالوت النّفس الأمّارة، ولا بجالوت عدوّ الدّين، إذ لا حمية لهم ولا تشدّد.

---

[1] **سورة البَقَرَة، الآية 248.**

[2] **سورة البَقَرَة، الآية 248.**

[3] **سورة البَقَرَة، الآية 248.**

[4] **سورة البَقَرَة، الآية 249.**

[5] **سورة البَقَرَة، الآية 249.**

﴿**إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ** ۚ﴾[1]، أي: إلاّ مَن اقتنع منه بقدر الضّرورة والاحتياج من غير حرص وانهماك فيه، ﴿**فَشَرِبُوا مِنْهُ**﴾[2]، أي: كرعوا فيه وانهمكوا، ﴿**إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ** ۚ﴾[3]، إذ المتنزّهون عن الأقذار الطّبيعيّة، المتقدّسون عن ملابسها، المتجرّدون عن غواشيها قليلون بالنّسبة إلى من عداهم.

قال الله –تعالى–: ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۖ﴾[4]، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[5]، وهم الذين آمنوا معه من أهل اليقين الذين كانوا يعلمون بنور يقينهم أن الغلبة ليست بالكثرة، بل بالنّصرة الإلهيّة، فصبروا على ما عاينوا بقوّة يقينهم، فظفروا.

وقل مَن جدّ في أمر يطالبـــه واستصحب الصّبر إلاّ فاز بالظّفر

[تفسير سورة البقرة آية 255][6]

﴿**اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ**﴾[7] في الوجود، فكلّ ما عبد دونه لم تقع العبادة إلاّ له، علم أو لم يعلم، إذ لا معبود ولا موجود سواه، ﴿**الْحَيُّ**﴾[8] الذي حياته عين ذاته، وكلّ ما هو حيّ لم يحي إلاّ بحياته، ﴿**الْقَيُّومُ** ۚ﴾[9] الذي يقوم بنفسه ويقوم كلّ ما يقوم به. فلولا قيامه ما قام شيء في الوجود.

---

[1] **سورة البَقَرَة، الآية 249.**

[2] **سورة البَقَرَة، الآية 249.**

[3] **سورة البَقَرَة، الآية 249.**

[4] **سورة ص، الآية 24.**

[5] **سورة سبأ، الآية 13.**

[6] **﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾.**

[7] **سورة البَقَرَة، الآية 255.**

[8] **سورة البَقَرَة، الآية 255.**

[9] **سورة البَقَرَة، الآية 255.**

﴿**لَا تَأْخُذُهُ**﴾[1] غفوة ونعاس، كما يعتري الأحياء من غير قصدهم. فإنّ ذلك لا يكون إلاّ لمن حياته عارضة، فتغلبه الطّبيعة بالحالة الذّاتيّة طلبًا للهدوء والرّاحة والإبدال عن تحليل اليقظة. فأمّا من حياته عين ذاته، فلا يمكن له ذلك.

وبيّن كون حياته غير عارضة بقوله: ﴿**وَلَا نَوْمٌ** ۚ﴾[2]، فإنّ النّوم ينافي كوْن الحياة ذاتيّة، لأنّه أشبه شيء بالموت.

ولهذا قيل: النّوم أخو الموْت. ومَن لا نوم له لذاته، لمنافاته كون الحياة غير ذاته، فلا سنة له، إذ السّنة من مقدّماته وآثاره، كما تقول: ليس له ضحك ولا تعجّب.

وقوله: ﴿**لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ** ۚ﴾[3] بيان لقيوميّته، ﴿**لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ** ۗ﴾[4] نواصيهم بيده، يفعل بهم ما يشاء.

﴿**مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ** ۚ﴾[5]، إذ كلّهم له وبه يتكلّم مَن يتكلّم به وبكلامه، فكيف يتكلّم بغير إذنه وإرادته؟!

﴿**يَعْلَمُ**﴾[6] ما قبلهم وما بعدهم، فكيف بهم وبحالهم؟! أي: علمه شامل للأزمنة والأشخاص والأحوال كلّها، فيعلم المستحق للشفاعة، وغير المستحقّ لها.

﴿**وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ** ۚ﴾[7]، أي: بما اقتضت مشيئته أن يعلمهم، فعلم كلّ ذي علم شيء من علمه ظهر على ذلك المظهر، كما قالت الملائكة: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ﴾[8].

﴿**وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ** ۖ﴾[9]، أي: علمه، إذ الكرسيّ مكان العلم الذي هو القلب.

---

[1] سورة البَقَرَة، الآية 255.
[2] سورة البَقَرَة، الآية 255.
[3] سورة البَقَرَة، الآية 255.
[4] سورة البَقَرَة، الآية 255.
[5] سورة البَقَرَة، الآية 255.
[6] سورة البَقَرَة، الآية 255.
[7] سورة البَقَرَة، الآية 255.
[8] سورة البقرة، الآية 32.
[9] سورة البَقَرَة، الآية 255.

كما قال أبو يزيد البسطامي[1] –رحمة الله عليه–: "لو وقع العالم وما فيه ألف ألف مرّة في زاوية من زوايا قلب العارف، ما أحسّ به لغاية سعته".

ولهذا قال الحسن: كرسيّه: عرشه، مأخوذ من قوله –صلّى الله عليه وسلّم–: "قلب المؤمن من عرش الله". والكرسيّ في اللّغة: عرش صغير لا يفضل عن مقعد القاعد، شبه القلب به تصويرًا وتخييلاً لعظمته وسعته.

وأمّا العرش المجيد الأكبر، فهو الرّوح الأوّل وصورتهما ومثالهما في الشّاهد الفلك الأعظم، والثّامن المحيط بالسّماوات السّبع وما فيهنّ.

﴿**وَلَا يَئُودُهُ**﴾[2]، أي: ولا يثقله ﴿**حِفْظُهُمَا** ۚ﴾[3]، لأنّهما غير موجودين بدونه ليثقله حملهما، بل العالم المعنويّ كلّه باطنه والصّوري ظاهره، فلا وجود لهما إلاّ به وليسا غيره.

﴿**وَهُوَ الْعَلِيُّ**﴾[4] الشّأن الذي لا يعلوه شيء وهو يعلو كلّ شيء، ويقهره بالفناء، ﴿**الْعَظِيمُ**﴾[5] الذي لا يتصوّر كنْه عظمته، وكلّ عظمة تتصوّر لشيء فهي رشحة من عظمته، وكلّ عظيم فبنصيب من عظمته وحصة منها عظيمة.

---

[1] **أبو يزيد طيفور بن عيسى بن شروسان البِسطامِي، من أعلام التصوف في القرن الثالث الهجري، يلقب بـ "سلطان العارفين "اسمه الفارسي "بايزيد" كما عرف كذلك باسم طيفور، كان جده شروسان مجوسيًا وأسلم، وله أخوان هما آدم وعلي. وكلهم زهاد عباد. ولد سنة 188 هـ في "بسطام" في بلاد خراسان في محلة يقال لها محلة موبدان . روى عن إسماعيل السدي، وجعفر الصادق. توفي سنة 261 هـ، عن ثلاث وسبعين سنة.**

حول ترجمته راجع: طبقات الصّوفيّة، تأليف: أبو عبد الرحمن السّلمي، ص67–68، دار الكتب العلمية، ط 2003. سير أعلام النبلاء، تأليف: الذهبي، ج13، ص86. بحار الولاية المحمّديّة في مناقب أعلام الصوفية، تأليف: جودة محمّد أبو اليزيد المهدي، ص290–ص300. حلية الاولياء، ج10، ص35. طبقات الصّوفيّة: 67 – 74. حلية الأولياء: 10 / 33 – 42. المنتظم: 5 / 28 – 29. معجم البلدان: "بسطام". اللّباب: 1 / 152 – 153. وفيات الأعيان: 2 / 531. ميزان الاعتدال: 2 / 346 – 347. عبر المؤلف: 2 / 23. البداية والنّهاية: 11 / 35. طبقات الأولياء: 245، 398 – 402. النّجوم الزّاهرة: 3 / 35. شذرات الذّهب: 2 / 143 – 144.

[2] **سورة البَقَرَة، الآية 255.**

[3] **سورة البَقَرَة، الآية 255.**

[4] **سورة البَقَرَة، الآية 255.**

[5] **سورة البَقَرَة، الآية 255.**

فالعظمة مطلقًا له دون غيره، بل كلّها له، ليس لغيره فيها نصيب، وهي أعظم آية في القرآن لعظم مدْلولها.

تفسير سورة البقرة من آية 256 إلى آية 258[1]

﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** ۖ﴾[2]، لأنّ الدّين في الحقيقة هو الهدى المستفاد من النّور القلبي، اللاّزم للفطرة الإنسانيّة، المستلزم للإيمان اليقيني؛ كما قال –تعالى–: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾[3]، والإسلام الذي هو ظاهر الدّين مبتن عليه، وهو أمر لا مدخل للإكراه فيه.

والدّليل على أنّ باطن الدّين وحقيقته: الإيمان، كما أنّ ظاهره وصورته الإسلام ما بعده، ﴿**قَد تَّبَيَّنَ**﴾[4]، أي تميّز، ﴿**الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ** ۚ﴾[5] بالدّلائل الواضحة لمن له بصيرة وعقل، كما قيل: قد أضاء الصّبح لذي عينيْن.

﴿**فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ**﴾[6]، أي: ما سوى الله وينفي وجوده وتأثيره، ﴿**وَيُؤْمِن بِاللَّهِ**﴾[7] إيمانًا شهوديًّا حقيقيًّا، ﴿**فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ**﴾[8]، أي: تمسّك بالوحدة الذّاتيّة التي وثوقها بنفسها، فلا شيء أوثق منها، إذ كلّ وثيق بها موثوق، بل كلّ وجود بها موجود وبنفسه

---

[1] ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾.

[2] **سورة البَقَرَة، الآية 256.**

[3] **سورة الرّوم، الآية 30.**

[4] **سورة البَقَرَة، الآية 30.**

[5] **سورة البَقَرَة، الآية 256.**

[6] **سورة البَقَرَة، الآية 256.**

[7] **سورة البَقَرَة، الآية 256.**

[8] **سورة البَقَرَة، الآية 256.**

معدوم؛ فإذا اعتبر وجوده، فله انفصام في نفسه، لأنّ الممكن وثاقته ووجوده بالواجب؛ فإذا قطع النّظر عنه، فقد انقطع وجود ذلك الممكن ولم يكن في نفسه شيئًا. ولا يمكن انفصامه عن وجود عين ذاته، إذ ليس فيه تجزّؤ وإثنينيّة، وفي الانفصام لطيفة، وهو أنّه انكسار بلا انفصال.

ولما لم ينفصل شيء من الممكنات من ذاته –تعالى–، ولم يخرج منه، لأنه إما فعله وإما صفته، فلا انفصال قطعًا، بل إذا اعتبره العقل بانفراده كان منفصمًا، أي: منقطع الوجود متعلّقًا وجوده بوجوده –تعالى–.

﴿**وَاللَّهُ سَمِيعٌ**﴾[1] يسمع قول كلّ ذوي دين، ﴿**عَلِيمٌ**﴾[2] بنيّاتهم وإيمانهم.

﴿**اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾[3] متولّي أمورهم ومحبّتهم، ﴿**يُخْرِجُهُم**﴾[4] من ظلمات صفات النّفس وشبه الخيال والوهم، إلى نور اليقين والهدى وقصناء عالم الرّوح.

﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ**﴾[5] ما يعبدون من دون الله ﴿**يُخْرِجُونَهُم**﴾[6] من نور الاستعداد والهداية الفطريّة إلى ظلمات صفات النّفس والشّكوك والشّبهات.

[تفسير سورة البقرة آية 259][7]

﴿**أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ**﴾[8]، أي: أرأيت مثل الذي مر على قرية باد أهلها، وسقطت سقوفها، وحرّت جدرانها عليها، فتعجب من إحيائها لكونه طالبًا سالكًا لم يصل إلى مقام اليقين

---

[1] سورة البَقَرَة، الآية 256.

[2] سورة البَقَرَة، الآية 256.

[3] سورة البَقَرَة، الآية 257.

[4] سورة البَقَرَة، الآية 257.

[5] سورة البَقَرَة، الآية 257.

[6] سورة البَقَرَة، الآية 257.

[7] ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[8] سورة البَقَرَة، الآية 259.

بعد، ولم يستعد لقبول نور تجلي اسم المحيي والمشهور أنّه كان عزير، ﴿**فَأَمَاتَهُ اللَّهُ**﴾[1]، أي: فأبقاه على موت الجهل. كما قال: ﴿أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ﴾[2] على قول، وقال -تعالى-: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾[3].

﴿**مِائَةَ عَامٍ**﴾[4] يمكن أن يكون العام في عهدهم كان مبنيًّا على دور القمر، فيكون ثمانية أعوام وأربعة أشهر، وأن يكون مبنيًّا على فصول السّنة، فيكون خمسة وعشرين سنة، وأن تكون أعمارهم في ذلك الزّمان كانت طويلة.

﴿**ثُمَّ بَعَثَهُ** ۖ﴾[5] بالحياة الحقيقيّة وطلب منه الوقوف على مدّة اللّبث، فما ظنّها إلاّ يومًا أو بعض يوم، استصغارًا لمدّة اللّبث في موت الجهل المنقضية بالنّسبة إلى الحياة الأبديّة ولعدم شعوره بمرور المدّة كالنّائم الغافل عن الزّمان ومروره.

ثمّ لما تفكّر نبّهه الله -تعالى- على طول مدّة الجهل وموت الغفلة، بأنّه مائة عام، أو أماته بالموت الإرادي في إحدى المدد المذكورة، فتكون المدّة زمان رياضته وسلوكه ومجاهدته في سبيل الله، أو أماته حتف أنفه بالموت الطّبيعي، فتعلّق روحه ببدن آخر من جنسه لاكتساب الكمال، إمّا بعد زمان، وإمّا في الحال حتّى مرّ عليه إحدى المدد الثّلاث المذكورة، وهو لا يطّلع على حاله فيها، ولم يشعر بمبدئه ومعاده، وكان ميّتًا ثمّ بالحياة الحقيقيّة، فاطّلع بنور العلم على حاله وعرف مبدأه ومعاده.

وقوله: ﴿**لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ** ۖ﴾[6]، كقوله -تعالى-: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ﴾[7]، وقوله -تعالى-: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾[8]، وقوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ﴾[9].

---

[1] **سورة البَقَرَة، الآية 259.**

[2] **سورة غافر، الآية 11.**

[3] **سورة البقرة، الآية 28.**

[4] **سورة البَقَرَة، الآية 259.**

[5] **سورة البَقَرَة، الآية 259.**

[6] **سورة البَقَرَة، الآية 259.**

[7] **سورة يونس، الآية 45.**

[8] **سورة النّازعات، الآية 46.**

[9] **سورة الرّوم، الآية 55.**

كلّ ذلك لغفلتهم عن مرور الزّمان، وكذا مفارق أخًا أو مصاحبًا أو شيئًا آخر، إذا أدرك الوصال بعد طول مدة الفراق، كأنّ تلك المدّة حينئذ لم تكن، إذ لا يحسّ بها بعد مضيّها، وإن قاساها، قبل الوصال.

﴿**فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ** ۖ﴾[1]. قيل: طعامه التّين والعنب، وشرابه الخمر واللّبن، فالتّين إشارة إلى المدركات الكلّيّة لكونه لبًّا كلّه، وكون الجزئيّات فيها بالقوّة، كالحبّات التي في التّين، والعنب إشارة إلى الجزئيّات لبقاء اللّواحق المادّية معها في الإدراك كالثّجير والعجم. واللّبن إشارة إلى العلم النافع كالشّرائع. والخمر إشارة إلى العشق والإرادة وعلوم المعارف والحقائق.

﴿**لَمْ يَتَسَنَّهْ** ۖ﴾[2]، أي: لم يتغير عمّا كان في الأزل بحسب الفطرة مودعًا فيك، فإنّ العلوم مخزونة في كلّ نفس بحسب استعدادها، كما قال –صلّى الله عليه وسلّم–: "النّاس معادن كمعادن الذّهب والفضّة".

فإن حجبت بالموادّ وخفيت مدّة بالتّقلّب في البرازخ وظلماتها، لم تبطل ولم تتغيّر عن حالها؛ حتّى إذا رفع الحجاب بصفاء القلب ظهرت كما كانت.

ولهذا قال –صلّى الله عليه وسلّم–: "الحكمة ضالّة المؤمن".

﴿**وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ**﴾[3]، أي: بدنك بحاله على الوجه الأوّل والثّاني، وكيف نخرت عظامه وبليت على الوجه الثّالث، ﴿**وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ** ۖ﴾[4]، أي: ولنجعلك دليلاً للنّاس على البعث، بعثناك.

﴿**وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا**﴾[5]، أي: نرفعها، ﴿**ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا** ۚ﴾[6] على كلا الوجهيْن ظاهر؛ فإنّه إذا بعث وعلم حاله وتجرّده عن البدن علم تركيب بدنه برفع العظام وجمعها وكسوتها لحمًا.

﴿**فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ**﴾[7] ذلك البعث والنّشور، ﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[8].

---

[1] **سورة البَقَرَة، الآية 259.**

[2] **سورة البَقَرَة، الآية 259.**

[3] **سورة البَقَرَة، الآية 259.**

[4] **سورة البَقَرَة، الآية 259.**

[5] **سورة البَقَرَة، الآية 259.**

[6] **سورة البَقَرَة، الآية 259.**

[7] **سورة البَقَرَة، الآية 259.**

[8] **سورة البَقَرَة، الآية 259.**

[تفسير سورة البقرة آية 260][1]

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ﴾[2]، أي: بلغني إلى مقام العيان من مقام العلم الإيقاني.

ولهذا قرّر إيمانه بهمزة الاستفهام التّقريريّة، فـ ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ﴾[3]، أي: أو لم تعلم ذلك يقينًا؟

وأجاب إبراهيم -عليه السّلام- بقوله: ﴿بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ﴾[4]، أي: ليسكن وتحصل طمأنينته بالمعاينة، فإنّ عين اليقين إنّما يوجب الطمأنينة لا علمه.

﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ﴾[5]، أي: القوى الأربعة التي تمنعه عن مقام العيان وشهود الحياة الحقيقيّة.

وقيل: كانت طاووسًا وديكًا وغرابًا وحمامة -وفي رواية: بطّة-؛ فالطّاووس هو العجب، والدّيك: الشّهوة، والغراب: الحرص، والحمامة: حبّ الدّنيا لتألّفها وكرهًا وبرجها. والظّاهر أنّها بطّة، فتكون إشارة إلى الغالب عليها.

﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾[6]، أي: أملهنّ واضممهنّ إليك بضبطها، ومنعها عن الخروج إلى طلب لذّاتها والنّزوع إلى مألوفاتها.

وقيل: أمر بأن يذبحها وينتف ريشها ويخلط لحومها ودماءها بالدقّ ويحفظ رؤوسها عنده، أي: يمنعها عن أفعالها ويزيل هيئاتها عن النّفس، ويقمع دواعيها وطبائعها وعاداتها بالرّياضة، ويبقي أصولها فيه.

---

[1] ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

[2] سورة البَقَرَة، الآية 260.

[3] سورة البَقَرَة، الآية 260.

[4] سورة البَقَرَة، الآية 260.

[5] سورة البَقَرَة، الآية 260.

[6] سورة البَقَرَة، الآية 260.

﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾[1]، أي: من الجبال التي بحضرتك، وهي العناصر الأربعة التي هي أركان بدنه، أي: اقمعها وأمتها حتّى لا يبقى إلاّ أصولها المركوزة في وجودك وموادّها المعدة في طبائع العناصر التي فيك، كانت الجبال سبعة.

فعلى هذا يشير بها إلى الأعضاء السّبعة التي هي أجزاء البدن.

﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ﴾[2]، أي: أنّها إذا أنت حييت بحياتها كانت غير طيّعة مستولية عليك، وحشيّة ممتنعة عن قبول أمرك؛ فإذا قتلتها كنت حيًّا بالحياة الحقيقيّة الموهوبة بعد الفناء والمحو، فتصير هي حيّة بحياتك لا بحياتها، حياة النّفس مطيعة لك منقادة لأمرك، فإذا دعوتها ﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ﴾[3].

﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾[4] غالب على قهر النّفوس، ﴿حَكِيمٌ﴾[5] لا يقهرها إلاّ بحكمة.

ويمكن حمله على حشر الوحوش والطّيور؛ وعلى هذا، فيكون جعل أجزائها على الجبال تغذية الجسم بها ودعاؤه وإتيانه إليه ساعية توجّهها إلى الإنسان بعد النّشور.

[تفسير سورة البقرة من آية 261 إلى آية 262][6]

﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[7] ذكر -سبحانه- ثلاث إنفاقات وفاضل بينها في الجزاء:

- أوّلها : الإنفاق في سبيل الله، وهو إنفاق في عالم الملك عن تجلّي الأفعال يعطيه صاحبه ليثيبه الله -تعالى-، فأثابه سبعمائة أضعاف ما أعطى ثمّ زاد في الأضعاف إلى ما لا يتناهى بحسب المشيئة، لأنّ يده -تعالى- أبسط وأطول من يده بما لا يتناهى.

---

[1] سورة البَقَرَة، الآية 260.

[2] سورة البَقَرَة، الآية 260.

[3] سورة البَقَرَة، الآية 260.

[4] سورة البَقَرَة، الآية 260.

[5] سورة البَقَرَة، الآية 260.

[6] ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

[7] سورة البَقَرَة، الآية 261.

﴿**وَاللَّهُ وَاسِعٌ**﴾[1] كثير العطاء، لا يتقدر بأعطيتنا عطاؤه، ﴿**عَلِيمٌ**﴾[2] بنيّات المعطين واعتقاداتهم أنّه من فضل الله –تعالى–، فيثيبهم على حسب ذلك.

– وثانيها: الإنفاق عن مقام مشاهدة الصّفات على ما سيأتي، وهو الإنفاق لطلب رضاء الله، كما أنّ الأولى هو الإنفاق لطلب عطاء الله.

– وثالثها: الإنفاق بالله، وهو عن مقام شهود الذّات.

﴿**ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى**﴾[3]: نبّه على أنّ الإنفاق يبطله المنّ والأذى، لأنّ الإنفاق إنّما يكون محمودًا لثلاثة أوجه:

– كونه موافقًا للأمر بالنّسبة إلى الله –تعالى–؛

–وكونه مزيلاً لرذيلة البخل بالنّسبة إلى نفس المنفق؛

– وكونه نافعاً مريحًا بالنّسبة إلى المستحقّ.

فإذا من صاحبه فقد خالف أمر الله، لأنّه منهيّ، وظهرت نفسه بالاستطالة والاعتداد بالنّعمة والعجب والاحتجاب بفعلها ورؤية النّعمة منها لا من الله، وكلّها رذائل أردأ من البخل، لازمة له، ولو لم يكن له إلاّ رؤية نفسه بالفضيلة لكفاه مبطلاً.

وأمّا الوجه الثّالث الذي هو بالنّسبة إلى المستحقّ، فيبطله الأذى المنافي للرّاحة والنّفع والمنّ أيضًا مبطل له لاقتضائه التّرفّع وإظهار الاصطناع وإثبات حقّ عليه.

[تفسير سورة البقرة من آية 263 إلى آية 265][4]

---

[1] سورة البَقَرَة، الآية **261**.

[2] سورة البَقَرَة، الآية **261**.

[3] سورة البَقَرَة، الآية **262**.

[4] ﴿۞ **قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى ۗ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ * وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾.

ثمّ قال: ﴿۞ **قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى** ۗ﴾[1]، إذ القول الجميل، وإن كان بالردّ، يفرح قلبه، ويروح روحه، والصّدقة إنّما تنفع جسده ولا تفرح القلب إلاّ بالتّبعيّة وتصوّر النّفع، فإذا قارن ما ينفع الجسد ما يؤذي الرّوح تكدّر النّفع وتنغّص، ولم يقع في مقابلة الفرح الحاصل من القول الجميل، ولو لم يكن مع التّنغيص أيضًا، لأنّ الرّوحانيّات أشرف وأحسن وأوقع في النّفوس.

﴿**وَاللَّهُ غَنِيٌّ**﴾[2] عن الصّدقة المقرونة بالأذى، فيعطي المستحقّ من خزائن غيبه ﴿**حَلِيمٌ**﴾[3]، لا يعاجل بالعقوبة.

﴿**وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ**﴾[4]. هذا هو القسم الثّاني من الإنفاق. فضّله على الأوّل بتشبيهه بالجنّة، فإنّ الجنّة مع إيتاء أكلها تبقى بحالها بخلاف الحبّة، فأشار بها أنّه ملك لهم كأنّه صفة ذاتيّة؛ ولهذا قال: ﴿**وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ**﴾[5]، أي: توطينًا لها على الجود الذي هو صفة ربّانيّة.

وقوله: ﴿**بِرَبْوَةٍ**﴾[6]، إشارة إلى ارتفاع رتبة هذا الإنفاق وارتقائه عن درجة الأوّل، ﴿**أَصَابَهَا وَابِلٌ**﴾[7]، أي: حظّ كثير من صفة الرّحمة الرّحمانيّة ومدد وافر من فيض جوده، لأنّها ملكة الاتّصال بالله -تعالى- بمناسبة الوصْف واستعداد قبوله والاتّصاف به؛ ﴿**فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ**﴾[8]، أي: حظّ كثير، فحظّ قليل.

﴿**وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾[9] بأعمالكم يرى أنّها من أيّ القبيل.

---

[1] **سورة البَقَرَة، الآية 263.**

[2] **سورة البَقَرَة، الآية 263.**

[3] **سورة البَقَرَة، الآية 263.**

[4] **سورة البَقَرَة، الآية 265.**

[5] **سورة البَقَرَة، الآية 265.**

[6] **سورة البَقَرَة، الآية 265.**

[7] **سورة البَقَرَة، الآية 265.**

[8] **سورة البَقَرَة، الآية 265.**

[9] **سورة البَقَرَة، الآية 265.**

[تفسير سورة البقرة من آية 266 إلى آية 268][1]

﴿**أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ**﴾[2]: تمثيل لحال من عمل صالحًا إنفاقًا كان أو غيره متقرّبًا به إلى الله مبتغيًا رضاه، كما في هذا القسم من الإنفاق، ثمّ ظهرت نفسه فيه، وتحرّكت، فكانت حركاتها المتخالفة بحركة الرّوح ودواعيها المتفاوتة المضادّة لداعية القلب إعصارًا؛ فافترض الشّيطان حركتها واتّخذها مجالاً له بالوسوسة، فنفث فيها رؤية عملها أو رياء؛ فكان ذلك النّفث نارًا أحرقت عملها أحوج ما يكون إليه، كما قال أمير المؤمنين عليّ -رضي الله عنه-: "اللّهم اغفر لي ما تقرّبت به إليك، ثمّ خالفه قلبي".

﴿**أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ**﴾[3]: أمر بالقسم الثّالث من الإنفاق من طيّبات ما كسبتم، إذ المختار بالله يختار الأشرف من كلّ شيء للمناسبة، كما قال أمير المؤمنين عليّ -رضي الله عنه-: "إنّ الله جميل يحب الجمال".

ومَن كان في إنفاقه بالنّفس لا يقدر على إنفاق الأشرف لضنّ النّفس ومحبّتها إيّاه، واستئثارها به عن تخصيصه بالله، فما كان بالنّفس ليس ببر أصلاً لقوله -تعالى-: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ﴾[4]، ﴿**وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ**﴾[5] تخصّونه بالإنفاق كعادة المنفقين بالنّفس والطّبيعة.

﴿**وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ ۚ**﴾[6] لمحبتكم الأطيب من المال لأنفسكم لاختصاص محبتكم بالذّات إيّاها، ولهذا لا تؤثرون الله بالمال عليها، فتنفقوا أطيبه له.

---

[1] ﴿**أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ * الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ۖ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾.

[2] **سورة البَقَرَة، الآية 266.**

[3] **سورة البَقَرَة، الآية 267.**

[4] **سورة آل عمران، الآية 92.**

[5] **سورة البَقَرَة، الآية 267.**

[6] **سورة البَقَرَة، الآية 267.**

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ﴾[1]، فاتّصفوا بغناه فتستفيضوا به عن المال ومحبّته، ﴿حَمِيدٌ﴾[2] لا يفعل إلاّ الفعل المحمود، فاقتدوا به.

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ۖ﴾[3]، أي: الخصلة القبيحة التي هي البخل، فتعوّذوا منه بالله، فإنّه ﴿يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ﴾[4]، أي: سترًا لصفات نفوسكم بنوره، ﴿وَفَضْلًا ۗ﴾[5] وموهبة من مواهب صفاته لكم وتجلياتها كالغنى المطلق، فلا يبقى فيكم خوف الفقر.

﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾[6] يسع ذواتكم وصفاتكم وعطاؤكم لا يضيق وعاء جوده بالعطاء ولا ينفد عطاياه، ﴿عَلِيمٌ﴾[7] بمواقع تجلّياته واستعدادها واستحقاقها.

[تفسير سورة البقرة من آية 269 إلى آية 272][8]

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ﴾[9]، لإخلاصه في الإنفاق وكونه فيه بالله، فيعطيه حكمة الإنفاق لينفق من الحكمة الإلهيّة، لكونه متّصفًا بصفاته.

---

1 سورة البَقَرَة، الآية 267.

2 سورة البَقَرَة، الآية 267.

3 سورة البَقَرَة، الآية 268.

4 سورة البَقَرَة، الآية 268.

5 سورة البَقَرَة، الآية 268.

6 سورة البَقَرَة، الآية 268.

7 سورة البَقَرَة، الآية 268.

8 ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ * وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ۗ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ * إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾.

9 سورة البَقَرَة، الآية 269.

﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ﴾[1]، لأنّها أخصّ صفات الله، ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾[2] أنّ الحكمة أشرف الأشياء وأخصّ الصّفات، ﴿إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[3] الذين نور الله عقولهم بنور الهداية، فصفّاها عن شوائب الوهم وقشور الرّسوم والعادات، وهو النّفس.

فجزاء الإنفاق الأوّل هو الإضعاف، وجزاء الثّاني هو الجنّة الصّفاتيّة المثمرة للإضعاف، وجزاء الثّالث هو الحكمة اللاّزمة للوجود والموهوب. فانظر كم بينها من التّفاوت!

﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ۗ﴾[4] من أيّ القبول هو، فيجازيكم بحسبه؛ ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾[5]، أي: المنفقين رئاء النّاس، الواضعين الإنفاق في غير موضعه، أو النّاقضين حقوقهم برؤية إنفاقهم أو ضمّ المنّ والأذى إليه أو بالإنفاق من الخبيث ﴿مِنْ أَنصَارٍ﴾[6] يحفظوا لهم من بأس الله، ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ﴾[7]، لبعدها عن الرّياء وكوْنها أقرب إلى الإخلاص.

﴿۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾[8] إلى الإنفاقات الثّلاثة المذكورة المبرأة عن المنّ والأذى والرّياء ورؤية الإنفاق وكونه من الخبيث، أي: لا يجب عليك أن تجعلهم مهديّين إنّما عليك تبليغ الهداية.

﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ﴾[9]، فلمَ تمنّون به على النّاس وتؤذونهم؟

﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ۚ﴾[10]، فما لكم تستطيلون به على النّاس؟ وكيف تراؤون فيه؟

---

[1] سورة البَقَرَة، الآية 269.
[2] سورة البَقَرَة، الآية 269.
[3] سورة البَقَرَة، الآية 269.
[4] سورة البَقَرَة، الآية 270.
[5] سورة البَقَرَة، الآية 270.
[6] سورة البَقَرَة، الآية 270.
[7] سورة البَقَرَة، الآية 271.
[8] سورة البَقَرَة، الآية 272.
[9] سورة البَقَرَة، الآية 272.
[10] سورة البَقَرَة، الآية 272.

﴿**وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ**﴾[1] ليس لغيركم فيه نصيب، فلا تنفقوا إلاّ على أنفسكم في الحقيقة، لا على غيركم فلا ينقص به شيء منكم، فما لكم تقصدون الخبيث بالإنفاق منه؟ فثلاثتها مصروفة إلى الأقسام الثّلاثة المذكورة من الإنفاق للتّحذير عن آفاتها بتصوير غاياتها.

[تفسير سورة البقرة من آية 273 إلى آية 275][2]

﴿**لِلْفُقَرَاءِ**﴾[3]، أي: اقصدوا بصدقاتكم الفقراء، ﴿**الَّذِينَ**﴾[4] أحصرهم المجاهدة ﴿**فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾[5]، ﴿**لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ**﴾[6] للتّجارة والكسب، لاشتغالهم بالله واستغراقهم في الأحوال وصرف أوقاتهم في العبادات.

﴿**يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ**﴾[7] عن السّؤال والاستغناء عن النّاس، ﴿**تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ**﴾[8] من صفْرة وجوههم، ونور جباههم، وهيئة سحناتهم، أنّهم عرفاء فقراء، أهل الله، لا يعرفهم إلاّ الله ومن هو منهم، ﴿**لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ۗ**﴾[9]، أي: إلحاحًا.

والمراد: نفي مسئلة النّاس بالكلّية، كقوله:

على لاحب لا يهتدى بمنـــــــــــاره

---

[1] سورة البَقَرَة، الآية 272.

[2] ﴿**لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ * الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ۗ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ۚ فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾.

[3] سورة البَقَرَة، الآية 273.

[4] سورة البَقَرَة، الآية 273.

[5] سورة البَقَرَة، الآية 273.

[6] سورة البَقَرَة، الآية 273.

[7] سورة البَقَرَة، الآية 273.

[8] سورة البَقَرَة، الآية 273.

[9] سورة البَقَرَة، الآية 273.

والمراد: نفي المنار والاهْتداء جميعًا، أو نفي الإلحاف وإثبات التّعطّف في المسألة.

﴿**وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ**﴾[1] على أيّ من أنفقتم، غنيًّا كان أو فقيرًا، ﴿**فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ**﴾[2]، أي: بأنّ ذلك الإنفاق له أو لغيره، فيجازي بحسبه.

﴿**الَّذِينَ يُنفِقُونَ**﴾[3]، عمّم الإنفاق أوّلاً وثانيًا بحسب الأوْقات والأحوال، ليعلم أنّه لا يتفاوت بها، بل بالقصد والنيّة، ﴿**الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ**﴾[4] إلى آخره، آكل الرّبا أسْوأ حالاً من جميع مرتكبي الكبائر، فإنّ كلّ مكتسب له توكّل ما في كسبه قليلاً كان أو كثيرًا، كالتّاجر والزّارع والمحترف، إذ لم يعينوا أرزاقهم بعقولهم ولم تتعيّن لهم قبل الاكتساب، فهم على غير معلوم في الحقيقة، كما قال رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–: "أبى الله أن يرزق المؤمن إلاّ من حيث لا يعلم".

وأمّا آكل الرّبا، فقد عيّن على آخذه مكسبه ورزقه سواء ربح الآخذ أو خسر، فهو محجوب عن ربّه بنفسه وعن رزقه بتعيينه، لا توكل له أصلاً، فوكّله الله –تعالى– إلى نفسه وعقله، وأخرجه من حفظه وكلاءته، فاختطفه الجن وخبلته، فيقوم يوم القيامة ولا رابطة بينه وبين الله كسائر النّاس المرتبطين به بالتّوكّل، فيكون كالمصروع الذي مسّه الشّيطان، فتخبّطه لا يهتدي إلى مقصد.

﴿**ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا**﴾[5]، أي: ذلك بسبب احتجابهم بقياسهم وأوّل مَن قاس إبليس، فيكونون من أصحابه مطرودين مثله.

[تفسير سورة البقرة من آية 276 إلى آية 283][6]

---

[1] سورة البَقَرَة، الآية 273.

[2] سورة البَقَرَة، الآية 273.

[3] سورة البَقَرَة، الآية 274.

[4] سورة البَقَرَة، الآية 275.

[5] سورة البَقَرَة، الآية .

[6] ﴿**يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ * وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب**

﴿**يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا**﴾[1]، وإن كان زيادة في الظّاهر، ﴿**وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ**﴾[2]، وإن كان نقصانًا في الشّاهد، لأنّ الزّيادة والنّقصان إنّما يكونان باعتبار العاقبة والنّفع في الدّارين.

والمال الحاصل من الرّبا لا بركة له، لأنّه حصل من مخالفة الحقّ، فتكون عاقبته وخيمة وصاحبه يرتكب سائر المعاصي، إذ كلّ طعام يولد في أكله دواعي وأفعالاً من جنسه.

فإن كان حرامًا يدعوه إلى أفعال محرّمة؛ وإن كان مكروهًا، فإلى أفعال مكروهة؛ وإن كان مباحًا، فإلى مباحة؛ وإن كان من طعام الفضل، فإلى مندوبات، وكان في أفعاله متبرّعًا متفضّلاً؛ وإن كان بقدر الواجب من الحقوق، فأفعاله تكون واجبة ضروريّة؛ وإن كان من الفضول والحظوظ، فأفعاله تكون كذلك، فعليه إثم الرّبا وآثار أفعاله المحرّمة المتولّدة من أكله، على ما ورد في الحديث: "الذّنب بعد الذّنب عقوبة للذنب الأوّل"، فتزداد عقوباته وآثامه أبدًا، ويتلف الله ماله في الدّنيا فلا ينتفع به أعقابه وأولاده، فيكون ممّن خسر الدّنيا والآخرة، وذلك هو المحقّ الكلّي.

وأمّا المتصدّق، فلكون ماله مزكّى، يبارك الله في تثميره مع حفظ الأصل وآكله لا يكون إلاّ مطيعًا في أفعاله، ويبقى ماله في أعقابه وأولاده منتفعًا به، وذلك هو الزّيادة في الحقيقة.

بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا ۚ فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ ۚ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ۚ وَلَا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا ۖ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * ۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾.

[1] **سورة البَقَرَة، الآية 275.**

[2] **سورة البَقَرَة، الآية 275.**

ولو لم تكن زيادته إلاّ ما صرف في طاعة الله، لكفى به زيادة، وأيّ زيادة أفضل مما تبقى عند الله؛ ولو لم يكن نقصان الرّبا إلاّ حصوله من مخالفة الله وارتكاب نهْيه، لكفى به نقصًا، وأيّ نقصان أفحش ممّا يكون سبب حجاب صاحبه وعذابه ونقصان حظّه عند الله؟!

﴿**وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ**﴾[1]، أي: آكل الرّبا كافر أثيم بفعله، والله لا يحبّ مَن كان كذلك.

[تفسير سورة البقرة آية 284][2]

﴿**لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ**﴾[3]، أي: في العالم الرّوحاني كلّه، بواطنه وصفاته وأستار غيوبه ودفائن وجوده، ﴿**وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ**﴾[4]، أي: في العالم الجسماني كلّه ظواهره وأسماؤه وأفعاله، تشهد العالمين، وهو على كلّ شيء شهيد.

﴿**وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ**﴾[5] يشهده بأسمائه وظواهره، فيعلمه ويحاسبكم به، وإن تخفوه يشهده بصفاته وبواطنه، فيعلمه ويحاسبكم به، ﴿**فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ**﴾[6]، لتوحيده وقوّة يقينه، وعروض سيئاته، وعدم رسوخها في ذاته، فإنّ مشيئته مبنيّة على حكمته، ﴿**وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۗ**﴾[7] لفساد اعتقاده، ووجود شكّه، أو رسوخ سيئاته في نفسه.

﴿**وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[8]، فيقدر على المغفرة والتّعذيب جميعًا.

---

[1] **سورة البَقَرَة، الآية 275.**

[2] **﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.**

[3] **سورة البَقَرَة، الآية 284.**

[4] **سورة البَقَرَة، الآية 284.**

[5] **سورة البَقَرَة، الآية 284.**

[6] **سورة البَقَرَة، الآية 284.**

[7] **سورة البَقَرَة، الآية 284.**

[8] **سورة البَقَرَة، الآية 284.**

[تفسير سورة البقرة من آية 285 إلى آية 286][1]

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ﴾[2]: صدّقه بقبوله والتّخلّق به، كما قالت عائشة: "كان خلقه القرآن والتّرقّي بمعانيه والتّحقّق".

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ﴾[3]، وحده جميعًا، ﴿وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾[4]، أي: وحده تفصيلاً عند الاستقامة مشاهدًا لوحدته في صورة تلك الكثرة معطيًا لكلّ تجلّ من تجلّياته في مظهر من مظاهره وحكمه؛ ﴿لَا نُفَرِّقُ﴾[5]، أي: يقولون: لا نفرّق بينهم بردّ بعض وقبول بعض، ولا نشكّ في كوْنهم على الحقّ وبالحقّ لشهود التّوحيد ومشاهدة الحقّ فيهم بالحقّ.

﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا﴾[6]، أي: أجبْنا ربّنا في كتبه ورسله ونزول ملائكته، واستقمنا في سيرنا؛ ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾[7]، أي: اغفر لنا وجوداتنا وصفاتنا وامحها بوجودك ووجود صفاتك، ﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[8] بالفناء فيك.

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ﴾[9] لا يحملها إلاّ ما يسعها، ولا يضيق به طوقها واستعدادها من التّجلّيات، فإنّ حظّ كلّ أحد من الكشوف والتّجلّيات ما يطيق به وعاء استعداده الموهوب له في الأزل من الفيض الأقدس، ولا يضيق عليه؛ ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾[10] من الخيرات والعلوم والكمالات والكشوف على أيّ وجد، سواء كانت بقصدها أو لا بقصدها، فإنّها

---

[1] ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ * لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

[2] سورة البَقَرَة، الآية 285.

[3] سورة البَقَرَة، الآية 285.

[4] سورة البَقَرَة، الآية 285.

[5] سورة البَقَرَة، الآية 285.

[6] سورة البَقَرَة، الآية 285.

[7] سورة البَقَرَة، الآية 285.

[8] سورة البَقَرَة، الآية 286.

[9] سورة البَقَرَة، الآية 286.

[10] سورة البَقَرَة، الآية 286.

من عالم النّور فالخيرات كلّها ذاتيّة لها، ترجع فائدتها إليها دون الشّرور من الجهالات والرّذائل والمعاصي والنّقائص، فإنّها أمور ظلمانيّة غريبة عن جوهرها، فلا تضرّها ولا تلحق تبعتها بها، إلاّ إذا كانت منجذبة إليها متوجّهة بالقصد والاعتمال لتكسبها.

ولهذا ورد في الحديث: "إنّ صاحب اليمين يكتب كلّ حسنة تصدر عن صاحبها في الحال، وصاحب الشّمال لا يكتب، حتّى تمضي عليه ست ساعات، فإن استغفر فيها وتاب أو ندم، فلم يكتب، وإن أصرّ كتب".

والمراد بالنّفس ها هنا: الذّات، وإلاّ لكان الأمر بالعكس، فيكون حينئذ معناه: لا يكلّفها إلاّ ما يسعها ويتيسّر لها من الأعمال دون مدى الجهد والطّاقة؛ وذكر الكسب في موضع الخير لكونها غير معتنية به معتملة له، والاكتساب في موضع الشرّ لكونها منجذبة إليه، معتملة له بالقصد، لكونها مأوى الشرّ.

﴿**رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا**﴾[1] عهْدك ﴿**أَوْ أَخْطَأْنَا** ۚ﴾[2] في العمل لِمَا سواك، والقران على فراقك محتجبين عنك، فإنّا غرباء، بعداء، طال العهد بنا مسافرين عنك، ممتحنين في الظّلمات بأنواع البلاء، ولا قدر ولا مقدار لنا في حضرتك، حتّى تؤاخذنا بذنوبنا.

﴿**رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا**﴾[3] في ذاتنا وصفاتنا وأفعالنا، فتأصرنا وتحبسنا في مكاننا مهجورين عنك، فإنّه لا ثقل أثقل منها، ﴿**كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا** ۚ﴾[4] من المحتجبين بظواهر الأفعال أو بواطن الصّفات.

﴿**رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ** ۖ﴾[5] من ثقل الهجران والحرمان عن وصالك، ومشاهدة جمالك، بحجب جلالك، ﴿**وَاعْفُ عَنَّا**﴾[6] سيّئات أفعالنا وصفاتنا، فإنّها كلّها سيّئات حجبتنا عنك، وحرمتنا برد عفوك ولذّة رضوانك، ﴿**وَاغْفِرْ لَنَا**﴾[7] ذنوب وجوداتنا، فإنّها أكبر الكبائر، كما قيل:

إذا قلت ما أذنبت قالت مجيبــة وجودك ذنب لا يقاس به ذنب

---

[1] **سورة البَقَرَة، الآية 286.**

[2] **سورة البَقَرَة، الآية 286.**

[3] **سورة البَقَرَة، الآية 286.**

[4] **سورة البَقَرَة، الآية 286.**

[5] **سورة البَقَرَة، الآية 286.**

[6] **سورة البَقَرَة، الآية 286.**

[7] **سورة البَقَرَة، الآية 286.**

﴿**وَارْحَمْنَا** ۚ﴾[1] بالوجود الموهوب بعد الفناء، ﴿أنت مولانا﴾[2] ناصرنا ومتولّي أمورنا؛ ﴿**فَانصُرْنَا**﴾[3]، فإنّ من حقّ الوليّ أن ينصر مَن يتولاّه، أو سيّدنا، ومن حقّ السيّد أن ينصر عبيده ﴿**عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾[4]: من قوى نفوسنا الأمّارة وصفاتها، وجنود شياطين أوْهامنا وخيالاتنا، المحجوبين عنك، الحاجبين إيّانا بكفرها وظلمتها.

---

[1] سورة البَقَرَة، الآية 286.

[2] سورة البَقَرَة، الآية 286.

[3] سورة البَقَرَة، الآية 286.

[4] سورة البَقَرَة، الآية 286.

(سورة آلِ عِمْرَان)

)سورة آل عمران(

(بسم الله الرّحمن الرّحيم)

[تفسير سورة آل عِمْرَان من آية 1 إلى آية 6][1]

﴿**الم * اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾[2]، مرّ تأويله.

﴿**نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ**﴾[3]، أي: رقاك رتبة فرتبة، ودرجة فدرجة، بتنزيل الكتاب عليك منجّمًا إلى العلم التّوحيدي الذي هو الحقّ باعتبار الجمع المسمّى بالعقل القرآني، ﴿**مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ**﴾[4] من التّوحيد الأزليّ السّابق المعلوم في العهد الأوّل المخزون في غيب الاستعداد.

﴿**وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ * مِن قَبْلُ**﴾[5]، هكذا.

ثمّ ﴿**أَنزَلَ الْفُرْقَانَ ۗ**﴾[6]، أي: التّوحيد التّفصيلي الذي هو الحقّ باعتبار الفرق المسمّى بالعقل الفرقاني، وهو منشأ الاستقامة ومبدأ الدّعوة.

---

[1] ﴿**الم * اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ * نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ * مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ * إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ * هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾.

[2] سورة آل عِمْرَان، الآيتان **1–2**.

[3] سورة آل عِمْرَان، الآية **3**.

[4] سورة آل عِمْرَان، الآية **3**.

[5] سورة آل عِمْرَان، الآيتان **3–4**.

[6] سورة آل عِمْرَان، الآية **4**.

﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾[1]، أي: احتجبوا عن هذين التّوحيدين بالمظاهر والأكوان التي هي آيات التّوحيد في الحقيقة، ﴿**لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ**﴾[2] في البعْد والحرْمان.

﴿**وَاللَّهُ عَزِيزٌ**﴾[3]، أي: قاهر، ﴿**ذُو انتِقَامٍ**﴾[4] لا يقدر وصفه ولا يبلغ كنهه ولا يقدر على مثله، منتقم، ﴿**لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ**﴾[5] في العالمين، فيعلم مواقع الانتقام.

[تفسير سورة آل عمران من آية 7 إلى آية 12][6]

﴿**مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ**﴾[7] سَمَت من أن يتطرّق إليها الاحتمال والاشتباه لا يحتمل إلا معنى واحدًا، ﴿**هُنَّ أُمُّ**﴾[8]، أي: أصل، ﴿**الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ**﴾[9] تحتمل معنييْن فصاعدًا، ويشتبه فيها الحقّ والباطل.

وذلك أنّ الحقّ –تعالى– له وجه هو الوجه المطلق الباقي بعد فناء الخلق لا يحتمل التّكثّر والتّعدّد، وله وجوه متكثّرة إضافيّة متعدّدة بحسب مرائي المظاهر.

---

1 سورة آل عِمْرَان، الآية 4.

2 سورة آل عِمْرَان، الآية 4.

3 سورة آل عِمْرَان، الآية 4.

4 سورة آل عِمْرَان، الآية 4.

5 سورة آل عِمْرَان، الآية 4.

6 ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ * رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ * رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ * كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ * قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾.

7 سورة آل عِمْرَان، الآية 5.

8 سورة آل عِمْرَان، الآية 7.

9 سورة آل عِمْرَان، الآية 7.

وهي ما يظهر بحسب استعداد كلّ مظهر فيه من ذلك الوجه الواحد، يلتبس فيها الحق بالباطل، فورد التّنزيل، كذلك لتنصرف المتشابهات إلى وجوه الاستعدادات، فيتعلّق كلّ بما يناسبه، ويظهر الابتلاء والامتحان.

فأمّا العارفون المحقّقون الذين يعرفون الوجه الباقي في أية صورة، وأيّ شكل كان، فيعرفون الوجه الحقّ من الوجوه التي تحتملها المتشابهات، فيردّونها إلى المحكمات متمثّلين بمثل قول الشّاعر:

وما الوجه إلاّ واحد غير أنّه إذا أنت أعددت المزايا تعـــــدّدا

وأمّا المحجوبون، ﴿**الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ**﴾[1] عن الحقّ، ﴿**فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ**﴾[2]، لاحتجابهم بالكثرة عن الوحدة؛ كما أنّ المحقّقين يتّبعون المحكم، ويتّبعونه المتشابه، فيختارون من الوجوه المحتملة ما يناسب دينهم ومذهبهم، ﴿**ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ**﴾[3]، أي: طلب الضّلال والإضلال الذي هم بسبيله، ﴿وابتغاء تأويله﴾[4] بما يناسب حالهم وطريقتهم.

إذا اعوجّ سكّين فعوج قرابـــــــــه

فهم كما لا يعرفون الوجه الباقي في الوجوه، لزم أن لا يعرفوا المعنى الحقّ من المعاني، فيزداد حجابهم ويغلظ ليستحقّوا به العذاب.

﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**﴾[5] العالمون، يعلمون بعلمه، أي: إنّما يعلمه الله جميعًا وتفصيلاً، ﴿**يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ**﴾[6] يصدّقون علم الله به، فهم يعلمون بالنّور الإيماني، ﴿**كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ**﴾[7]، لأنّ الكلّ عندهم معنى واحد غير مختلف.

﴿**وَمَا يَذَّكَّرُ**﴾[8] بذلك العلم الواحد المفصّل في التّفاصيل المتشابهة المتكثّرة إلاّ الذين صفت عقولهم بنور الهداية وجردت عن قشر الهوى والعادة.

---

[1] سورة آل عِمْرَان، الآية 7.
[2] سورة آل عِمْرَان، الآية 7.
[3] سورة آل عِمْرَان، الآية 7.
[4] سورة آل عِمْرَان، الآية 7.
[5] سورة آل عِمْرَان، الآية 7.
[6] سورة آل عِمْرَان، الآية 7.
[7] سورة آل عِمْرَان، الآية 7.
[8] سورة آل عِمْرَان، الآية 7.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾[1] عن التّوجّه إلى جنابك، والسّعْي في طلب لقائك، والوقوف ببابك، بالافتتان بحبّ الدّنيا وغلبة الهوى، والميل إلى النّفس وصفاتها، والوقوف مع حظوظها ولذّاتها، ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾[2] بنورك إلى صراطك المستقيم، والدّين القويم، وبسبحات وجهك إلى جمالك الكريم.

﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ﴾[3] رحيميّة تمحو صفاتنا بصفاتك وظلماتنا بأنوارك، ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾[4].

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ﴾[5]، أي: يجمعهم ليوم الجمع الذي هو الوصول إلى مقام الوحدة الجامعة للخلائق أجمعين الأوّلين والآخرين، فلا يبقى لهم شكّ في مشهدهم ذلك.

﴿لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا ۖ﴾[6]، بل هي سبب حجابهم وبعدهم من الله وتعذيبهم بعذابه لشدّة تعلّقهم بهم ومحبّتهم إيّاهم.

[تفسير سورة آل عمران من آية 13 إلى آية 14][7]

---

1 سورة آل عِمْرَان، الآية 8.

2 سورة آل عِمْرَان، الآية 8.

3 سورة آل عِمْرَان، الآية 9.

4 سورة آل عِمْرَان، الآية 9.

5 سورة آل عِمْرَان، الآية 9.

6 سورة آل عِمْرَان، الآية 10.

7 ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ۚ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ * زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾.

﴿**قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ**﴾[1]، يا معشر السّالكين دالّة على كمالكم وبلوغكم إلى التّوحيد ﴿**فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ**﴾[2] القوى الرّوحانيّة الذين هم أهل الله، وجنوده ﴿**تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ**﴾[3] هي جنود النّفس وأعوان الشّياطين محجوبة عن الحقّ.

ترى الفئة الأولى، مع قلّة عددهم، مثليهم عند التقائهما في معركة البدن لتأييد الفئة الأولى بنور الله وتوفيقه، وخذلان الفئة الثّانية وذلّهم وعجزهم وضعفهم وانقطاعهم عن عالم الأيد والقدرة. فغلبت الأولى الثّانية وقهروهم بتأييد الله ونصره، وصرفوا أموالهم التي هي مدركاتهم ومعلوماتهم في سبيل معرفة الله وتوحيده.

﴿**وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ ۗ**﴾[4] من أهل عنايته المستعدّين للقائه، ﴿**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً**﴾[5]، أي: اعتبارًا أو أمرًا يعتبر به في الوصول إلى الحقيقة للمستبصرين الذين انفتحت أعين بصائرهم واكتحلت بنور الإيقان العلمي من أهل الطّريقة يعتبرون به أحوالهم في النّهاية.

﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ**﴾[6]، لأنّ الإنسان مركّب من العالم العلوي والسّفلي، ومن نشأته وولادته تحجّبت فطرته وخمدت نار غريزته وانطفأ نور بصيرته بالغشاوات الطّبيعيّة والغواشي البدنيّة، والماء الأجاج من اللذّات الحسّية، والرّياح العواصف من الشّهوات الحيوانيّة، فبقي مهجورًا من الحقّ في أوطان الغربة وديار الظّلمة يسار به، مبلوًّا بأنواع النّصب والتّعب؛ فإذا هو بشعشعة نور من التّميّز ولمعان برق من عالم العقل، وداع ينادينه من الهوى والشّيطان، فتبعه فصادف منزلاً نزهًا، وروضة أنيقة، فيها ما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين، فاستوطنه وشكر سعيه ورضيه مسكنًا.

وقال :

عند الصّباح يحمد القوم السرّي والدّاعي قد هيّئ له القـــرى

فذلك حبّ الشّهوات، أي: المشتهيات المذكورة وتزيينها له وهو تمتيع له بحسب ما فيه من العالم السّفلي، وكمال لحياته حجب به من تمتيع الحياة الأخرى وكمالها، بحسب ما فيه من العالم

---

[1] **سورة آل عِمْرَان، الآية 13.**

[2] **سورة آل عِمْرَان، الآية 13.**

[3] **سورة آل عِمْرَان، الآية 13.**

[4] **سورة آل عِمْرَان، الآية 13.**

[5] **سورة آل عِمْرَان، الآية 13.**

[6] **سورة آل عِمْرَان، الآية 14.**

العلوي، ولم يتنبه على أنّها أبهى وألذّ وأصفى مع ذلك وأبقى، وهو معنى قوله: ﴿**وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ**﴾[1].

[تفسير سورة آل عمران من آية 15 إلى آية 25][2]

فإن أدركه التّوفيق الإلهي والتّنبيه السرّي، وقارنه الإنباء النبوي، كما قال: ﴿۞ **قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ**﴾[3] انبعث من باطنه شوق وعشق لحركة العلوي إلى مركزه، واشتعلت ناره التي قد خمدت، وتتابع عليه لوامع الأنوار الإلهيّة وطوالع الإشراقات القدسيّة، فاستنار نور بصيرته الذي قد انطفأ، ورقت الحجب التي منعت فطرته عن طلب المقرّ والمأوى، وتنغّص عيشه الذي هو فيه فتكدّر ما هو عليه، واستظلم ما كان قد استصفاه من الحياة الدّنيا وسكنت في نفسه سورة الهوى بغلبة الجزء الروحاني على الجسماني، وذاق طعم ماء فرات الحياة الحقيقية، فلم يصبر على الملح الأجاج وباشر قلبه خطرات اليقين بجريعات شربها من الماء المعين؛ فعلم أنّه كان أكمن في سرب من الأرض، فاستلمع ضوء الكواكب ليلاً وظنه نهارًا.

---

[1] سورة آل عِمْرَان، الآية **14**.

[2] ﴿۞ **قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ * الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ * شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ* فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ * إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ * ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ * فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾.

[3] سورة آل عِمْرَان، الآية **15**.

فخرج، فإذا هو ببريّة فيها ماء زعاق وأنواع من الحشائش كالخمخم والجرجير ونحوها، فظنّها رياحين وثمارًا، فجلس بما وجد عن ضياء الشّمس وألوان الطيب والفواكه، فعزم على رحيل الأوبة وغشيته وحشة الغربة، فانتقى ما استطاب واستحلى، ثمّ سار وخلّى حتّى إذا أضاء نور صبح عين اليقين، وحان وقت طلوع شمس الوحدة، رأى جنّة تحير فيها بصره ودهش في وصفها عقله، وكان ما كان ممّا لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

فإذا أفاق وقد طلعت الشّمس، وجد فيها ألافًا وأحبابًا، وعرف أنّه كان له مثوى ومآبًا، ورجع إليه الأنس، ونزل محلّة القدس، بدار القرار في جوار الملك الغفار، وأشرقت عليه سبحات وجهه الكريم، وحلّ بقلبه روح الرّضا العميم؛ وذلك معنى قوله: ﴿**لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ**﴾[1] إلى قوله: ﴿**وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ**﴾[2]؛ فالجنّات جنّات الأفعال، والأزواج أصناف روحانيّات عالم القدس، والرّضوان جنّات الصّفات.

﴿**الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا**﴾[3] بأنوار أفعالك وصفاتك، ﴿**فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا**﴾[4]، أي: ذنوب وجوداتنا بذاتك، ﴿**وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾[5]، أي: نار الهجران ووجود البقية؛ ﴿**الصَّابِرِينَ**﴾[6] على غصص المجاهدة والرّياضة، ﴿**وَالصَّادِقِينَ**﴾[7] في المحبّة والإرادة، ﴿**وَالْقَانِتِينَ**﴾[8] في السّلوك إليه وفيه، ﴿**وَالْمُنفِقِينَ**﴾[9] ما عداه من أموالهم وأفعالهم وصفاتهم ونفوسهم وذواتهم، ﴿**وَالْمُسْتَغْفِرِينَ**﴾[10] عن ذنوب تلويناتهم وبقياتهم في أسحار أيّام التّجليّات النّوريّة عند طلوع طوالع الأنوار، وظهور تباشير صبح يوم القيامة الكبرى بالأفق الأعلى؛ فأجابهم وقت طلوع شمس الذّات من مغرب وجودهم، فلم يبق مغربًا بقوله: ﴿**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ**﴾[11]؛ طلع الوجه

---

[1] **سورة آل عِمْرَان، الآية 15.**

[2] **سورة آل عِمْرَان، الآية 15.**

[3] **سورة آل عِمْرَان، الآية 16.**

[4] **سورة آل عِمْرَان، الآية 16.**

[5] **سورة آل عِمْرَان، الآية 16.**

[6] **سورة آل عِمْرَان، الآية 17.**

[7] **سورة آل عِمْرَان، الآية 17.**

[8] **سورة آل عِمْرَان، الآية 17.**

[9] **سورة آل عِمْرَان، الآية 17.**

[10] **سورة آل عِمْرَان، الآية 17.**

[11] **سورة آل عِمْرَان، الآية 18.**

الباقي، فشهد بذاته في مقام الجمع على وحدانيته، إذ لم يبق شاهد ولا مشهود غيره. ثمّ رجع إلى مقام التّفصيل فشهد بنفسه مع غيره على وحدانيّته في ذلك المشهد، فقال: ﴿**وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ** ۚ﴾[1]، أي: مقيمًا للعدل في تفاصيل مظاهره، وصور كثرتها الذي هو ظلّ الوحدة في غير الجمع بإعطاء كلّ ذي حقّ بحسب استعداده واستحقاقه حقّه من جوده وكماله وتجلّيه فيه على قدر سعة وعائه.

﴿**لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ**﴾[2] في المشهديْن، ﴿**الْعَزِيزُ**﴾[3] القاهر الذي يقهر كلّ شيء باعتبار الجمع، فلا يصل إليه أحد، ﴿**الْحَكِيمُ**﴾[4] الذي يدبّر بحكمته كلّ شيء، فيعطيه ما يليق به باعتبار التّفصيل.

﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ**﴾[5] هو هذا التّوحيد الذي قرّره بنفسه، فإنّ دينه دين إسلام الوجوه، كما قال إبراهيم –عليه السّلام–: "أسلمت وجهي لله"، أي: نفسي وجملتي، وانخلعت عن أنانيتي، ففنيت فيه.

وأمر الله –تعالى– حبيبه –عليه الصّلاة والسّلام– فيما بعد بقوله: ﴿**فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ** ۗ﴾[6].

﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ**﴾[7]، أي: المحجوبين عن الدّين، ﴿**وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ**﴾[8]، لكوْنهم محجوبين بدينهم لا يقبلون إلاّ ما هم عليه من التّقيّد والتّقليد، والأنبياء دعوهم إلى التّوحيد ومنعوهم عن التّقيّد، فقتلوهم؛ ﴿**وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ**﴾[9] من أتباعهم؛ إذ العدل ظلّ التّوحيد، فمَن لم يكمل له لا يمكنه العدل، وهم قد حجبوا بتقْييدهم بدينهم، فقد حجبوا بظلمهم عن العدْل، فخالفوهم وقتلوهم.

---

[1] سورة آل عِمْرَان، الآية **18**.
[2] سورة آل عِمْرَان، الآية **18**.
[3] سورة آل عِمْرَان، الآية **18**.
[4] سورة آل عِمْرَان، الآية **18**.
[5] سورة آل عِمْرَان، الآية **19**.
[6] سورة آل عِمْرَان، الآية **20**.
[7] سورة آل عِمْرَان، الآية **21**.
[8] سورة آل عِمْرَان، الآية **21**.
[9] سورة آل عِمْرَان، الآية **21**.

﴿**أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ**﴾[1] التي عملوها على دين نبيّهم، لأنّهم كانوا بتقليد نبيّهم ناجين بالمتابعة، وأنبياؤهم كانوا شفعاءهم بتوسّطهم بينهم وبين الله في وصول الفيض إليهم؛ فإذا أنكروا النّبيّين وأتباعهم العادلين، فقد خالفوا نبيّهم، لأنّ الأنبياء كلّهم على ملّة واحدة في الحقيقة هي ملّة التّوحيد، لا نفرّق بين أحد منهم في كونهم على الحقّ؛ فمَن خالف واحدًا فقد خالف الكلّ، وكذا مَن خالف أهل العدل من أتباع النّبيّين فقد ظلم، ومَن ظلم فقد خرج بظلمة عن المتابعة.

وأيضًا، فمنكر الأتباع منكر المتبوعين، ومنكر الظلّ منكر الذّات خارج عن نورها.

وإذا خالفوا نبيّهم لم يبق بينهم وبينه من الوصلة والمناسبة ما تمكن به الاستفاضة من نوره، فحجبوا عن نوره وكانت أعمالهم منورة بنوره لأجل المتابعة، لا نور ذاتي لها، إذ لم تكن صادرة عن يقين، فإذا زال نورها العارضي باحتجابهم عن نبيّهم، فقد أظلمت وصارت كسائر السيّئات من صفات النّفس الأمّارة، وفيه ما سمعت غير مرّة من قتل كفّار قويّ النّفس الأمّارة أنبياء القلوب والآمرين بالقسط من القوى الرّوحانيّة.

[تفسير سورة آل عمران من آية 26 إلى آية 29][2]

﴿**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ**﴾[3] تملك ملك عالم الأجسام مطلقًا، تتصرّف فيه لا مالك ولا متصرّف ولا مؤثّر فيه غيرك، ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ﴾[4] تجعله متصرّفًا في بعضه، ﴿**وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ**﴾[5]، بجعل التّصرّف في يد غيره ولا غير ثمّة، بل تقلبه من يد إلى يد؛ فأنت المتصرّف

---

[1] **سورة آل عِمْرَان، الآية 22.**

[2] ﴿**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ * لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ * قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾.

[3] **سورة آل عِمْرَان، الآية 26.**

[4] **سورة آل عِمْرَان، الآية 26.**

[5] **سورة آل عِمْرَان، الآية 26.**

فيه على كلّ حال بحسب اختلاف المظاهر؛ ﴿**وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ**﴾[1] بإلقاء نور من أنوار عزّتك عليه، فإنّ العزّة لله جميعًا، ﴿**وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ**﴾[2] بسلب لباس عزّتك عنه، فيبقى ذليلاً.

﴿**بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ**﴾[3] كلّه؛ وأنت القادر مطلقًا، تعطي على حسب مشيئتك، تتجلّى تارة على بعض المظاهر بصفة العزّ والكبرياء، فتكسوه لباس العزّ والبهاء؛ وتارة بصفة القهر والإذلال، فتكسوه لباس الهوان والصّغار؛ وتارة بصفة المعزّ، فتكون مذلاً؛ وتارة بصفة المذلّ، فتكون معزًّا؛ وتارة بصفة الغنيّ، فتعطي المال؛ وتارة بصفة المغني فتفقره، أي: تجعله مستغنيًا عن المال، فقيرًا لا يحتاج إلي شيء.

﴿**تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ۖ**﴾[4]: تدخل ظلمة النّفس في نور القلب فيظلم، وتدخل نور القلب في ظلمة النّفس فتستنير بخلطهما معًا مع بعد المناسبة بينهما؛ ﴿**وَتُخْرِجُ الْحَيَّ**﴾[5]، أي: حيّ القلب، ﴿**مِنَ الْمَيِّتِ**﴾[6]، أي: من ميّت النّفس، وميّت النّفس من حي القلب، بل تخرج حي العلم والمعرفة من ميّت الجهل، وتخرج ميّت الجهل من حيّ العلم تحجبه عن النّور، كحال بلعم بن باعورا؛ ﴿**وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ**﴾[7] من النّعمة الظّاهرة والباطنة جميعًا، أو من إحداهما ﴿**بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾[8].

﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين﴾[9]، إذ لا مناسبة بينهم في الحقيقة، والولاية لا تكون إلاّ بالجنسيّة والمناسبة، فحينئذ لا يمكن أن تكون المحبّة بينهم ذاتية، بل مجعولة مصنوعة بالتّصنّع والرّياء والنّفاق؛ وهي خصال مبعدة عن الحقّ، إذ كلّها حجب ظلمانيّة؛ ولو لم يكن فيهم ظلمة تناسب حال الكفرة، ما قدروا على مخالطتهم ومصاحبتهم.

---

[1] **سورة آل عِمْرَان، الآية 26.**

[2] **سورة آل عِمْرَان، الآية 26.**

[3] **سورة آل عِمْرَان، الآية 26.**

[4] **سورة آل عِمْرَان، الآية 26.**

[5] **سورة آل عِمْرَان، الآية 27.**

[6] **سورة آل عِمْرَان، الآية 27.**

[7] **سورة آل عِمْرَان، الآية 27.**

[8] **سورة آل عِمْرَان، الآية 27.**

[9] **سورة آل عِمْرَان، الآية 27.**

﴿**وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ**﴾[1]، أي: من ولاية الله في شيء، معتد به، إذ ليس فيهم نوريّة صافية يناسبون بها الحضرة الإلهيّة.

﴿**إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً** ۗ﴾[2]، أي: إلاّ أن تخافوا من جهتهم أمرًا يجب أن يتقى، فتوالوهم ظاهرًا ليس في قلوبكم شيء من محبّتهم.

وذلك أيضًا لا يكون إلاّ لضعف اليقين، إذ لو باشر قلوبهم اليقين لما خافوا إلاّ الله – تعالى–.

وشاهدوا معنى قوله –تعالى–: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ۚ﴾[3]، فما خافوا غيره ولم يرجوا غيره، ولذلك عقبه بقوله: ﴿**وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ** ۗ﴾[4]، أي: يدعوكم إلى التّوحيد العياني كي لا يكون حذركم من غيره، بل من نفسه.

﴿**وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ**﴾[5]، فلا تحذروا إلاّ إيّاه، فإنّه المطّلع على أسراركم وعلانيّاتكم، القادر على مجازاتكم إن توالوا أعداءه أو تخافوهم سرًّا أو جهرًا.

[تفسير سورة آل عمران آية 30][6]

﴿**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ**﴾[7] الآية، كلّ ما يعمله الإنسان أو يقوله يحصل منه أثر في نفسه وتنتقش نفسه به، وإذا تكرّر صار النّقش ملكة راسخة؛ وكذا ينتقش في صحائف النّفوس السّماويّة، لكنّه مشغول عن هيئات نفسه ونقوشها بالشّواغل الحسّيّة والإدراكات الوهميّة والخياليّة، لا يفرغ إليها.

---

[1] **سورة آل عِمْرَان، الآية 28.**

[2] **سورة آل عِمْرَان، الآية 28.**

[3] **سورة يونس، الآية 107.**

[4] **سورة آل عِمْرَان، الآية 28.**

[5] **سورة آل عِمْرَان، الآية 28.**

[6] **﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾.**

[7] **سورة آل عِمْرَان، الآية 30.**

فإذا فارقت نفسه جسدها، ولم يبق ما يشغلها عن هيئاتها ونقوشها، وجدت ما عملت من خير أو شرّ محضرًا؛ فإذا كان شرًّا تتمنى بعد ما بينها وبين ذلك اليوم أو ذلك العمل لتعذيبها به، فتصير تلك الهيئات والنّقوش صورتها، إن كانت راسخة، وإلاّ وجدت جزاءها بحسبها.

وتكرّر ﴿**وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ**﴾[1] تأكيدًا لئلاّ يعملوا ما يستحقّون به عقابه.

﴿**وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ**﴾[2]، فلذا يحذّرهم عن السيّئات تحذير الوالد المشفق لولده عمّا يوبقه.

[تفسير سورة آل عمران آية 31][3]

﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**﴾[4]، لما كان -عليه الصّلاة والسّلام- حبيبه؛ فكلّ مَن يدّعي المحبّة لزمه اتباعه، لأنّ محبوب المحبوب محبوب، فتجب محبّة النّبيّ؛ ومحبّته إنّما تكون بمتابعته وسلوك سبيله قولاً وعملاً وخلقًا وحالاً وسيرة وعقيدة، ولا تمشي دعوى المحبّة إلاّ بهذا، فإنّه قطب المحبّة ومظهره وطريقته طلسم المحبّة.

فمَن لم يكن له من طريقته نصيب، لم يكن له من المحبّة نصيب، وإذا تابعه حقّ المتابعة ناسب باطنه وسرّه وقلبه ونفسه باطن النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- وسرّه وقلبه ونفسه، وهو مظهر المحبّة.

فلزم بهذه المناسبة أن يكون لهذا المتابع قسط من محبّة الله -تعالى- بقدر نصيبه من المتابعة، فيلقي الله -تعالى- محبّته عليه ويسري من باطن روح النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- نور تلك المحبّة إليه، فيكون محبوبًا لله، محبًّا له؛ ولو لم يتابعه لخالف باطنه باطن النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-، فبعد عن وصف المحبوبيّة وزالت المحبّية عن قلبه أسرع ما يكون، إذ لو لم يحبّه الله -تعالى- لم يكن محبًّا له، ﴿**وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ**﴾[5]، كما غفر لحبيبه.

---

[1] **سورة آل عِمْرَان، الآية 30.**

[2] **سورة آل عِمْرَان، الآية 30.**

[3] **﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.**

[4] **سورة آل عِمْرَان، الآية 31.**

[5] **سورة آل عِمْرَان، الآية 31.**

قال -تعالى-: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[1] وذنبه المتقدّم ذاته، والمتأخر صفاته، فكذا ذنوب المتابعين، كما قال -تعالى-: "لا يزال العبد يتقرّب إليّ...." إلى آخر الحديث.

﴿**وَاللَّهُ غَفُورٌ**﴾[2] يمحو ذنوب صفاتكم وذواتكم، ﴿**رَّحِيمٌ**﴾[3] يهب لكم وجودًا وصفات حقّانيّة خيرًا منها.

ثمّ نزل عن هذا المقام، لأنّه أعزّ من الكبريت الأحمر؛ ودعاهم إلى ما هو أعمّ من مقام المحبّة، وهو مقام الإرادة.

[تفسير سورة آل عمران من آية 32 إلى آيه 37][4]

فقال: ﴿**قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ** ۖ﴾[5]، أي: إن لم تكونوا محبّين، ولم تستطيعوا متابعة حبيبي، فلا أقلّ من أن تكونوا مريدين، مطيعين لما أمرتم به، فإنّ المريد يلزمه متابعة الأمر وامتثال المأمور به.

﴿**فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ**﴾[6]، أي: إن أعرضوا عن ذلك أيضًا، فهم كفّار منكرون محجوبون، والله لا يحبّ مَن كان كافرًا؛ فبترك الطّاعة يلزم الكفر، وبترك المتابعة لا يلزم، لأنّ تارك المتابعة يمكن أن يكون مطيعًا بمتابعة الأمر.

---

[1] **سورة الفتح، الآية 2.**

[2] **سورة آل عِمْرَان، الآية 31.**

[3] **سورة آل عِمْرَان، الآية 31.**

[4] **﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ * ۝ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.**

[5] **سورة آل عِمْرَان، الآية 32.**

[6] **سورة آل عِمْرَان، الآية 32.**

ومعنى ﴿**أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ** ﷺ﴾[1]: أطيعوا رسول الله –عليه الصّلاة والسّلام–، لقوله –تعالى–: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﷺ﴾[2].

﴿۞ **إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا**﴾[3]، الاصطفاء أعمّ من المحبّة والخلّة، فيشمل الأنبياء كلّهم، لأنّهم خيرة الله وصفوته، وتتفاضل فيه مراتبهم، كما قال –تعالى–: ﴿۞ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ﴾[4]، فأخصّ المراتب هو المحبّة، وأشار إليه بقوله –تعالى–: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ۚ﴾[5]؛ فلذلك كان أفضلهم حبيب الله محمّدًا –صلّى الله عليه وسلّم–.

ثمّ الخلّة التي هي صفة إبراهيم –عليه السّلام–، وأعمّها الاصطفاء، أي صفة آدم –عليه السّلام–، ﴿**ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ** ﷺ﴾[6] في الدّين والحقيقة؛ إذ الولاية قسمان: صوريّة ومعنويّة؛ وكلّ نبيّ يتبع نبيًّا آخر في التّوحيد والمعرفة، وما يتعلّق بالباطن من أصول الدّين، فهو ولده كأولاد المشايخ في زماننا هذا.

وكما قيل: الآباء ثلاثة: أب ولدك، وأب ربّاك، وأب علّمك؛ فكما أنّ وجود البدن في الولادة الصّوريّة يتولّد في رحم أمّه من نطفة أبيه، فكذلك وجود القلب في الولادة الحقيقيّة يظهر في رحم استعداد النّفس من نفحة الشّيخ والمعلم.

وإلى هذه الولادة أشار عيسى –عليه السّلام– بقوله: "لن يلج ملكوت السّموات مَن لم يولد مرّتيْن".

واعلم أنّ الولادة المعنويّة أكثرها يتّبع الصّوريّة في التّناسل، ولذلك كان الأنبياء في الظّاهر أيضًا نسلاً، ثمّ ثمر شجرة واحدة، فإنّ عمران بن يصهر أبا موسى وهارون كان من أسباط لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وعمران بن ماثان أبا مريم أمّ عيسى –عليه السّلام– كان من أسباط يهود بن يعقوب، وكوْن محمّد –عليه الصّلاة والسّلام– من أسباط إسماعيل بن إبراهيم مشهور، وكذا كون إبراهيم من نوح –عليه السّلام–.

وسببه: أنّ الرّوح في الصّفاء والكدورة يناسب المزاج في الاعتدال وعدمه وقت التكون، فلكلّ مزاج يناسبه ويخصه، إذ الفيض يصل بحسب المناسبة وتفاوت الأرواح في الأزل بحسب

---

[1] **سورة آل عِمْرَان، الآية 32.**

[2] **سورة النّساء، الآية 80.**

[3] **سورة آل عِمْرَان، الآية 33.**

[4] **سورة البقرة، الآية 253.**

[5] **سورة البقرة، الآية 253.**

[6] **سورة آل عِمْرَان، الآية 34.**

صنوفها ومراتبها في القرب والبعد؛ فتتفاوت الأمزجة بحسبها في الأبد لتتّصل بها، والأبدان المتناسلة بعضها من بعض متشابهة في الأمزجة على الأكثر، اللّهم إلاّ لأمور عارضة اتّفاقيّة؛ فكذلك الأرواح المتّصلة بها متقاربة في الرّتبة، متناسبة في الصفة.

وهذا ممّا يقوّي أنّ المهدي –عليه السّلام– من نسل محمّد.

﴿**وَاللَّهُ سَمِيعٌ**﴾[1]، حين قالت امرأة عمران: ﴿**رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ**﴾[2] إلى قولها: ﴿**الْعَلِيمُ**﴾[3]، بنيّتها، كما شهدت بقولها: ﴿**إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾[4].

واعلم أنّ النيّات وهيئات النّفس مؤثّرة في نفس الولد، كما أنّ الأغذية مؤثّرة في بدنه. فمَن كان غذاؤه حلالاً طيّبًا وهيئات نفسه نورية ونيّاته صادقة حقّانيّة، جاء ولده مؤمنًا صديقًا أو وليًّا أو نبيًّا. ومَن كان غذاؤه حرامًا وهيئات نفسه ظلمانيّة خبيثة ونيّاته فاسدة رديئة جاء ولده فاسقًا أو كافرًا خبيثًا؛ إذ النّطفة التي يتكوّن الولد منها متولّدة من ذلك الغذاء، مربّاة بتلك النّفس، فتناسبها.

ولهذا قال رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–: "الولد سرّ أبيه"، فكان صدق مريم وبنوّة عيسى –عليهما السّلام– بركة صدق أبيها ﴿**وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا**﴾[5] يجوز أن يراد به الرّزق الرّوحاني من المعارف والحقائق والعلوم والحكم الفائضة عليها من عند الله، إذ الاختصاص بالعنديّة يدلّ على كوْنها من الأرزاق اللّدنيّة.

[تفسير سورة آل عمران من آية 38 إلى آية 41][6]

---

[1] **سورة آل عِمْرَان، الآية 34.**

[2] **سورة آل عِمْرَان، الآية 35.**

[3] **سورة آل عِمْرَان، الآية 35.**

[4] **سورة آل عِمْرَان، الآية 35.**

[5] **سورة آل عِمْرَان، الآية 37.**

[6] **﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ * فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ * قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ * قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً ۖ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾.**

﴿**هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ**﴾[1] كان زكّريا شيخًا هرمًا، وكان مقدّمًا للنّاس، إمامًا، طلب من ربّه ولدًا حقيقيًّا يقوم مقامه في تربية النّاس وهدايتهم، كما أشار إليه في سورة ﴿كهيعص﴾[2]، فوهب له يحيى من صلبه بالقدرة، بعدما أمر باعتكاف ثلاثة أيّام ولك التّأويل بالتّطبيق على أحوالك وتفاصيل وجودك كما علمت، وهو أنّ الطّبيعة الجسمانيّة، أي: القوّة البدنيّة.

امرأة عمران الرّوح نذرت ما في قوّتها من النّفس المطمئنّة لله -تعالى- بانقيادها لأمر الحقّ ومطاوعتها له، فوضعت أنثى النّفس، فكفلها الله، زكّريا الفكر، بعدما تقبّلها لكونها زكيّة، قدسيّة؛ فكلّما دخل عليها زكّريا الفكر محراب الدّماغ وجد عندها رزقًا من المعاني الحدسيّة التي انكشفت عليها بصفائها من غير امتياز الفكر إيّاها.

فهنالك دعا زكّريا الفكر، تركيب تلك المعاني واستوهب من الله ولدًا طيّبًا مقدّسًا عن لوث الطّبيعيّة، فسمع الله دعاءه، أي: أجاب، فنادته ملائكة القوى الرّوحانيّة، وهو قائم بأمره في تركيب المعلومات، يناجي ربه باستنزال الأنوار، ويتقرب إليه بالتّوجّه إلى عالم القدس في محراب الدّماغ.

﴿**أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ**﴾[3]، العقل بالفعل، ﴿**مُصَدِّقًا**﴾[4] بعيسى القلب، مؤمنًا به، وهو كلمة من الله لتقدّسه عن عالم الأجرام والتّولّد عن المواد، ﴿**وَسَيِّدًا**﴾[5] لجميع أصناف القوى، ﴿**وَحَصُورًا**﴾[6] مانعًا نفسه عن مباشرة الطّبيعة الجسمانيّة وملابسة طبائع القوى البدنيّة، ﴿**وَنَبِيًّا**﴾[7] بالإخبار عن المعارف والحقائق الكلّية، وتعليم الأخلاق الجميلة، والتّدابير السّديدة بأمر الحقّ ﴿**مِّنَ الصَّالِحِينَ**﴾[8].

ومن جملة المفارقات والمجرّدات التي تصلح بأفعالها: أن تكون من مقرّبي حضرة الله -تعالى- بعد أن بلغ الفكر كبر منتهى طوره ولم يكن منتهيًا إلى إدراك الحقائق القدسيّة، والمعارف الكلّيّة. وكانت امرأته التي هي طبيعة الرّوح النّفسانيّة، لأنّها محلّ تصرّف الفكر عاقرًا بالنّور المجرّد.

---

[1] **سورة آل عِمْرَان، الآية 38.**

[2] **أي سورة مريم.**

[3] **سورة آل عِمْرَان، الآية 39.**

[4] **سورة آل عِمْرَان، الآية 39.**

[5] **سورة آل عِمْرَان، الآية 39.**

[6] **سورة آل عِمْرَان، الآية 39.**

[7] **سورة آل عِمْرَان، الآية 39.**

[8] **سورة آل عِمْرَان، الآية 39.**

وعلامة ذلك، أي: علامة حصول النّور المجرّد وظهوره من النّفس الزّكيّة، إمساكه عن مكالمة القوى البدنيّة في تحصيل مطالبهم ومآربهم ومخالطتهم في فضول لذّاتهم وشهواتهم ثلاثة أيّام، كلّ يوم عقد تام من أطوار عمره عشر سنين، إلاّ أن يرمز إليهم بإشارة خفيّة، ويأمرهم بتسبيحهم المخصوص بكلّ واحد منهم من غير أن يدنو منهم في مقاصدهم، وأن يشتغل في الأيّام الثّلاثة التي مداها ثلاثون سنة من ابتداء سنّ التّمييز، الذي هو العشر الأوّل، بذكر ربّه في محراب الدّماغ والتّسبيح المخصوص به دائمًا.

[تفسير سورة آل عمران من آية 42 إلى آية 46][1]

وكذا قالت ملائكة القوى الرّوحانيّة لمريم النّفس الزّكيّة الطّاهرة: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ**﴾[2]، لتنزّهك عن الشّهوات، ﴿**وَطَهَّرَكِ**﴾[3] عن رذائل الأخلاق والصّفات المذمومة، ﴿**وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ**﴾[4] نفوس الشّهوانيّة الملوّنة بالأفعال الذّميمة والملكات الرّديئة.

﴿**يَا مَرْيَمُ**﴾[5] أطيعي لربّك بوظائف الطاعات والعبادات، ﴿**وَاسْجُدِي**﴾[6] في مقام الانكسار والذلّ والافتقار والعجز والاستغفار، ﴿**وَارْكَعِي**﴾[7] في مقام الخضوع والخشوع مع الخاضعين.

---

[1] ﴿**وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ * يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ * ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ * إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ**﴾.

[2] **سورة آل عِمْرَان، الآية 42.**

[3] **سورة آل عِمْرَان، الآية 42.**

[4] **سورة آل عِمْرَان، الآية 42.**

[5] **سورة آل عِمْرَان، الآية 43.**

[6] **سورة آل عِمْرَان، الآية 43.**

[7] **سورة آل عِمْرَان، الآية 43.**

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ﴾[1]، أي: أحوال غيب وجودك، ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ﴾[2]، يا نبيّ الرّوح؛ ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾[3] لدى القوى الرّوحانيّة والنّفسانيّة، أي: في رتبتهم ومقامهم؛ ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾[4]، أي: يتسابقون في سهامهم ويتبادرون في حظوظهم أيّهم يدبّر مريم النّفس، ويكفلّها بحسب رأيه ومقتضى طبعه، يترأّس عليها ويأمرها بما يراه من مصلحة أمره؛ ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾[5] في مقام الصّدور الذي هو محلّ نزاع القوى الرّوحانيّة والنّفسانيّة ومحلّ نزاعهم الذي هو الصّدر؛ ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾[6] يتنازعون ويتجاذبون في طلب الرّياسة عند ظهوره قبل الرّياضة وفي حالها، إذ غلبت ملائكة القوى الرّوحانيّة بتوفيق الحقّ بعد الرّياضة.

وقالت لمريم النّفس: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ﴾[7] القلب موهوبًا ﴿مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ﴾[8]، لأنّه يمسحك بالنّور، ﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا﴾[9]، لإدراكه الجزئيّات وتدبير مصالح المعاش أجْود وأصْفى وأصْوب ما يكون، فيطيعه ويذعن له، ويحتشمه ويعظّمه، أنس القوى الظّاهرة وجنّ القوى الباطنة، ﴿وَ﴾[10] في ﴿الْآخِرَةِ﴾[11] لإدراكه المعاني الكلّيّة والمعارف القدسيّة وقيامه بتدبير المعاد والهداية إلى الحقّ، فنعطيه ملكوت سماء الرّوح، ونكرّمه.

---

[1] سورة آل عِمْرَان، الآية 44.
[2] سورة آل عِمْرَان، الآية 44.
[3] سورة آل عِمْرَان، الآية 44.
[4] سورة آل عِمْرَان، الآية 44.
[5] سورة آل عِمْرَان، الآية 44.
[6] سورة آل عِمْرَان، الآية 44.
[7] سورة آل عِمْرَان، الآية 45.
[8] سورة آل عِمْرَان، الآية 45.
[9] سورة آل عِمْرَان، الآية 45.
[10] سورة آل عِمْرَان، الآية 45.
[11] سورة آل عِمْرَان، الآية 45.

ومن جملة مقرّبي حضرة الحقّ قابلاً لتجلّياته ومكاشفاته، ﴿**وَيُكَلِّمُ النَّاسَ**﴾[1] في مهد البدن، ﴿**وَكَهْلًا**﴾[2]، بالغًا إلى قرب طور شيخ الرّوح، غالبًا عليه بياض نوره، ﴿**وَمِنَ الصَّالِحِينَ**﴾[3] لمقام المعرفة.

[تفسير سورة آل عمران من آية 47 إلى آية 51][4]

﴿**قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ**﴾[5]: تعجّب النّفس من حملها وولادتها من غير أن يمسّها بشر، أي من غير تربية شيخ وتعليم معلّم بشري، وهو معنى بكارتها.

﴿**قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ**﴾[6]، أي: يصطفي مَن شاء بالجذب والكشف ويهب له مقام القلب من غير تربية وتعليم، كما هو حال المحبوبين وبعض المحبّين.

﴿**وَيُعَلِّمُهُ**﴾[7] بالتّعليم الربّاني، كتاب العلوم المعقولة، وحكم الشّرائع، ومعارف الكتب الإلهيّة من التّوراة والإنجيل، أي معارف الظّاهر والباطن، ﴿**وَرَسُولًا**﴾[8] إلى المستعدّين الرّوحانيّين من أسباط يعقوب الرّوح.

---

[1] سورة آل عِمْرَان، الآية **46**.

[2] سورة آل عِمْرَان، الآية **46**.

[3] سورة آل عِمْرَان، الآية **46**.

[4] ﴿**قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ * وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ * وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ**﴾.

[5] سورة آل عِمْرَان، الآية **47**.

[6] سورة آل عِمْرَان، الآية **47**.

[7] سورة آل عِمْرَان، الآية **48**.

[8] سورة آل عِمْرَان، الآية **49**.

﴿**أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ** ۖ﴾[1] تدلّ على أنّي آتيكم من عنده، ﴿**أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم**﴾[2] بالتّربية والتّزكية والحكمة العمليّة من طين نفوس المستعدّين النّاقصين، ﴿**كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ**﴾[3] الطّائر إلى جناب القدس من شدّة الشّوق؛ ﴿**فَأَنفُخُ فِيهِ**﴾[4] من نفث العلم الإلهي ونفس الحياة الحقيقيّة بتأثير الصّحبة والتّربية، ﴿**فَيَكُونُ طَيْرًا**﴾[5]، أي: نفسًا حيّة طائرة بجناح الشّوق والهمّة إلى جناب الحقّ.

﴿**وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ**﴾[6] المحجوب عن نور الحقّ الذي لم تنفتح عين بصيرته قطّ، ولم تبصر شمس وجه الحقّ ولا نوره، ولم يعرف أهله بكحل نور الهداية؛ ﴿**وَالْأَبْرَصَ**﴾[7] المعيوب نفسه بمرض الرّذائل والعقائد الفاسدة ومحبّة الدّنيا ولوث الشّهوات بطبّ النّفوس.

﴿**وَأُحْيِي**﴾[8] موتى الجهل بحياة العلم ﴿**بِإِذْنِ اللَّهِ** ۖ **وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ**﴾[9] تتناولون من مباشرة الشّهوات واللذّات، ﴿**وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ** ۚ﴾[10]، أي: في بيوت غيوبكم من الدّواعي والنيّات.

﴿**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ**﴾[11]، أي: من توراة علم الظّاهر، ﴿**وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ** ۚ﴾[12] من أنوار الباطن،

---

[1] سورة آل عِمْرَان، الآية 49.
[2] سورة آل عِمْرَان، الآية 49.
[3] سورة آل عِمْرَان، الآية 49.
[4] سورة آل عِمْرَان، الآية 49.
[5] سورة آل عِمْرَان، الآية 49.
[6] سورة آل عِمْرَان، الآية 49.
[7] سورة آل عِمْرَان، الآية 49.
[8] سورة آل عِمْرَان، الآية 49.
[9] سورة آل عِمْرَان، الآية 49.
[10] سورة آل عِمْرَان، الآية 49.
[11] سورة آل عِمْرَان، الآيتان 49–50.
[12] سورة آل عِمْرَان، الآية 50.

﴿**وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ**﴾[1] بدليل ﴿**مِّن رَّبِّكُمْ**﴾[2] هو التّوحيد الذي لم يخالفني فيه نبي قطّ، ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ**﴾[3] في مخالفتي، فإنّي على الحقّ، ﴿**وَأَطِيعُونِ**﴾[4] في دعوتكم إلى التّوحيد.

[تفسير سورة آل عمران من آية 52 إلى آية 55][5]

﴿۞ **فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ**﴾[6]، القلب من القوى النّفسانيّة، ﴿**الْكُفْرَ**﴾[7] الاحتجاب والإنكار والمخالفة، ﴿**قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ ۖ**﴾[8]، أي: اقتضى من القوّة الرّوحانيّة نصرته عليهم في التّوجّه إلى الله.

﴿**قَالَ الْحَوَارِيُّونَ**﴾[9]، أي: صفوته وخالصته من الرّوحانيّات المذكورة، ﴿**نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ**﴾[10] بالاستدلال وبالتّنوّر بنور الرّوح.

﴿**وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾[11]، مذعنون منقادون.

---

[1] سورة آل عِمْرَان، الآية 50.

[2] سورة آل عِمْرَان، الآية 50.

[3] سورة آل عِمْرَان، الآية 50.

[4] سورة آل عِمْرَان، الآية 50.

[5] ﴿۞ **فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ ۖ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ * رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ * وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ * إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ**﴾.

[6] سورة آل عِمْرَان، الآية 52.

[7] سورة آل عِمْرَان، الآية 52.

[8] سورة آل عِمْرَان، الآية 52.

[9] سورة آل عِمْرَان، الآية 52.

[10] سورة آل عِمْرَان، الآية 52.

[11] سورة آل عِمْرَان، الآية 52.

﴿**رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ**﴾[1] من علم التّوحيد وفيض النّور، ﴿**وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ**﴾[2] الحاضرين لك، المراقبين لأمرك، أو من الشّاهدين على وحدانيّتك.

﴿**وَمَكَرُوا**﴾[3]، أي: الأوهام والخيالات في اغتيال القلب وإهلاكه بأنواع التّسويلات، ﴿**وَمَكَرَ اللَّهُ**﴾[4] بتغليب الحجج العقليّة، والبراهين القاطعة عن تخيّلاتها وتشكيكاتها.

ورفع عيسى القلب إلى سماء الرّوح، وألقى شبهه على النّفس ليقع اغتيالهم، ﴿**وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**﴾[5] إذا غلب مكره.

وقال لعيسى: ﴿**إِنِّي مُتَوَفِّيكَ**﴾[6]، أي: قابضك إلي من بينهم، ﴿**وَرَافِعُكَ إِلَيَّ**﴾[7]، أي: إلى سماء الرّوح في جواري، ﴿**وَمُطَهِّرُكَ مِنَ**﴾[8] رجز جوار ﴿**الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾[9] من القوى الخبيثة ومكرهم وخبْث صحبتهم، ﴿**وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ**﴾[10] من الرّوحانيّين ﴿**فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾[11] من النّفسانيّات ﴿إلى يوم القيامة﴾[12] الكبرى والوصول إلى مقام الوحدة.

﴿**ثُمَّ**﴾[13] يومئذ ﴿**إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ**﴾[14] بالحقّ ﴿**فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ**﴾[15]، قبل الوحدة من التّجاذب والتّنازع الواقع من القوى؛ فأقرّ كلاً في مقرّه هناك وأعطيه ما يليق به من عندي، فيرتفع التّخالف والتّنازع.

---

[1] سورة آل عِمْرَان، الآية 53.
[2] سورة آل عِمْرَان، الآية 53.
[3] سورة آل عِمْرَان، الآية 54.
[4] سورة آل عِمْرَان، الآية 54.
[5] سورة آل عِمْرَان، الآية 54.
[6] سورة آل عِمْرَان، الآية 55.
[7] سورة آل عِمْرَان، الآية 55.
[8] سورة آل عِمْرَان، الآية 55.
[9] سورة آل عِمْرَان، الآية 55.
[10] سورة آل عِمْرَان، الآية 55.
[11] سورة آل عِمْرَان، الآية 55.
[12] سورة آل عِمْرَان، الآية 55.
[13] سورة آل عِمْرَان، الآية 55.
[14] سورة آل عِمْرَان، الآية 55.
[15] سورة آل عِمْرَان، الآية 55.

[تفسير سورة آل عمران من آية 56 إلى آية 58][1]

﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا**﴾[2] بالحرمان عن مقام القلب، والاحتجاب بهيئات أعمالهم.

﴿**وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾[3] من الرّوحانيّات، ﴿**وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾[4] من أنواع التّزكية والتّحلية والتّصفية في إعانة القلب على النّفس ومتابعته في التّوجّه إلى الحقّ، ﴿**فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ**﴾[5] من الأنوار القدسيّة والإشراقات الرّوحيّة عليهم.

﴿**وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ**﴾[6] الذين ينقصون الأجور من الحقوق.

وأمّا التّأويل بغير التّطبيق، فهو أنّهم مكروا ببعث مَن يغتال عيسى -عليه السّلام-، فشبّه لهم صورة جسدانيّة هي مظهر عيسى روح الله -عليه السّلام- بصورة حقيقة عيسى، فظنّوها عيسى فقتلوها وصلبوها، والله رفع عيسى -عليه السّلام- إلى السّماء الرّابعة، لكون روحه -عليه السّلام- فائضًا من روحانيّة الشّمس، ولم يعلموا لجهالتهم أنّ روح الله لا يمكن قتله.

ولما تيقّن حاله قبل الرّفع قال لأصحابه: "إنّي ذاهب إلى أبي وأبيكم السّماوي"، أي: أتطهّر من عالم الرّجس، وأتّصل بروح القدس الواهب الصّور، المفيض للأرواح والكمالات، المربّي للنّاس بالنّفث في الرّوح، فأمدّكم من فيضه. وكان إذ ذاك لا تقبل دعوته ولا يتبع مثله، فأمر الحواريّين بالتّفرّق بعده في البلاد والدّعوة إلى الحقّ، فقالوا: كيف ذاك إذا لم تكن معنا؟ والآن أنت بين أظهرنا ولا تجاب دعوتنا؟ قال: "علامة إمدادي إيّاكم قبول الخلق دعوتكم بعدي".

فلمّا رفع لم يدع أصحابه أحدًا إلاّ أجابهم، وظهر لهم القبول في الخلق، وعلت كلمتهم، وانتشر دينهم في أقطار الأرض.

---

[1] ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ * وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ**﴾.

[2] **سورة آل عِمْرَان، الآية 56.**

[3] **سورة آل عِمْرَان، الآية 57.**

[4] **سورة آل عِمْرَان، الآية 57.**

[5] **سورة آل عِمْرَان، الآية 57.**

[6] **سورة آل عِمْرَان، الآية 57.**

ولما لم يصل إلى السّماء السّابعة التي عرج بمحمّد إليها، المعبّر عنها بـ "سدرة المنتهى"، أعني: مقام النّهاية في الكمال، ولم ينل درجة المحبّة، لم يكن له بدّ من النّزول مرّة أخرى في صورة جسمانيّة، يتّبع الملّة المحمّديّة لنيل درجتها، والله أعلم بحقائق الأمور.

[تفسير سورة آل عمران من آية 59 إلى آية 60][1]

﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ**﴾[2]، أي: إنّ صفته عند الله في إنشائه بالقدرة من غير أب، ﴿**كَمَثَلِ آدَمَ**﴾[3] في إنشائه من غير أبويْن.

واعلم أنّ عجائب القدرة لا تنقضي ولا قياس ثمّة على أن لتكون الإنسان من غير الأبوين نظيرًا من عالم الحكمة، فإنّ كثيرًا من الحيوانات النّاقصة الغريبة الخلقة تتولّد خلقًا في ساعة، ثمّ تتناسل وتتوالد.

فكذا الإنسان، يمكن حدوثه بالتّولّد في دور من الأدوار، ثمّ بالتّولّد؛ وكذا التّكوّن من غير أب، فإنّ منيّ الرّجل أحرّ كثيرًا من منيّ المرأة، وفيه القوّة العاقدة أقوى، كما في الأنفحة بالنّسبة إلى الجبن، والمنعقدة في مني المرأة أقوى، كما في اللّبن؛ فإذا اجتمعا تمّ العقد وانعقد، ويتكوّن الجنين. فيمكن وجود مزاج إناثي قويّ يناسب المزاج الذّكوري، كما يشاهد في كثير من النّسوان؛ فيكون المتولّد في كلّيتها اليمنى بمثابة منيّ الذّكر لفرط حرارته بمجاورة الكبد لمن مزاج كبدها صحيح قوي الحرارة، والمتولّد في كلّيتها اليسرى بمثابة منيّ الأنثى.

فإذا احتملت المرأة لاستيلاء صورة ذكوريّة على خيالها في النّوم واليقظة بسبب اتّصال روحها بروح القدس وبملك آخر، ومحاكاة الخيال، ذلك كما قال -تعالى-: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾[4]، سبق المنيان من الجانبين إلى الرّحم؛ فتكون في المنصب من الجانب الأيمن قوّة العقد أقوى، وفي المنصب من الجانب الأيسر قوّة الانعقاد، فيتكوّن الجنين ويتعلّق به الرّوح.

---

[1] ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ * الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ**﴾.

[2] **سورة آل عِمْرَان، الآية 59.**

[3] **سورة آل عِمْرَان، الآية 59.**

[4] **سورة مريم، الآية 17.**

وقوله: ﴿**كُن فَيَكُونُ**﴾[1] إشارة إلى نفخ الروح وكونه من عالم الأمر ليس مسبوقًا بمادّة ومدّة، كخلق الجسد، فيتناسب آدم وعيسى بما ذكر في اشتراكهما في خرق العادة وبكون جسديهما مخلوقين من تراب العناصر، مسبوقين بمادّة ومدّة وكون روحهما مبدعًا من عالم الأمر ليس مسبوقًا بمادّة ومدّة.

[تفسير سورة آل عمران من آية 61 إلى آية 80][2]

---

[1] سورة آل عِمْرَان، الآية **59**.

[2] ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ * إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ * يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ۗ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ * وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ * يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ * وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ * ۞ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ * إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ * وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

﴿**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ**﴾[1]، أي: في عيسى، الآية؛ إنّ لمباهلة الأنبياء تأثيرًا عظيمًا سببه اتّصال نفوسهم بروح القدس وتأييد الله إيّاهم به، وهو المؤثّر بإذن الله في العالم العنصري؛ فيكون انفعال العالم العنصري منه كانفعال بدننا من روحنا بالهيئات الواردة عليه، كالغضب والحزن والفكر في أحوال المعشوق، وغير ذلك من تحرّك الأعضاء عند حدوث الإرادات والعزائم وانفعال النّفوس البشريّة منه، كانفعال حواسّنا وسائر قوانا من هيئات أرواحنا.

فإذا اتّصل نفس قدسيّ به أو ببعض أرواح أجرام السّماويّة والنّفوس الملكوتيّة كان تأثيرها في العالم عند التّوجّه الاتّصالي تأثير ما يتّصل به، فتنفعل أجرام العناصر والنّفوس النّاقصة الإنسانيّة منه بما أراد.

ألم تر كيف انفعلت نفوس النّصارى من نفسه –صلّى الله عليه وسلّم– بالخوف وأحجمت عن المباهلة وطلبت الموادعة بقبول الجزية؟

﴿**وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ ۚ**﴾[2]، أي: ليس عيسى من الإلهيّة في شيء، فلا يستحقّ العبادة بمجرّد تجرّد ذاته، فإنّ عالم الملكوت والجبروت كلّه؛ كذلك اتّصال نفوسهم بروح القدس وتأييد الله إيّاهم به، وهو المؤثّر بإذن الله في العالم العنصري؛ فيكون انفعال العالم العنصري منه كانفعال بدننا من روحنا بالهيئات الواردة عليه، كالغضب والحزن والفكر في أحوال المعشوق، وغير ذلك من تحرّك الأعضاء عند حدوث الإرادات والعزائم وانفعال النّفوس البشريّة منه كانفعال حواسّنا وسائر قوانا من هيئات أرواحنا.

فإذا اتّصل نفس قدسيّ به أو ببعض أرواح أجرام السّماويّة والنّفوس الملكوتيّة كان تأثيرها في العالم عند التّوجّه الاتّصالي تأثير ما يتّصل به فتنفعل أجرام العناصر والنّفوس النّاقصة الإنسانيّة منه بما أراد.

ألم تر كيف انفعلت نفوس النّصارى من نفسه –صلّى الله عليه وسلّم– بالخوف وأحجمت عن المباهلة وطلبت الموادعة بقبول الجزية؟

﴿**وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ ۚ**﴾[3]، أي: ليس عيسى من الإلهيّة في شيء، فلا يستحقّ العبادة بمجرّد تجرّد ذاته، فإنّ عالم الملكوت والجبروت كلّه كذلك.

---

[1] **سورة آل عِمْرَان، الآية 61.**

[2] **سورة آل عِمْرَان، الآية 62.**

[3] **سورة آل عِمْرَان، الآية 62.**

﴿**سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ**﴾[1]، أي: لم يختلف في كلمة التّوحيد نبيّ ولا كتاب قطّ.

﴿**مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ**﴾[2] الآية: الاستنباء لا يكون إلاّ بعد مرتبة الولاية والفناء في التّوحيد.

ما ينبغي لبشر محا الله بشريّته بإفنائه عن نفسه وأثابه وجودًا نورانيًّا حقّانيًّا قابلاً للكتاب والحكمة الإلهيّة، ثمّ يدعو الخلق إلى نفسه، إذ الدّاعي إلى نفسه يكون محجوبًا بالنّفس كفرعون وأضرابه من الذين علموا التّوحيد وما وجدوه حالاً وذوقًا، ولم يصلوا إلى العيان ونفوسهم باقية ما ذاقت طعم الفناء، فاحتجبوا بها، فدعوا الخلق إلى نفوسهم، وهم ممّن قال فيهم رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–: "شرّ النّاس مَن قامت القيامة عليه وهو حيّ".

﴿**وَلَٰكِن**﴾[3] يقول: ﴿**كُونُوا رَبَّانِيِّينَ**﴾[4] منْسوبين إلى الربّ لاستيلاء الرّبوبيّة عليهم وطمس البشريّة بسبب كونهم عالمين عاملين معلّمين تالين لكتب الله، أي: كونوا عابدين مرتاضين بالعلم والعمل والمواظبة على الطّاعات، حتّى تصيروا ربّانيين بغلبة النّور على الظّلمة.

﴿**وَلَا يَأْمُرَكُمْ**﴾[5] بتعبّد معيّن والتّقيّد بصورة، فإنّه حجاب وكفر، ولا يأمر النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– بالاحتجاب بعد إسلامكم الوجود لله.

[تفسير سورة آل عمران آية 81][6]

﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ**﴾[7] إلى آخره، إن بين النّبيّين تعارفًا أزليًّا بسبب كونهم أهل الصفّ الأوّل، عرفاء بالله، وكلّ عارف يعرف مقام سائر العرفاء ومتعهّدهم من الله بعهد التّوحيد

---

[1] **سورة آل عِمْرَان، الآية 64.**

[2] **سورة آل عِمْرَان، الآية 79.**

[3] **سورة آل عِمْرَان، الآية 79.**

[4] **سورة آل عِمْرَان، الآية 79.**

[5] **سورة آل عِمْرَان، الآية 80.**

[6] **﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ۚ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۖ قَالُوا أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾.**

[7] **سورة آل عِمْرَان، الآية 81.**

عامّ لبني آدم، كما ذكر، وعهد النّبيّين خاصّ بهم وبمَن يعرفهم بحقّ المتابعة، فقد أخذ الله من النبيّين عهدين:

- أحدهما: ما ذكر في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ﴾[1] إلى آخره.

- وثانيهما: ما ذكر في قوله -تعالى-: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾[2]، وهو عهد التّعارف بينهم، وإقامة الدّين، وعدم التّفرّق به بتصديق بعضهم بعضًا ودعوة الحقّ إلى التّوحيد، وتخصيص العبادة بالله -تعالى-، وطاعة النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-، وتعريف بعضهم بعضًا إلى أممهم وخصوصه بسبب أنّ معرفة الله -تعالى- في صورة التّفاصيل، وحجب الصّفات، وتكثّر المظاهر أدقّ، وأخفى من معرفته في عين الجمع.

وهم مَن رزق حقّ المتابعة عارفون بذلك وبأحكام تجلّيات الصّفات التي هي الشّرائع خاصّة دون من عداهم.

[تفسير سورة آل عمران من آية 82 إلى آية 102][3]

---

[1] سورة الأعراف، الآية 172.

[2] سورة الأحزاب، الآية 7.

[3] ﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ * قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ * وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ * كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ * لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ * ۞ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَمَنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * قُلْ صَدَقَ اللَّهُ ۗ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى

﴿**فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ**﴾[1]، أي: بعدما علم عهد الله مع النبيّين وتبليغ الأنبياء إليه ما عهد الله إليهم، ﴿**فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾[2] الخارجون عن دين الله ولا دين غيره معتدّ به في الحقيقة إلاّ توهّمًا.

﴿**أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ**﴾[3]، وكلّ من في السّموات والأرض يدين بدينه ﴿**طَوْعًا**﴾[4]، كما عدا الإنسان والشّيطان، ﴿**وَكَرْهًا**﴾[5]، كالإنسان والشّيطان إذ الكفر لا يسع موجودًا سواهما، فكلّهم ممتثلون لما أمرهم الله، طائعون.

والإنسان لاحتجابه بإرادته ونسيانه عهد الله وقبوله لدعوة الشّيطان لمناسبته إيّاه بالظّلمة النّفسانيّة لا يؤمن ولا ينقاد إلاّ كرهًا، اللّهمّ إلاّ من عصمه الله واجتباه، والشّيطان لاحتجابه بعجبه وأنيّته في قوله: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾[6] وإبائه، واستكباره كفر، وهو مع ذلك يعلم عصيانه ويؤمن كرهًا، ويتحقّق أنّ كفره بإرادته -تعالى- وذلك عين الإيمان، كما قال -تعالى-: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾[7]، وقال -تعالى-: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي

النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

[1] **سورة آل عِمْرَان، الآية 82.**

[2] **سورة آل عِمْرَان، الآية 82.**

[3] **سورة آل عِمْرَان، الآية 83.**

[4] **سورة آل عِمْرَان، الآية 83.**

[5] **سورة آل عِمْرَان، الآية 83.**

[6] **سورة الأعراف، الآية 12.**
سورة ص، الآية 76.

[7] **سورة الحشر، الآية 16.**

أَخَافُ اللَّهَ ۚ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[1]، وفي موضع آخر: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ۖ مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ﴾[2].

فهذه الآيات دالّة على إيمانه، ولكن حين لا ينفعه.

﴿**وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ**﴾[3] في العاقبة، فلا يبقى دين غير دين الله، بل الكلّ عند الرّجوع يدين بدينه.

كلّ يدين بدين الحقّ لو فطنـــوا وليس دين لغير الحقّ مشــروع

﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا**﴾[4]، المراد من الإسلام ههنا: التّوحيد الذي هو دين الله في قوله: ﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾[5]، وهو المذكور في الآية التي قبلها، وما وصف شموله لجميع الأديان، ويلزمه الانقياد التّامّ الطّوعي المذكور في فاصلة الآية بقوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[6]، ﴿**فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ**﴾[7]، لِعَدم وصول دينه إلى الحقّ -تعالى-، لِمَكان الحجاب، ﴿**وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾[8] الذين خسروا باشترائهم أنفسهم وما حجبوا به بالحقّ.

﴿**كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا**﴾[9] إلى آخره، أنكر هدايته -تعالى- لقوم قد هداهم أوّلاً بالنّور الاستعدادي إلى الإيمان، ثمّ بالنّور الإيماني إلى أن عاينوا حقية الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم-، وأيقنوا بحيث لم يبق لهم شكّ، وانضمّ إليه الاستدلال العقلي بالبيّنات.

---

[1] **سورة الأنفال، الآية 48.**

[2] **سورة إبراهيم، الآية 22.**

[3] **سورة آل عِمْرَان، الآية 85.**

[4] **سورة آل عِمْرَان، الآية 85.**

[5] **سورة آل عِمْرَان، الآية 20.**

[6] **سورة آل عمران، الآية 84.**
سورة البقرة، الآية 133.
سورة البقرة، الآية 136.
سورة العنكبوت، الآية 46.

[7] **سورة آل عِمْرَان، الآية 85.**

[8] **سورة آل عِمْرَان، الآية 85.**

[9] **سورة آل عِمْرَان، الآية 86.**

ثمّ ظهرت نفوسهم بعد هذه الشّواهد كلّها بالعناد واللّجاج وحجبت أنوار قلوبهم وعقولهم وأرواحهم الشّاهدة ثلاثتها بالحق للحقّ لشؤم ظلمهم وقوّة استيلاء نفوسهم الأمّارة عليهم الذي هو غاية الظّلم، فقال: ﴿**وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾[1] لغلظ حجابهم وتعمّقهم في البعد عن الحقّ، وقبول النّور، وهم قسْمان:

– قسْم رسخت هيئة استيلاء النّفوس الأمّارة على قلوبهم فيهم وتمكّنت، وتناهوا في الغيّ والاستشراء، وتمادوا في البعد والعناد، حتّى صار ذلك ملكة لا تزول.

– وقسْم لم يرسخ ذلك فيهم بعد ولم يصر على قلوبهم رينًا، ويبقى من وراء حجاب النّفس مسكة من نور استعدادهم، عسى أن تتداركهم رحمة من الله وتوفيق، فيندموا ويستحيوا بحكم غريزة العقول.

فأشار إلى القسم الأوّل بقوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ**﴾[2] إلى آخره.

وإلى الثّاني بقوله: ﴿**إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا**﴾[3] بالمواظبة على الأعمال والرّياضات ما أفسدوا.

﴿**فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا**﴾[4]، إذ لا تقبل هناك إلاّ الأمور النّورانيّة الباقية، لأنّ الآخرة هي عالم النّور والبقاء، فلا وقع ولا خطر للأمور الظّلمانية فيها الفانية.

وهل كان سبب كفرهم واحتجابهم إلاّ محبّة هذه الفواسق الفانية؟

فكيف تكون سبب نجاتهم وقربهم وقبولهم وندبتهم، وهي بعينها سبب هلاكهم وبعدهم وخسرانهم وحرمانهم؟!

﴿**لَن تَنَالُوا الْبِرَّ**﴾[5] كلّ فعل يقرب صاحبه من الله فهو برّ، ولا يمكن التّقرّب إليه إلاّ بالتّبرّي عمّا سواه، فمَن أحبّ شيئًا، فقد حجب عن الله –تعالى– به وأشرك شركًا خفيًّا لتعلّق محبّته بغير الله، كما قال –تعالى–: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ﴾[6]، وآثر نفسه به على الله، فقد بعد من الله بثلاثة أوجه، وهي: محبّة غير الحقّ، والشّرك، وإيثار النّفس على الحقّ.

---

[1] **سورة آل عِمْرَان، الآية 86.**

[2] **سورة آل عِمْرَان، الآية 90.**

[3] **سورة آل عِمْرَان، الآية 89.**

[4] **سورة آل عِمْرَان، الآية 91.**

[5] **سورة آل عِمْرَان، الآية 92.**

[6] **سورة البقرة، الآية 165.**

فإن آثر الله به على نفسه وتصدّق به وأخرجه من يده، فقد زال البعد وحصل القرب، وإلاّ بقي محجوبًا؛ وإن أنفق من غيره أضعافه، فما نال برًّا لعلمه –تعالى– بما ينفق وباحتجابه بغيره.

﴿۞ **كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾[1]، أي: العقلاء بحكم الأصل، إذ العقل يحكم بأنّ الأشياء خلقت لمنافع العباد مطلقًا، فما يكون من جملة المطعومات خلقت لتناولها، ﴿**إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ**﴾[2] الرّوح ﴿**عَلَىٰ نَفْسِهِ**﴾[3]، بالنّظر العقليّ عند التّجربة والقياس ومعرفة مضارّها ومنافعها على التّفصيل بعد الحكم الإجمالي بحلها، فإنّ العقل يحكم بحرمة ما يضرّ أو يهلك.

﴿**مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ ۗ**﴾[4]، أي: من قبل نزول الحكم الشّرعي بالتّوراة وسائر الكتب الإلهيّة.

وذلك أنّ النّاس اختلفوا بعدما كانوا أمّة واحدة على دين الحقّ، كما ذكر، فبعث الله النّبيّين لهدايتهم وإصلاح أحوال معاشهم ومعادهم، وردّهم إلى الحقّ والاتّفاق؛ فما اقتضت الحكمة الإلهيّة بحسب أحوالهم المختلة وطباع قلوبهم المخرفة ونفوسهم المريضة، حرمته من المألوفات والأشياء الصّارفة عن الحقّ الحاجبة بينهم وبين الله، والمهيّجة للهوى والشّهوات وسائر المفاسد والفتن المانعة إيّاهم عن كمالهم واهتدائهم حرم عليهم.

﴿**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ**﴾[5]، قيل: هو أوّل بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السّماء والأرض، خلقه قبل الأرض بألفي عام، وكان زبدة بيضاء على وجه الماء، فدحيت الأرض تحته.

فالبيت إشارة إلى القلب الحقيقيّ، وظهوره على وجه الماء تعلقه بالنّطفة عند سماء الرّوح الحيواني، وأرض البدن وخلقه قبل الأرض إشارة إلى قدمه، وحدوث البدن.

وتعيينه بألفي عام إشارة إلى تقدّمه على البدن بطوْرَيْن: طوْر النّفس، وطوْر القلب. تقدّمًا بالرّتبة، إذ الألف رتبة تامّة كما سبقت الإشارة إليه.

وكوْنه زبدة بيضاء إشارة إلى صفاء جوهره.

ودحو الأرض تحته إشارة إلى تكون البدن من تأثير، وكون أشكاله وتخطيطاته وصور أعضائه تابعة لهيئاته.

فهذا تأويل الحكاية.

---

[1] **سورة آل عِمْرَان، الآية 93.**

[2] **سورة آل عِمْرَان، الآية 93.**

[3] **سورة آل عِمْرَان، الآية 93.**

[4] **سورة آل عِمْرَان، الآية 93.**

[5] **سورة آل عِمْرَان، الآية 96.**

واعلم أنّ محلّ تعلّق الرّوح بالبدن، واتّصال القلب الحقيقي به أوّلاً هو القلب الصّوري، وهو أوّل ما يتكوّن من الأعضاء، وأوّل عضو يتحرّك وآخر عضو يسكن؛ فيكون أوّل بيت وضع للنّاس، ﴿**لَلَّذِي بِبَكَّةَ**﴾[1]، الصّدر صورة أو أوّل متعبّد ومسجد وضع للنّاس للقلب الحقيقي الذي ببكة الصّدر المعنوي.

وذلك الصّدر أشرف مقام من النّفس وموضع ازدحامات القوى المتوجّهة إليه.

﴿**مُبَارَكًا**﴾[2]: ذا بركة إلهيّة من الفيض المتّصل منه بجميع الوجود والقوّة والحياة؛ فإنّ جميع القوى التي في الأعضاء تسري منه أوّلاً إليها، ﴿**وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ**﴾[3]، سبب هداية ونور يهتدى به إلى الله.

﴿**فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ**﴾[4] من العلوم والمعارف والحكم والحقائق.

﴿**مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ**﴾[5]، أي: العقل الذي هو موضع قدم إبراهيم الرّوح، يعني: محلّ اتّصال نوره من القلب.

﴿**وَمَن دَخَلَهُ**﴾[6] من السّالكين والمتحيّرين في بيداء الجهالات، ﴿**كَانَ آمِنًا ۗ**﴾[7] من إغواء سعالى المتحيّلة، وعفاريت أحاديث النّفس، واختطاف شياطين الوهم، وجنّ الخيالات، واغتيال سباع القوى النّفسانيّة وصفاتها.

﴿**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ**﴾[8] هذا ﴿**الْبَيْتِ**﴾[9] والطّواف به ﴿**مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ**﴾[10] من السّالكين، المستعدّين الصّادقين في الإرادة، القادرين على زاد التّقوى، وراحلة قوّة العزم دون مَن عداهم من الضّعاف في الاستعداد، القاعدين من الضّعف والمرض وسائر الموانع

---

[1] **سورة آل عِمْرَان، الآية 96.**

[2] **سورة آل عِمْرَان، الآية 96.**

[3] **سورة آل عِمْرَان، الآية 96.**

[4] **سورة آل عِمْرَان، الآية 97.**

[5] **سورة آل عِمْرَان، الآية 97.**

[6] **سورة آل عِمْرَان، الآية 97.**

[7] **سورة آل عِمْرَان، الآية 97.**

[8] **سورة آل عِمْرَان، الآية 97.**

[9] **سورة آل عِمْرَان، الآية 97.**

[10] **سورة آل عِمْرَان، الآية 97.**

الخلقيّة أو العارضة النّفسانيّة أو البدنيّة؛ ﴿**وَمَن كَفَرَ**﴾[1]، أي: حجب استعداده مع القدرة وأعرض عنه بهوى النّفس.

﴿**فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ**﴾[2] عنه و﴿**عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾[3] كلّهم، أي: لا يلتفت إليه لبعده، وكونه غير قابل لرحمته في ذلّ الحجاب، وهو أنّ الحرمان مخذولاً مردودًا.

﴿**وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ**﴾[4] بالانقطاع عمّا سواه، والتّمسّك بالتّوحيد الحقيقيّ، ﴿**فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾[5]، إذ الصّراط المستقيم هو طريق الحقّ -تعالى-، كما قال: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[6].

فمن انقطع إليه بالفناء في الوحدة كان صراطه صراط الله.

﴿**اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ**﴾[7] في بقايا وجودكم، فإنّ حقّ اتّقائه هو أن يتّقى كما يجب ويحقّ، وهو الفناء فيه، أي: اجعلوه وقاية لكم في الحذر عن بقايا ذواتكم وصفاتكم، فإنّ في الله خلفًا عن كلّ ما فات؛ ﴿**وَلَا تَمُوتُنَّ**﴾[8] إلاّ على حال إسلام الوجوه له، أي: ليكن موتكم هو الفناء في التّوحيد.

[تفسير سورة آل عمران من آية 103 إلى آية 105][9]

---

[1] سورة آل عِمْرَان، الآية **97**.

[2] سورة آل عِمْرَان، الآية **97**.

[3] سورة آل عِمْرَان، الآية **97**.

[4] سورة آل عِمْرَان، الآية **101**.

[5] سورة آل عِمْرَان، الآية **101**.

[6] سورة هود، الآية **56**.

[7] سورة آل عِمْرَان، الآية **102**.

[8] سورة آل عِمْرَان، الآية **102**.

[9] ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾.

﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا**﴾[1]، أي: بعهده في قوله: ﴿**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ**﴾[2] مجتمعين على التّوحيد.

﴿**وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ**﴾[3] باختلاف الأهواء، فإنّ التّفرّق عن الحقّ إنّما يكون باختلاف الطّبائع واتّباع الهوى وتجاذب القوى، والموحّد عنها بمعزل، إذ تنوّر قلبه بنور الحقّ واستنارت نفسه من فيض القلب، فتسالمت القوى وتصادقت.

﴿**وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ**﴾[4] بالهداية إلى التوحيد المفيد للمحبّة في القلوب، ﴿**إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً**﴾[5]، لاحتجابكم بالحجب النّفسانيّة والغواشي الطّبيعيّة، بعداء عن النّور والمقاصد الكلّيّة التي تقبل الشّركة وتزال بالاتّفاق في مهوى الظّلمة، ﴿**فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ**﴾[6] بالتّحابّ في الله، لتتنوّر بنوره؛ ﴿**فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا**﴾[7] في الدّين، أصدقاء في الله؛ ﴿**وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ**﴾[8] هي مهوى الطّبيعة الفاسقة ومحلّ الحرمان والتّعذيب؛ ﴿**فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ**﴾[9] بالتّواصل الحقيقي بينكم إلى سدرة مقام الرّوح، وروح جنّة الذّات.

﴿**كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ**﴾[10] بتجلّيات الصّفات اللّطيفة والإشراقات النّوريّة، ﴿**لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾[11] إلى جماله وتجلّي ذاته.

﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ**﴾[12]، أي: ليكن من جملتكم جماعة عالمون، عاملون، عارفون، أولو استقامة في الدّين، كشيوخ الطّريقة ﴿**يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ**﴾[13].

---

[1] سورة آل عِمْرَان، الآية **103**.
[2] سورة الأعراف، الآية **172**.
[3] سورة آل عِمْرَان، الآية **103**.
[4] سورة آل عِمْرَان، الآية **103**.
[5] سورة آل عِمْرَان، الآية **103**.
[6] سورة آل عِمْرَان، الآية **103**.
[7] سورة آل عِمْرَان، الآية **103**.
[8] سورة آل عِمْرَان، الآية **103**.
[9] سورة آل عِمْرَان، الآية **103**.
[10] سورة آل عِمْرَان، الآية **103**.
[11] سورة آل عِمْرَان، الآية **103**.
[12] سورة آل عِمْرَان، الآية **104**.
[13] سورة آل عِمْرَان، الآية **104**.

فإنّ مَن لم يعرف الله لم يعرف الخير، إذ الخير المطلق هو الكمال المطلق الذي يمكن للإنسان بحسب النّوع من معرفة الحقّ -تعالى-، والوصول إليه، والإضافي ما يتوصّل به إلى المطلق أو الكمال المخصوص بكلّ أحد على حسب اقتضاء استعداده الخاصّ.

فالخير المدعوّ إليه، إمّا الحقّ -تعالى-، وإمّا طريق الوصول. والمعروف كلّ أمر واجب أو مندوب في الدّين، يتقرّب به إلى الله -تعالى-، والمنكر كلّ محرّم أو مكروه يبعد عن الله -تعالى- ويجعل فاعله عاصيًا أو مقصّرًا مذمومًا.

فمَن لم يكن له التّوحيد والاستقامة، لم يكن له مقام الدّعوة ولا مقام الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، لأنّ غير الموحّد ربّما يدعو إلى طاعة غير الله وغير المستقيم في الدّين؛ وإن كان موحّدًا، ربّما أمر بما هو معروف عنده، منكر في نفس الأمر؛ وربّما نهى عمّا هو منكر عنده، معروف في نفس الأمر؛ كمَن بلغ مقام الجمع واحتجب بالحقّ عن الخلق، فكثيرًا ما يستحلّ محرّمًا، كبعض المسكرات والتّصرّف في أموال النّاس، ويحرم حلالاً بل مندوبًا، كتواضع الخلق ومكافأة الإحسان، وأمثال ذلك.

﴿**وَأُولَٰئِكَ هُمُ**﴾[1] الأخصّاء بالفلاح، الذين لم يبق لهم حجاب، وهم خلفاء الله في أرضه.

﴿**وَلَا تَكُونُوا**﴾[2] ناشئين بمقتضى طباعكم غير متابعين لإمام ولا متّفقين على كلمة واحدة باتّباع مقدّم يجمعكم على طريقة واحدة، ﴿**كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا**﴾[3]، واتّبعوا الأهواء والبدع ﴿**وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ**﴾[4]، الحجج العقليّة والشّرعيّة الموجبة لاتّحاد الوجهة، واتّفاق الكلمة.

فإنّ للنّاس طبائع وغرائز مختلفة وأهواء متفرّقة، وعادات وسيرًا متفاوتة، مستفادة من أمزجتهم وأهويتهم، ويترتّب على ذلك فهوم متباينة، وأخلاق متعادية؛ فإن لم يكن لهم مقتدى وإمام تتّحد عقائدهم وسيرهم وآراؤهم بمتابعته، وتتّفق كلماتهم وعاداتهم وأهواؤهم بمحبّته وطاعته، كانوا مهملين متفرّقين فرائس للشّيطان، كشريدة الغنم تكون للذّئب.

ولهذا قال أمير المؤمنين عليّ -عليه السّلام-: "لا بدّ للنّاس من إمام برّ أو فاجر".

---

[1] **سورة آل عِمْرَان، الآية 105.**

[2] **سورة آل عِمْرَان، الآية 105.**

[3] **سورة آل عِمْرَان، الآية 105.**

[4] **سورة آل عِمْرَان، الآية 105.**

ولم يرسل نبيّ الله –صلّى الله عليه وسلّم– رجليْن، فصاعدًا لشأن إلاّ وأمر أحدهما على الآخر وأمر الآخر بطاعته ومتابعته ليتّحد الأمر وينتظم، وإلاّ وقع الهرج والمرج، واضطرب أمر الدّين والدّنيا، واختلّ نظام المعاش والمعاد.

قال رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–: "مَن فارق الجماعة قيد شبر لم ير بحبوحة الجنّة".

وقال: "الله مع الجماعة".

ألا ترى أنّ الجمعيّة الإنسانيّة إذا لم تنضبط برياسة القلب وطاعة العقل، كيف اختلّ نظامها وآلت إلى الفساد والتّفرّق الموجب لخسارة الدّنيا والآخرة، ولما نزل قوله –تعالى–: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ﴾[1]؟

خطّ رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– خطًّا، فقال: "هذا سبيل الرّشد"، ثمّ خطّ عن يمينه وشماله خطوطًا، فقال: "هذه سبل كلّ سبيل شيطان يدعوه إليه".

[تفسير سورة آل عمران من آية 106 إلى آية 109][2]

﴿**يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ** ۚ﴾[3] ابيضاض الوجه عبارة عن تنوّر وجه القلب بنور الحقّ للتّوجّه إليه، والإعراض عن الجهة السّفليّة النّفسانيّة المظلمة؛ وذلك لا يكون إلاّ بالتّوحيد والاستقامة فيه بتنوّر النّفس أيضًا بنور القلب.

فتكون الجملة متنورة بنور الله واسوداده ظلمة وجه القلب بالإقبال على النّفس الطّالبة حظوظها والإعراض عن الجهة النّوريّة الحقّيّة لمصادقة النّفس ومتابعة الهوى في تحصيل لذّاتها، وذلك إنّما يكون باتّباع السّبل المتفرّقة الشّيطانيّة.

---

[1] **سورة الأنعام، الآية 153.**

[2] **﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ۗ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ * وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾.**

[3] **سورة آل عِمْرَان، الآية 106.**

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾[1]، فيُقال لهم: ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾[2]، أي: احتجبتم عن نور الحقّ بصفات النّفس الظّلمانيّة، وسكنتم في ظلماتها بعد هدايتكم وتنوّركم بنور الاستعداد، وصفاء الفطرة وهداية العقل، ﴿فَذُوقُوا﴾[3] عذاب الحرمان باحتجابكم عن الحقّ.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ﴾[4] التي هي روح الوصال ونور القدس وشهود الجمال ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[5].

[تفسير سورة آل عمران من آية 110 إلى آية 111][6]

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾[7] لِكوْنكم موحّدين، قائمين بالعدل الذي هو ظلّه، ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[8]، إذ لا يقدر على ذلك إلاّ الموحّد العادل لعلمه بالمعروف والمنْكر، كما مرّ في تأويل قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[9].

قال أمير المؤمنين –رضي الله عنه–: "نحن النّمرقة الوسطى، بنا يلحق التّأويل، وإلينا يرجع الغالي". فيأمرون المقصّر بالمعروف الذي يوصله إلى مقام التّوحيد، وينهون الغالي المحجوب بالجمع عن التّفصيل وبالوحدة عن الكثرة.

﴿وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ﴾[10]، أي: تثبتون في مقام التّوحيد الذي هو الوسط، وكذا في كلّ تفريط وإفراط واعتدال في باب الأخلاق.

---

[1] سورة آل عِمْرَان، الآية **106**.

[2] سورة آل عِمْرَان، الآية **106**.

[3] سورة آل عِمْرَان، الآية **106**.

[4] سورة آل عِمْرَان، الآية **107**.

[5] سورة آل عِمْرَان، الآية **107**.

[6] ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ * لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى ۖ وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾.

[7] سورة آل عِمْرَان، الآية **110**.

[8] سورة آل عِمْرَان، الآية **110**.

[9] سورة البقرة، الآية **143**.

[10] سورة آل عِمْرَان، الآية **111**.

﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾[1]، لكانوا مثلكم، ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى ۖ﴾[2]، لكوْنهم منقطعين عن أصل القوى والقدر، كائنين في الأشياء بالنّفس التي هي محلّ العجز والشرّ، وأنتم معتصمون بالله، معتضدون به، كائنون في الأشياء بالحقّ الذي هو منبع القهر.

فقدرتهم لا تبلغ إلاّ حدّ الطّعن باللّسان والخبث والإيذاء الذي هو حد قدرة النّفس ونهايتها، وقدرتكم تفوق كلّ قدْرة بالقهْر والاستئصال لاتّصافكم بصفات الله -تعالى-، فلا جرم ينهزمون منكم عند المقاتلة ولا ينصرون.

[تفسير سورة آل عمران آية 112][3]

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾[4]، لأنّ العزّة لله جميعًا، فلا نصيب فيها لأحد إلاّ لمن تخلّق بصفاته بمحو صفات البشريّة، كالرّسول والمؤمنين الذين هم مظاهر عزّته، كما قال الله -تعالى-: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[5].

فمَن خالفهم فهو مضاد لصفة العزّة، مباين للأعزاء، فتلزمه الذلّة وتشمله على أيّ حال يكون، إلاّ برابطة ما بينه وبين أهل العزّة، كقوله: ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾[6]، أي: ذمّة وعهد.

وذلك يكون أمرًا عارضيًّا لا أصل له مرتبطًا برابطة مجعولة، فلا تقابل صفتهم الذّاتيّة اللاّزمة لهم التي هي الذلّة النّاشئة من أصل نفوسهم.

واستحقّوا غضبًا شديدًا من عند الله لبعدهم وإعراضهم عن الحقّ، ولزمتهم المسكنة، لانقطاعهم عن الله إلى نفوسهم فوكّلهم إلى أنفسهم.

---

[1] سورة آل عِمْرَان، الآية 111.

[2] سورة آل عِمْرَان، الآية 111.

[3] ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾.

[4] سورة ، الآية 112.

[5] سورة المنافقون، الآية 8.

[6] سورة آل عِمْرَان، الآية 112.

[تفسير سورة آل عمران من آية 113 إلى 117][1]

﴿۞ لَيْسُوا سَوَاءً ۗ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾[2]، أي: بالله، ثمّ وصفهم بأحوال أهل الاستقامة، أي منهم أهل التّوحيد والاستقامة.

﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ﴾[3]، أي: كلّ ما يصدر منكم ممّا يقرّبكم عند الله يتّصل به جزاؤه، ومنه لن تحرموا شيئًا منه.

قال الله -تعالى-: "مَن تقرّب إليّ شبرًا تقرّبت إليه ذراعًا، ومَن تقرّب إليّ ذراعًا تقرّبت إليه باعًا، ومَن أتاني مشيًا أتيته هرولة..." الحديث.

وقال -تعالى-: "أنا جليس مَن ذكرني، وأنيس من شكرني، ومطيع مَن أطاعني"، أي: كما أطعتموه بتصفية الاستعداد والتّوجّه نحوه، أطاعكم بإفاضة الفيض على حسبه والإقبال إليكم.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾[4] بالذين اتّقوا ما يحجبهم عنه، فيتجلّى لهم بقدر زوال الحجاب.

﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[5] الفانية ولذاتها السّريعة الزّوال، طلبًا للشّهوات أو رياء وسمعة في المفاخر، وطلب محمّدة النّاس، لا يطلبون به وجه الله، وما تهلكه وتفنيه بالكلّية من ريح هوى النّفس التي فيها برد دنياتكم الفاسدة وأغراضكم الباطلة، كالرّياء ونحوه؛ ﴿كَمَثَلِ

---

[1] ﴿۞ لَيْسُوا سَوَاءً ۗ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

[2] سورة آل عِمْرَان، الآية 113.

[3] سورة آل عِمْرَان، الآية 115.

[4] سورة آل عِمْرَان، الآية 115.

[5] سورة آل عِمْرَان، الآية 117.

﴿رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾[1] بالشّرك والكفر، ﴿فَأَهْلَكَتْهُ ۚ﴾[2] عقوبة من الله لظلمهم.

﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾[3] بإهلاك حرثهم، ﴿وَلَٰكِنْ﴾[4] كانوا ﴿أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[5]، لأنّه مسبّب عن ظلمهم، كما قيل: مهلاً فيداك، وكتا وفوك نفخ.

[تفسير سورة آل عمران آية 118][6]

﴿لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾[7] بطانة الرّجل صفيّه وخليصه الذي يبطنه ويطّلع عليه أسراره، ولا يمكن وجود مثل هذا الصّديق إلاّ إذا اتّحدا في المقصد واتّفقا في الدّين والصّفة، متحابّين في الله لا لغرض، كما قيل في الأصدقاء: نفس واحدة في أبدان متفرّقة.

فإذا كان من غير أهل الإيمان، فبأن يكون كاشحًا أحْرى.

ثمّ بيّن نفاقه واستبطانه العداوة بقوله: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾[8] إلى آخره، إذ المحبّة الحقيقية الخالصة لا تكون إلاّ بين الموحّدين، لكونها ظلّ الوحدة، فلا تكون بين المحجوبين لكونهم في عالم التّضادّ والظّلمة.

فأين الصّفاء والوفاق في عالمهم؟ بل ربّما تتآلفهم الجنسيّة العامّة الإنسانيّة لاشتراكهم في النّوع والمنافع والملاذ واحتياجهم إلى التّعاون فيها.

فإذا لم تتحصّل أغراضهم من النّفع واللذّة تهارشوا وتباغضوا وبطلت الإلفة التي كانت بينهم، لكونها مسبّبة عن أمر قد تغيّر، إذ النّفس منشأ التّغيّر والمنافع الدّنيويّة لا تبقى بحالها،

---

[1] سورة آل عِمْرَان، الآية 117.

[2] سورة آل عِمْرَان، الآية 117.

[3] سورة آل عِمْرَان، الآية 117.

[4] سورة آل عِمْرَان، الآية 117.

[5] سورة آل عِمْرَان، الآية 117.

[6] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

[7] سورة آل عِمْرَان، الآية 118.

[8] سورة آل عِمْرَان، الآية 118.

واللّذّات النّفسانيّة سريعة الانقضاء، فلا تدوم المحبّة عليها بخلاف المحبّة الأولى، فإنّها مستندة إلى أمر لا تغيّر فيه أصلاً.

هذا إذا كانت فيما بينهم، فكيف إذا كانت بينهم وبين مَن يخالفهم في الأصل والوصف؟ وأنّى يتجانس النّور والظّلمة؟ ومن أين يتوافق العلوّ والسّفل؟ فبينهما عداوة حقيقيّة وتخالف ذاتي لا تخفى آثاره، كما بيّن الله –تعالى– بقوله: ﴿**قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ**﴾[1] لامتناع اختفاء الوصْف الذّاتي.

قال النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم–: "ما أضمر أحد شيئًا إلاّ وأظهره الله في فلتات لسانه وصفحات وجهه".

﴿**وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ** ۚ﴾[2]، لأنّه نار وهذا شرار، ذاك أصل، وهذا فرعه.

﴿**قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ** ۖ﴾[3] دلائل المحبّة والعداوة وأسبابهما، ﴿**إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ**﴾[4]، أي: تفْهمون من فحوى الكلام.

[تفسير سورة آل عمران آية 119][5]

﴿**هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ**﴾[6] بمقْتضى التّوحيد، إذ الموحّد يحبّ النّاس كلّهم بالحقّ للحقّ، ويراهم متّصلين بنفسه اتّصال الأحماء والأقرباء بل اتّصال الأجزاء، فينظر إليهم بنظر الرّحمة الإلهيّة والرّأفة الربّانيّة، ويعطف عليهم مترحمًّا، إذ يراهم أهل الرّحمة شغلوا بالباطل، وابتلوا بالقدر، ولا يحبّونكم بمقتضى الحجاب والبقاء في ظلمة النّفس وتضادّ الطّبع.

---

[1] **سورة آل عِمْرَان، الآية 118.**

[2] **سورة آل عِمْرَان، الآية 118.**

[3] **سورة آل عِمْرَان، الآية 118.**

[4] **سورة آل عِمْرَان، الآية 118.**

[5] **﴿هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.**

[6] **سورة آل عِمْرَان، الآية 119.**

﴿**وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ**﴾[1]، أي بجنس الكتاب ﴿**كُلِّهِ**﴾[2]، لِشمول علمكم التّوحيدي، ولا يؤمنون للتّقيّد بدينهم والاحتجاب بما هم عليه.

﴿**وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا**﴾[3]، لنفاقهم المستجلب لأغراضهم العاجلة؛ ﴿**وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ۚ**﴾[4]، لحقدهم الذّاتي وبغضهم الكامن، والباقي ظاهر.

[تفسير سورة آل عمران من آية 120 إلى آية 125][5]

﴿**وَإِن تَصْبِرُوا**﴾[6] على ما يبتليكم الله به من الشّدائد والمحن والمصائب، وتثبتوا على مقتضى التّوحيد والطّاعة، ﴿**وَتَتَّقُوا**﴾[7] الاستعانة بهم في أموركم والالتجاء إلى ولايتهم.

﴿**لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۗ**﴾[8]، لأنّ المتوكّل على الله، الصّابر على بلائه، المستعين به لا بغيره، ظافر في طلبته، غالب على خصمه، محفوظ بحسن كلاءة ربّه، والمستعين بغيره مخذول موكول إلى نفسه، محروم عن نصرة ربّه.

كما قال الشّاعر:

مَن اسْتعان بغير الله في طلب فإنّ ناصره عجز وخذلان

---

[1] سورة آل عِمْرَان، الآية **119**.

[2] سورة آل عِمْرَان، الآية **119**.

[3] سورة آل عِمْرَان، الآية **119**.

[4] سورة آل عِمْرَان، الآية **119**.

[5] ﴿**إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ * وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ * بَلَىٰ ۚ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ**﴾.

[6] سورة آل عِمْرَان، الآية **120**.

[7] سورة آل عِمْرَان، الآية **120**.

[8] سورة آل عِمْرَان، الآية **120**.

﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾[1] من المكايد ﴿مُحِيطٌ﴾[2] فيبطلها ويهلكها.

وقد قيل: إذا أردت أن تكبت من يحسدك فازدد فضلاً في نفسك. فالصّبر والتّقوى من أجمل الفضائل، إن لزمتموهما تظفروا على عدوكم.

﴿بَلَىٰ ۚ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم﴾[3] الآية.... الصّبر على مضض الجهاد وبذل النّفس في طاعة الله، وتحمّل المكروه طلبًا لرضا الله لا يكون إلاّ عند التّقوى بتأييد الحقّ وتنوره بنور اليقين، وثباته بنزول السكينة والطمأنينة عليه، والتّقوى في مخالفة أمر الحقّ والميل إلى النّفع والغنيمة، وخوف تلف النّفس لا تكون إلاّ عند انكسار النّفس تحت قهر سلطان القلب والرّوح، إذ الثّبات والوقار صفة الرّوح والطّيش، والاضطراب صفة النّفس.

فإذا استولى سلطان الروح على القلب وأخذ مملكته عصمه من استيلاء صفات النّفس وجنودها عليه، فيعشقه القلب ويسكن إليه لنورانيّته المحبوبة لذاتها ويتقوّى به على النّفس وقواها، فيهزمها ويكسرها ويدفع غلبتها وظلمتها عن نفسه، ويجعلها ذلولاً مطيعة مطمئنة إليه فيزول عنها الاضطراب وتتنور بنوره وعند ذلك تنزل الرّحمة، ويناسب القلب ملكوت السّماء في نورانيتها وقهرها لما تحتها، ومحبّتها وشوقها لما فوقها.

وبذلك التّناسب يصل بها ويستنزل قواها وأوصافها في أفعاله، خصوصًا عند اهتياجه وانقلاعه عن الجهة السّفليّة، وانقطاعه بقوّة اليقين والتّوكّل إلى الجهة العلويّة.

ويستمدّ من قوى قهرها على من يغضب عليه، فذلك نزول الملائكة، وإذا جزع وهلع وتغيّر وخاف أو مال إلى الدّنيا غلبته النّفس وقهرته واستولت عليه وحجبته بظلمة صفاتها عن النّور، فلم تبق تلك المناسبة، فانقطع المدد ولم تنزل الملائكة.

[تفسير سورة آل عمران من آية 126 إلى آية 132][4]

---

[1] سورة آل عِمْرَان، الآية 120.

[2] سورة آل عِمْرَان، الآية 120.

[3] سورة آل عِمْرَان، الآية 121.

[4] ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ۗ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا خَائِبِينَ * لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ * وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

﴿**وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ**﴾[1]، أي: ما جعل الإمداد بالملائكة إلى لتستبشروا به فتزداد قوّة قلوبكم وشجاعتكم ونجدتكم ونشاطكم في التّوجّه إلى الحقّ والتّجريد للسّلوك.

﴿**وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ**﴾[2]، فتتحقّق الفيض بقدر التّصفية والخلف بقدر التّرك.

﴿**وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ**﴾[3] لا من الملائكة ولا من غيرهم، فلا تحتجبوا بالكثرة عن الوحدة، ولا بالخلق عن الحقّ، فإنّها مظاهر لا حقيقة لها ولا تأثير، ﴿**الْعَزِيزِ**﴾[4] القويّ الغالب بقهره، ﴿**الْحَكِيمِ**﴾[5] الذي ستر قهره ونصرته بصور الملائكة بحكمته.

﴿**لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾[6]، يقتل بعضهم تقوية للمؤمنين، ﴿**أَوْ يَكْبِتَهُمْ**﴾[7]، يخزيهم ويذلّهم بالهزيمة إعزازًا للمؤمنين، ﴿**أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ**﴾[8] بالإسلام تكثيرًا لسواد المؤمنين، ﴿**أَوْ يُعَذِّبَهُمْ**﴾[9] بسبب ظلمهم وإصرارهم على الكفر تفريحًا للمؤمنين.

وأوقع بين المعطوف والمعْطوف عليه في أثناء الكلام قوله: ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ**﴾[10] اعتراضًا لئلاّ يغفل رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– فيرى لنفسه تأثيرًا في بعض هذه الأمور، فيحتجب عن التّوحيد ولا يزول، وتتغيّر شهوده في الأقسام كلّها، أي: ليس لك من أمرهم شيء كيفما كان، ما أنت إلاّ بشر مأمور بالإنذار، إنّ عليك إلاّ البلاغ، إنّما أمرهم إلى الله.

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا**﴾[11]، أي: توكّلوا على الله في طلب الرّزق، فلا تكسبوه بالرّبا، فإنّه واجب عليكم كما يجب عليكم التّوكّل عليه في طلب الفتح وجهاد العدوّ، لئلاّ تجبنوا بكلاءة الله وحفظه.

---

[1] **سورة آل عِمْرَان، الآية 126.**

[2] **سورة آل عِمْرَان، الآية 126.**

[3] **سورة آل عِمْرَان، الآية 126.**

[4] **سورة آل عِمْرَان، الآية 126.**

[5] **سورة آل عِمْرَان، الآية 126.**

[6] **سورة آل عِمْرَان، الآية 127.**

[7] **سورة آل عِمْرَان، الآية 127.**

[8] **سورة آل عِمْرَان، الآية 128.**

[9] **سورة آل عِمْرَان، الآية 128.**

[10] **سورة آل عِمْرَان، الآية 128.**

[11] **سورة آل عِمْرَان، الآية 128.**

واعلموا أنّ جزاء المرابي هو جزاء الكافر، فاحذروه لكونه محجوبًا عن أفعاله –تعالى–، كما أنّ الكافر محجوب عن صفاته وذاته، والمحجوب غير قابل للرّحمة، وإن اتّسعت؛ فارفعوا الحجاب بالطّاعة وترك المخالفة، كي تدرككم رحمة الله.

[تفسير سورة آل عمران من آية 133 إلى آية 134][1]

﴿۞ **وَسَارِعُوا إِلَىٰ**﴾[2] ستْر أفعالكم التي هي حجابكم عن مشاهدة أفعال الحقّ بأفعاله –تعالى–، فإنّما حرمتم عن التّوكّل وجنّة عالم الملك التي هي تجلّي الأفعال برؤية أفعالكم، أي: إلى ما يوجب ستر أفعالكم بأفعاله، وجنّة الأفعال من الطّاعات بعد، كما ورد: "أعوذ بعفوك من عقابك".

ولأنّ المراد بالجنّة هنا جنّة الأفعال، وصف عرضها بمساواة عرض السّماوات والأرض، إذ توحيد الأفعال هو توحيد عالم الملك. وإنّما قدّر طولها، لأنّ الأفعال باعتبار السّلسلة العرضيّة، وهي توقّف كلّ فعل على فعل آخر تنحصر في عالم الملك الذي يتقدّره النّاس.

وأمّا باعتبار الطّول، فلا تنحصر فيه ولا يقدّرها، إذ الفعل مظهر الوصف، والوصف مظهر الذّات، فلا نهاية له ولا حدّ.

فالمحجوبون عن الذّات والصّفات لا يرون إلاّ عرض هذه الجنّة.

وأمّا البارزون لله الواحد القهّار، فعرض جنّتهم عين طولها ولا حدّ لطولها، فلا يقدّر قدرها طولاً ولا عرضًا.

﴿**أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾[3] الذين يتّقون حجب أفعالهم وشرك نسبة الأفعال إلى غير الحقّ.

﴿**الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ**﴾[4] لا تمنعهم الأحوال المضادّة عن الإنفاق لصحّة توكّلهم على الله برؤية جميع الأفعال منه؛ ﴿**وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ**﴾[5] لذلك أيضًا، إذ يرون الجناية

---

[1] ﴿۞ **وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾.

[2] **سورة آل عِمْرَان، الآية 133.**

[3] **سورة آل عِمْرَان، الآية 133.**

[4] **سورة آل عِمْرَان، الآية 134.**

[5] **سورة آل عِمْرَان، الآية 134.**

عليهم فعل الله، فلا يعترضون؛ ولو لم يغيظوا، كانوا في مقام الرّضا وجنّة الصّفات. ﴿**وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ**﴾[1] لِمَا ذكرنا، ولتعوّذهم بعفوه -تعالى- عن عقابه.

﴿**وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾[2] الذين يشاهدون تجلّيات أفعاله -تعالى-.

[تفسير سورة آل عمران من آية 135 إلى آية 136][3]

﴿**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً**﴾[4] كبيرة من الكبائر، برؤية أفعالهم صادرة عن قدْرتهم، ﴿**أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ**﴾[5] نقضوا حقوقها بارتكاب الصّغائر وظهور أنفسهم فيها؛ ﴿**ذَكَرُوا اللَّهَ**﴾[6] في صدور أفعالهم برؤيتها واقعة بقدرة الله وتبرّأ عنها إليه لرؤيتهم ابتلاءه إيّاهم بها؛ ﴿**فاستغفروا**﴾[7]، طلبوا ستر أفعالهم التي هي ذنوبهم بأفعاله بالتّبرّي عن الحول والقوّة إليه.

﴿**وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ**﴾[8]، أي وجودات الأفعال، ﴿**إِلَّا اللَّهُ**﴾[9]، أي علموا أن لا غافر إلاّ هو.

﴿**وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا**﴾[10] في غفلتهم وحالة ظهور أنفسهم، بل تابوا ورجعوا إليه في أفعالهم، ﴿**وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾[11] أنّ لا فعل إلاّ الله.

---

[1] سورة آل عِمْرَان، الآية **134**.

[2] سورة آل عِمْرَان، الآية **134**.

[3] ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ**﴾.

[4] سورة آل عِمْرَان، الآية **135**.

[5] سورة آل عِمْرَان، الآية **135**.

[6] سورة آل عِمْرَان، الآية **135**.

[7] سورة آل عِمْرَان، الآية **135**.

[8] سورة آل عِمْرَان، الآية **135**.

[9] سورة آل عِمْرَان، الآية **135**.

[10] سورة آل عِمْرَان، الآية **135**.

[11] سورة آل عِمْرَان، الآية **135**.

﴿وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾[1] بمقتضى توحيد الأفعال.

[تفسير سورة آل عمران من آية 137 إلى آية 142][2]

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ﴾[3] بطشات ووقائع ممّا سنّه الله في أفعاله بالذين كذّبوا بالأنبياء في توحيد الأفعال، ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا﴾[4] في آثارها، فتعلموا كيف كان عاقبتهم.

﴿هَٰذَا﴾[5] الذي ذكر ﴿بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾[6] من علم توحيد الأفعال، وتفصيل المتّقين الذين هم أهل التّمكين في ذلك، والتّائبين الذين هم أهل التّلوين، والمصرّين المحجوبين عنه المكذّبين به، وزيادة هدى وكشف عيان وتثبت واتّعاظ للّذين اتّقوا روية أفعالهم أو هدى لهم إلى توحيد الصّفات والذّات.

﴿وَلَا تَهِنُوا﴾[7] في الجهاد عند استيلاء الكفار، ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾[8] على ما فاتكم من الفتح وما جرح واستشهد من إخوانكم.

---

[1] سورة آل عِمْرَان، الآية 136.

[2] ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ * هُذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ * وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾.

[3] سورة آل عِمْرَان، الآية 137.

[4] سورة آل عِمْرَان، الآية 137.

[5] سورة آل عِمْرَان، الآية 138.

[6] سورة آل عِمْرَان، الآية 138.

[7] سورة آل عِمْرَان، الآية 139.

[8] سورة آل عِمْرَان، الآية 139.

﴿**وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ**﴾[1] في الرّتبة لقربكم من الله وعلوّ درجتكم بكوْنكم أهل الله، ﴿**إِن كُنتُم**﴾[2] موحّدين، لأنّ الموحّد يرى ما يجري عليه من البلاء من الله؛ فأقلّ درجاته: الصّبر، إن لم يكن رضا يتقوّى به، فلا يحزن ولا يهن.

﴿**الْأَيَّامُ**﴾[3]: الوقائع، وكلّ ما يحدث من الأمور العظيمة يسمّى يومًا وأيّامًا، كما قال –تعالى–: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ ۚ﴾[4]، وقد مرّ تفسيره.

﴿**وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ**﴾[5] من ظهور العلم التّفصيلي التّابع لوقوع المعلوم.

﴿**وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ**﴾[6] الذين يشهدون للحق فيذهلون عن أنفسهم، أي: نداول الوقائع بين النّاس لأمور شتّى وحكم كثيرة، غير مذكورة، من خروج ما في استعدادهم إلى الفعل من الصّبر والجلد وقوّة اليقين، وقلّة المبالاة بالنّفس، واستيلاء القلب عليها، وقمعها وغير ذلك.

ولهذيْن العلّتيْن المذكورتيْن ولتخليص المؤمنين من الذّنوب والغواشي التي تبعدهم من الله بالعقوبة والبليّة إذا كانت عليهم، ومحقّ الكافرين وقهرهم وتدميرهم إذا كانت لهم.

وقد اعترض بين العلل قوله: ﴿**وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**﴾[7]، ليعلم أنّ مَن ليس على صفة الإيمان والشّهادة وتمْحيص الذّنوب وقوّة الثّبات لكمال اليقين، بل حضر القتال لطلب الغنيمة أو لغرض آخر، فهو ظالم والله لا يحبّه.

[تفسير سورة آل عمران من آية 143 إلى آية 144][8]

---

[1] سورة آل عِمْرَان، الآية **139**.

[2] سورة آل عِمْرَان، الآية **140**.

[3] سورة آل عِمْرَان، الآية **140**.

[4] سورة إبراهيم، الآية **5**.

[5] سورة آل عِمْرَان، الآية **140**.

[6] سورة آل عِمْرَان، الآية **140**.

[7] سورة آل عِمْرَان، الآية **140**.

[8] ﴿**وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ * وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**﴾.

﴿**وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ**﴾[1] الآية، كلّ موقن إذا لم يكن يقينه ملكة بل كان خطرات، فهو في بعض أحواله يتمنّى أمورًا ويدعي أحوالاً بحسب نفسه دائمًا، وكذلك حال غير اليقين وعند إقبال القلب هو صادق ما دام موصوفًا بحاله.

أمّا في غير تلك الحالة، وعند الإدبار، فلا يبقى من ذلك أثر؛ وكذا كلّ مَن لم يشاهد حالاً ولم يمارسه، ربّما يتمنّاه لتصوّره في نفسه وعدم تضرّره به حال التّصوّر.

أمّا في حال وقوعه وابتلائه، فلا يطيق تحمّل شدائده، كما حكي عن سمنون المحبّ[2] –رحمه الله–، لما قال في أبياته:

فكيفما شئت فاختبرنـــــــــي

فابتلي بالأسر، فلم يطق، فكان يتردّد في الطّرق ويرضخ إلى الصّبيان ما يلعبون به كالجوز، ويقول: ادعوا على عمكم الكذاب.

وفي هذا المعنى قال الشّاعر:

وإذا ما خلا الجبان بـــأرض طلب الطعن وحده والنّـــــزالا

فلا يلتفت بحال إلاّ إذا صار مقامًا، ولا يعتبر مقامًا إلاّ إذا امتحن في مواطنه؛ فإذا خلص من الامتحان، فقد صحّ.

وهذا أحد فوائد مداولة الأيّام بينهم ليتمرّنوا بالموت ويتقوّى يقينهم ويتوفّر صبرهم ويتحقق مقامهم بالمشاهدة، كما قال: ﴿**فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ**﴾[3] مَن قتل إخوانكم بين أيديكم، ﴿**وَأَنتُمْ**﴾[4] تشاهدون ذلك.

وفيه توبيخ لهم على أنّ يقينهم كان حالاً لا مقامًا، ففشلوا في الموطن.

﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ**﴾[5]، أي: إنّه رسول بشر، سيموت أو يقتل كحال الأنبياء قبله، فمَن كان على يقين من دينه، فبصيرة من ربّه لا يرتدّ بموت الرّسول وقتله، ولا يفتر عمّا كان عليه، لأنّه يجاهد لربّه لا للرّسول كأصحاب الأنبياء السّالفين.

---

[1] **سورة آل عِمْرَان، الآية 143.**

[2] **هو**

[3] **سورة آل عِمْرَان، الآية 143.**

[4] **سورة آل عِمْرَان، الآية 143.**

[5] **سورة آل عِمْرَان، الآية 144.**

وكما قال أنس عمّ أنس بن مالك[1] يوم أحد حين أرجف بقتل رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- وشاع الخبر، وانهزم المسلمون، وبلغ إليه تقاول بعضهم: ليت فلانًا يأخذ لنا أمانًا من أبي سفيان.

وقول المنافقين: لو كان نبيًّا ما قتل! يا قوم، إن كان محمّد قد قتل فإنّ ربّ محمّد حيّ لا يموت!، وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله؟ فقاتلوا على ما قاتل عليه، وموتوا على ما مات عليه. ثمّ قال: اللّهمّ إنّي أعتذر إليك ممّا يقول هؤلاء، وأبرأ إليك ممّا جاء به هؤلاء. ثمّ شدّ بسيفه وقاتل حتّى قتل.

﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ﴾[2] إنّما ضرّ نفسه بنفاقه وضعف يقينه.

﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[3] لنعمة الإسلام، كأنس بن النّضر[4] وأضرابه من الموقنين.

[تفسير سورة آل عمران من آية 145 إلى آية 151][5]

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا ۗ﴾[6]، فمن كان موقنًا شاهد هذا المعنى، فكان مَن أشجع النّاس، كما حكى حاتم بن الأصمّ[7] عن نفسه أنّه شهد مع الشّقيق

---

[1] هو

[2] سورة آل عِمْرَان، الآية 144.

[3] سورة آل عِمْرَان، الآية 144.

[4] هو

[5] ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ * وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ * وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ * سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا ۖ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾.

[6] سورة آل عِمْرَان، الآية 145.

[7] هو .

البلخي[1] -رحمهما الله-، بعض غزوات خراسان، قال: فلقيني شقيق وقد حمى الحرب، فقال: كيف تجد قلبك يا حاتم؟ قلتُ: كما كان ليلة الزّفاف، بين الحالتيْن، فوضع سلاحه وقال: أمّا أنا فهكذا، ووضع رأسه على ترسه ونام بين المعركة حتّى سمعتُ غطيطه.

وهذا غاية في سكون القلب إلى الله ووثوقه به لقوّة اليقين.

﴿**سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ**﴾[2] الآية، جعل إلقاء الرّعب في قلوب الكفّار مسبّبًا عن شركهم، لأنّ الشّجاعة وسائر الفضائل اعتدالات في قوى النّفس من وقوع ظلّ الوحدة عليها عند تنوّرها بنور القلب المنوّر بنور الوحدة، فلا تكون تامّة حقيقة إلاّ للموحّد الموقن في توحيده.

وأمّا المشرك، فلأنّه محجوب عن منبع القوّة والقدرة بما أشرك بالله من الموجود المشوب بالعدم لإمكانه الخفيّ الوجود، الضّعيف، الذي لم يكن له بحسب نفسه قوّة ولا وجود ولا ذات في الحقيقة، ولم ينزل الله بوجوده حجّة لوجوده أصلاً لتحقّق عدمه بحسب ذاته؛ فليس له إلاّ العجز والجبن وجميع الرّذائل، إذ لا يكون أقوى من معبوده، وإن اتّفقت له دولة أو صولة أو شوكة، فشيء لا أصل له ولا ثبات ولا بقاء كنار العرفج مثلما كانت دولة المشركين.

[تفسير سورة آل عمران من آية 152 إلى آية 153][3]

﴿**وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ**﴾[4]، أي: وعدكم النّصر إن تصبروا وتتّقوا، فما دمتم على حالكم من قوّة الصّبر على الجهاد وتيقّن النّصر والثّبات على اليقين واتّفاق الكلمة بالتّوجّه إلى الحقّ والاتّقاء عن مخالفة الرّسول وميل النّفوس إلى زخْرف الدّنيا والإعراض عن الحقّ، مجاهدين لله لا للدّنيا، كان الله معكم بالنّصر، وإنجاز الوعد، وكنتم تقطعونهم بإذنه وتهزمونهم.

---

[1] **هو .**

[2] **سورة آل عِمْرَان، الآية 151.**

[3] **﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ * ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ۗ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.**

[4] **سورة آل عِمْرَان، الآية 152.**

﴿**حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ**﴾[1]، أي: جبنتم بدخول الضّعف في يقينكم وفساد اعتقادكم في حق نفسه بتجويز غلوله في الغنيمة، ﴿**وَتَنَازَعْتُمْ**﴾[2] في أمر الحرب بعد الاتّفاق، وما صبرتم عن حظّ الدّنيا، وعصيتم الرّسول بترك ما أمركم به من ملازمة المركز، وملْتم إلى زخْرف الدّنيا، ﴿**مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ** ۚ﴾[3] من الفتح والغنيمة؛ وحان زمان شكركم لله، وشدّة إقبالكم عليه، فذهلتم عنه؛ فكان أشرفكم يريد الآخرة والباقون يريدون الدّنيا، ولم يبْق فيكم مَن يريد الله منعكم نصره.

﴿**ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ** ۖ﴾[4] بما فعلتم فكان الابتلاء لطفًا بكم وفضلاً.

﴿**وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**﴾[5] في الأحوال كلّها، إمّا بالنّصرة، وإمّا بالابتلاء، فإنّ الابتلاء فضل ولطف خفيّ، ليعلموا أنّ أحوال العباد جالبة لظهور أوصاف الحقّ عليهم فما أعدّوا له نفوسهم موهوب لهم من عند الله، كما مرّ في قوله: "مطيع مَن أطاعني". كما يكونون مع الله يكون الله معهم، ولئلاّ يناموا إلى الأحوال دون المسلكات، وليتمرّنوا بالصّبر على الشّدائد، والثّبات في المواطن، ويتمكّنوا في اليقين، ويجعلوه ملكاً لهم، ومقامًا، ويتحقّقوا أنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم، ولا يميلوا إلى الدّنيا وزخرفها، ولا يذهلوا عن الحقّ، ولا يبيعوه بالدّنيا والآخرة، وليكون عقوبة عاجلة للبعض فيتمحّصوا عن ذنوبهم وينالوا درجة الشّهادة برفع الحجب، خصوصًا حجاب محبّة النّفس، فيلقوا الله طاهرين.

ولهذا قال -تعالى-: ﴿**وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ** ۗ﴾[6]، إذ الابتلاء كان سبب العفو.

﴿**فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ**﴾[7]، أي: صرفكم عنهم فجازاكم غمًّا بسبب غمّ لحق رسول الله من جهتكم، بعصيانكم إيّاه، وفشلكم وتنازعكم، أو غمًّا بعد بغمّ، أي: غمًّا مضاعفًا لتتمرّنوا بالصّبر على الشّدائد والثّبات فيها، وتتعوّدوا رؤية الغلبة والظّفر والغنيمة وجميع الأشياء من الله لا

---

[1] **سورة آل عِمْرَان، الآية 152.**

[2] **سورة آل عِمْرَان، الآية 152.**

[3] **سورة آل عِمْرَان، الآية 152.**

[4] **سورة آل عِمْرَان، الآية 152.**

[5] **سورة آل عِمْرَان، الآية 152.**

[6] **سورة آل عمران، الآية 152.**

[7] **سورة آل عِمْرَان، الآية 153.**

من أنفسكم، فلا ﴿**تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ**﴾[1] من الحظوظ والمنافع، ﴿**وَلَا مَا أَصَابَكُمْ** ۗ﴾[2] من الغموم والمضارّ.

[تفسير سورة آل عمران آية 154][3]

﴿**ثُمَّ**﴾[4] خلّى عنكم الغمّ بالأمن وإلقاء النّعاس على الطّائفة الصّادقين دون المنافقين الذين ﴿**أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ**﴾[5] لا نفس الرّسول ولا الذين وافقوا علامة للعفو، ﴿**لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ** ۖ﴾[6]، لقوله -تعالى-: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ﴾[7].

﴿**وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ**﴾[8]، أي: وليمتحن ما في استعدادكم من الصّدق والإخلاص واليقين والصّبر والتّوكّل والتّجرّد وجميع الأخلاق والمقامات، ويخرجها من القوّة إلى الفعل.

﴿**وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ** ۗ﴾[9]، أي: وليخلص ما برز منها من مكمن الصّدر إلى مخزون القلب من عثرات وساوس الشّيطان ودناءة الأحوال وخواطر النّفس، فعل ذلك؛ فإنّ البلاء

---

[1] سورة آل عِمْرَان، الآية 153.

[2] سورة آل عِمْرَان، الآية 153.

[3] ﴿**ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ** ۖ **وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ** ۖ **يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ** ۗ **قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ** ۗ **يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ** ۖ **يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا** ۗ **قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ** ۖ **وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ** ۗ **وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾.

[4] سورة آل عِمْرَان، الآية 154.

[5] سورة آل عِمْرَان، الآية 154.

[6] سورة آل عِمْرَان، الآية 154.

[7] سورة الحديد، الآية 22.

[8] سورة آل عِمْرَان، الآية 154.

[9] سورة آل عِمْرَان، الآية 154.

سوط من سياط الله يسوق به عباده إليه بتصفيتهم عن صفات نفوسهم وإظهار ما فيهم من الكمالات، وانقطاعهم عنده من الخلق ومن النّفس إلى الحقّ.

ولهذا كان متوكّلاً بالأنبياء ثمّ الأولياء ثمّ الأمثل.

وقال رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– بيانًا لفضله: "ما أوذي نبيّ مثل ما أوذيت"، كأنّه قال: ما صفى نبيّ مثل ما صفيت.

ولقد أحسن مَن قال:

لله درّ النّائبات فإنّهـــا صدأ اللّئام وصيقل الأحــرار

إذ لا يظهر على كلّ منهم إلاّ ما في مكمن استعداده، كما قيل: "عند الامتحان يكرم الرّجل أو يهان".

[تفسير سورة آل عمران آية 155][1]

﴿**اسْتَزَلَّهُمُ**﴾[2]، أي: طلب منهم الزلّة ودعاهم إليها، وهي زلّة التولّي: ﴿**بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا** ۖ﴾[3] من الذّنوب.

فإنّ الشّيطان إنّما يقدر على وسوسة النّاس وإنفاذ أمره إذا كان له مجال بسبب أدنى ظلمة في القلب، حادثة من ذنب، وحركة من النّفس، كما قيل: "الذّنب بعد الذّنب عقوبة للذّنب الأوّل".

﴿**وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ** ۗ﴾[4] بالاعتذار والنّدم.

[تفسير سورة آل عمران من آية 156 إلى 160][5]

---

[1] ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ۖ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ**﴾.

[2] **سورة آل عِمْرَان، الآية 155.**

[3] **سورة آل عِمْرَان، الآية 155.**

[4] **سورة آل عِمْرَان، الآية 155.**

[5] ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ * وَلَئِن مُّتُّمْ**

﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ۗ﴾[1]، أي: يجعل ذلك القول والاعتقاد ضيقًا وضنكًا وغمًّا في قلوبهم لرؤيتهم القتل والموت مسبّبًا عن فعل، ولو كانوا موقنين موحّدين لرأوا أنّه من الله، فكانوا منشرحي الصّدور.

﴿وَاللَّهُ يُحْيِي﴾[2] مَن يشاء في السّفر والجهاد وغيره، ﴿وَيُمِيتُ ۗ﴾[3] مَن يشاء في الحضر وغيره، ﴿لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ﴾[4]، أي: لنعيمكم الأخروي من جنّة الأفعال وجنّة الصّفات خير لكم من الدّنيوي لكوْنكم عاملين للآخرة.

و﴿لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾[5]، لِمكان توحيدكم، فحالكم فيما بعد الموت أحسن من حالكم قبله.

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾[6]، أي: فباتصافك برحمة رحيميّة، أي: رحمة تامّة، كاملة، وافرة، هي صفة من جملة صفات الله، تابعة لوجودك الموهوب الإلهي لا الوجود البشري، ﴿لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا﴾[7] موصوفًا بصفات النّفس التي منها الفظاظة والغلظة، ﴿لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾[8]، لأنّ الرّحمة الإلهيّة الموجبة لمحبّتهم إيّاك تجمعهم.

﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾[9] فيما يتعلّق بك من جنايتهم لرؤيتك إيّاه من الله بنظر التّوحيد وعلوّ مقامك من التأذّي بفعل البشر، والتّغيّظ من أفعالهم، وتشفّي الغيظ بالانتقام منهم؛ ﴿وَاسْتَغْفِرْ

أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ * فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ * إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

[1] سورة آل عِمْرَان، الآية 156.

[2] سورة آل عِمْرَان، الآية 156.

[3] سورة آل عِمْرَان، الآية 157.

[4] سورة آل عِمْرَان، الآية 157.

[5] سورة آل عِمْرَان، الآية 158.

[6] سورة آل عِمْرَان، الآية 159.

[7] سورة آل عِمْرَان، الآية 159.

[8] سورة آل عِمْرَان، الآية 159.

[9] سورة آل عِمْرَان، الآية 159.

﴿لَهُمْ﴾[1] فيما يتعلّق بحقّ الله لمكان غفلتهم وندامتهم واعتذارهم؛ ﴿وَشَاوِرْهُمْ﴾[2] في أمر الحرب وغيره مراعاة لهم واحترامًا.

ولكن إذا عزمتَ ففوّض الأمر إلى الله بالتّوكّل عليه ورؤية جميع الأفعال والفتح والنّصر والعلم بالأصلح والأرشد منه، لا منك، ولا ممّن تشاوره.

ثمّ حقّق معنى التّوكّل والتّوحيد في الأفعال بقوله: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ﴾[3] إلى آخره.

[تفسير سورة آل عمران من آية 161 إلى آية 169][4]

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ﴾[5]، لبعد مقام النّبوّة وعصمة الأنبياء عن جميع الرّذائل، وامتناع صدور ذلك منهم مع كونهم منسلخين عن صفات البشريّة، معصومين عن تأثير دواعي النّفس والشّيطان فيهم، قائمين بالله متّصفين بصفاته.

﴿يَأْتِ بِمَا غَلَّ﴾[6]، أي: يظهر على صورة غلوله بما غل بعينه.

---

[1] سورة آل عِمْرَان، الآية 159.

[2] سورة آل عِمْرَان، الآية 159.

[3] سورة آل عِمْرَان، الآية 160.

[4] ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ * لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ * وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا ۖ قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ * الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ۗ قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾.

[5] سورة آل عِمْرَان، الآية 161.

[6] سورة آل عِمْرَان، الآية 161.

﴿**أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ**﴾[1]، أي: النّبيّ في مقام الرّضوان التي هي جنّة الصّفات، لاتّصافه بصفات الله، والغال في مقام السّخط لاحتجابه بصفات نفسه، ﴿**وَمَأْوَاهُ**﴾[2] أسفل حضيض النّفس المظلمة، فهل يتشابهان؟

﴿**هُمْ دَرَجَاتٌ**﴾[3]، أي: كلّ من أهل الرّضا وأهل السّخط ذوو درجات متفاوتات أو هم مختلفون اختلاف الدّرجات.

﴿**قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ** ۗ﴾[4] لا ينافي قوله -تعالى-: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۖ﴾[5]، لأنّ السّبب الفاعلي في الجميع هو الحقّ -تعالى-، والسّبب القابلي أنفسهم، ولا يفيض من الفاعل إلاّ ما يليق بالاستعداد ويقتضيه، وباعتبار الفاعل يكون من عند الله، وباعتبار القابل يكون من عند أنفسهم.

واستعداد الأنفس إمّا أصلّي وإمّا عارضي، والأصليّ من فيضه الأقدس على مقتضى مشيئته، والعارضي من اقتضاء قدره.

فهذا الجانب أيضًا ينتهي إليه، ومن وجه آخر ما يكون من أنفسهم أيضًا يكون من الله نظرًا إلى التّوحيد، إذ لا غير ثمّة.

﴿**وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ * وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا** ۚ﴾[6]، أي: وليتميّز المؤمنون والمنافقون في العلم التّفصيلي.

﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾[7] سواء كان قتلهم بالجهاد الأصغر، وبذل النّفس طلبًا لرضا الله، أو بالجهاد الأكبر، وكسْر النّفس، وقمْع الهوى بالرّياضة، ﴿**أَمْوَاتًا** ۚ **بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ**﴾[8] بالحياة الحقيقيّة مجرّدين عن دنس الطّبائع، مقرّبين في حضرة القدس،

---

[1] **سورة آل عِمْرَان، الآية 162.**

[2] **سورة آل عِمْرَان، الآية 162.**

[3] **سورة آل عِمْرَان، الآية 163.**

[4] **سورة آل عِمْرَان، الآية 163.**

[5] **سورة النّساء، الآية 78.**

[6] **سورة آل عِمْرَان، الآيتان 166-167.**

[7] **سورة آل عِمْرَان، الآية 169.**

[8] **سورة آل عِمْرَان، الآية 169.**

﴿**يُرْزَقُونَ**﴾[1] من الأرزاق المعنوية، أي المعارف والحقائق واستشراق الأنوار، ويرزقون في الجنّة الصّوريّة كما يرزق سائر الأحياء.

فإنّ للجنان مراتب بعضها معنويّة وبعضها صورية، ولكلّ من المعنويّة والصّوريّة درجات على حسب الأعمال، فالمعنويّة جنّة الذّات وجنّة الصّفات وتفاضل درجاتها على حسب تفاضل درجات أهل الجبروت والملكوت، والصّوريّة جنّة الأفعال وتفاوت درجاتها على حسب تفاوت درجات عالم الملك من السّموات العلى، وجنّات الدّنيا.

وعن النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم–: "لما أصيب إخوانكم بأحد، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر، تدور في أنهار الجنّة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب، معلّقة في ظلّ العرش".

فالطّير الخضر: إشارة إلى الأجرام السّماويّة، والقناديل هي الكواكب، أي تعلّقت بالنيّرات من الأجرام السّماويّة لنزاهتها، وأنهار الجنّة منابع العلوم ومشارعها، وثمارها الأحوال والمعارف والأنهار، والثّمار الصّوريّة على حسب جنّتهم المعنويّة أو الصّوريّة.

فإنّ كلّ ما وجد في الدّنيا من المطاعم والمشارب والمناكح والملابس وسائر الملاذّ والمشْتهيات، موجود في الآخرة وفي طبقات السّماء ألذّ وأصفى ممّا في الدّنيا.

[تفسير سورة آل عمران من آية 170 إلى آية 172][2]

﴿**فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ**﴾[3] من الكرامة والنّعمة والقرب عند الله، ﴿**وَيَسْتَبْشِرُونَ**﴾[4] بحال إخوانهم ﴿**بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ**﴾[5]، ولم ينالوا درجاتهم بعد من خلفهم لاستسعادهم عن قريب بمثل حالهم ولحوقهم بهم؛ ﴿**أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ**

---

[1] **سورة آل عِمْرَان، الآية 169.**

[2] **﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ * الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.**

[3] **سورة آل عِمْرَان، الآية 170.**

[4] **سورة آل عِمْرَان، الآية 170.**

[5] **سورة آل عِمْرَان، الآية 170.**

﴿يَحْزَنُونَ﴾[1] بدل اشتمال من الذين، أي: يستبشرون بأنّهم آمنوا، لا خوف عليهم ولا هم يحزنون؛ ﴿۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ﴾[2]، أي: أمنهم بنعمة عظيمة لا يعلم كنْهها، هي جنّة الصّفات بحصول مقام الرّضوان المذكورة بعده لهم، ﴿وَفَضْلٍ﴾[3] وزيادة عليها هي جنّة الذّات والأمن الكلّي من بقيّة الوجود، وذلك كمال كونهم شهداء الله؛ ومع ذلك، فإنّ الله لا يضيع أجر إيمانهم الذي هو جنّة الأفعال وثواب الأعمال.

﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ﴾[4] بالفناء في الوحدة الذّاتيّة، ﴿وَالرَّسُولِ﴾[5] بالمقام بحقّ الاستقامة، ﴿مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ۚ﴾[6]، أي: كسر النّفس، ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ﴾[7]، أي: ثبتوا في مقام المشاهدة، ﴿وَاتَّقَوْا﴾[8] بقاياهم ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[9] وراء الإيمان، هو روح المشاهدة.

[تفسير سورة آل عمران من آية 173 إلى آية 178][10]

---

1 سورة آل عِمْرَان، الآية 170.

2 سورة آل عِمْرَان، الآية 171.

3 سورة آل عِمْرَان، الآية 171.

4 سورة آل عِمْرَان، الآية 172.

5 سورة آل عِمْرَان، الآية 172.

6 سورة آل عِمْرَان، الآية 172.

7 سورة آل عِمْرَان، الآية 172.

8 سورة آل عِمْرَان، الآية 172.

9 سورة آل عِمْرَان، الآية 172.

10 ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ * إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا ۗ يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

﴿**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ**﴾[1] قبل الوصول إلى المشاهدة: ﴿**إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ**﴾[2]، أي: اعتبروا لوجودكم واعتدوا بكم فاعتدوا بهم، ﴿**فَزَادَهُمْ**﴾[3] ذلك القول ﴿**إِيمَانًا**﴾[4]، أي: يقينًا وتوحيدًا بنفي الغير وعدم المبالاة به، وتوصّلوا بنفْي ما سوى الله إلى إثباته بقولهم: ﴿**حَسْبُنَا اللَّهُ**﴾[5]، فشاهدوه ثمّ رجعوا إلى تفاصيل الصّفات بالاستقامة، فقالوا: ﴿**وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**﴾[6]، وهي الكلمة التي قالها إبراهيم -عليه السّلام- حين أُلقي في النّار، فصارت بردًا وسلامًا عليه.

﴿**فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ**﴾[7]، أي: رجعوا بالوجود الحقاني في جنّة الصّفات والذّات، كما مرّ آنفًا، ﴿**لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ**﴾[8] البقية ورؤية الغير.

﴿**وَ**﴾[9] هم ﴿**اتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ ۗ**﴾[10] الذي هو جنّة الصّفات في حال سلوكهم حين لم يعلموا ما أخفي لهم من قرّة أعين، وهي جنّة الذّات المشار إليها بقوله: ﴿**وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ**﴾[11]، فإنّ الفضل هو المزيد على الرّضوان ﴿**يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ**﴾[12] المحجوبين بأنفسهم مثله من النّاس أو يخوفكم أولياءه، ﴿**فَلَا تَخَافُوهُمْ**﴾[13]، ولا تعتدوا بوجودهم، ﴿**وَخَافُونِ إِن كُنتُم**﴾[14] موحّدين، أي: لا تخافوا غيري لعدم عينه وأثره.

---

[1] سورة آل عِمْرَان، الآية **173**.
[2] سورة آل عِمْرَان، الآية **173**.
[3] سورة آل عِمْرَان، الآية **173**.
[4] سورة آل عِمْرَان، الآية **173**.
[5] سورة آل عِمْرَان، الآية **173**.
[6] سورة آل عِمْرَان، الآية **173**.
[7] سورة آل عِمْرَان، الآية **174**.
[8] سورة آل عِمْرَان، الآية **174**.
[9] سورة آل عِمْرَان، الآية **174**.
[10] سورة آل عِمْرَان، الآية **174**.
[11] سورة آل عِمْرَان، الآية **174**.
[12] سورة آل عِمْرَان، الآية **175**.
[13] سورة آل عِمْرَان، الآية **175**.
[14] سورة آل عِمْرَان، الآية **175**.

﴿وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ۚ﴾[1]، لِحجابهم الأصلي وظلمتهم الذّاتيّة خوف أن يضرّوك، ﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا ۗ﴾[2]: إملاء الكفّار وطول حياتهم سبب لشدّة عذابهم وغاية هوانهم وصغارهم، لازديادهم بطول عمرهم حجابًا على حجاب، وبعدًا على بعد.

وكلّما ازدادوا بعدًا عن الحقّ الذي هو منيع العزّة ازدادوا هوانًا.

[تفسير سورة آل عمران من آية 179 إلى آية 180][3]

﴿مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾[4] من ظاهر الإسلام وتصديق اللّسان، ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ﴾[5] من صفات النّفس وشكوك الوهم وحظوظ الشّيطان، ودواعي الهوى من طيّبات صفات القلب، كالإخْلاص واليقين والمكاشفة ومشاهدات الرّوح ومناغيات السرّ ومسامراته، وتخلّص المعرفة والمحبّة لله بالابتلاء ووقوع الفتن والمصائب بينكم.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى﴾[6] غيب وجودكم من الحقائق والأحوال الكامنة فيكم بلا واسطة الرّسول، لبعد ما بينكم وبينه وعدم المناسبة وانتفاء استعداد التّلقّي منه.

﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ ۖ﴾[7]، فيطلعه على أسراره وحقائقه بالكشف ليهديكم إلى ما غاب عنكم من كنوز وجودكم وأسراره للجنسيّة النّفسانيّة التي بينه وبينكم، الموجبة لإمكان اهتدائكم به.

---

[1] سورة آل عِمْرَان، الآية 176.

[2] سورة آل عِمْرَان، الآية 176.

[3] ﴿مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ * وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

[4] سورة آل عِمْرَان، الآية 179.

[5] سورة آل عِمْرَان، الآية 179.

[6] سورة آل عِمْرَان، الآية 179.

[7] سورة آل عِمْرَان، الآية 179.

﴿**فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ** ۚ﴾[1] بالتّصديق القلبي والإرادة والتّمسّك بالشّريعة، ليمْكنكم التّلقّي والقبول منهم.

﴿**وَإِن تُؤْمِنُوا**﴾[2] بعد ذلك الإيمان بالتّحقيق والسّلوك إلى اليقين والمتابعة في الطّريقة، ﴿**وَتَتَّقُوا**﴾[3] الحجب النّفسانيّة وموانع السّلوك، ﴿**فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾[4] من كشف الحقيقة، ﴿**بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ**﴾[5] من المال والعلم والقدرة والنّفس، ولا ينفقونه في سبيل الله على المستحقّين والمستعدين والأنبياء والصدّيقين في الذبّ عنهم أو الفناء في الله.

﴿**سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ۗ﴾[6]، أي: يجعل غلّ أعناقهم وسبب تقيّدهم وحرمانهم عن روح الله ورحمته وموجب هوانهم وحجابهم عن نور جماله محبّتهم له وتعلّقهم به.

﴿**وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** ۗ﴾[7] من النّفوس وصفاتها كالقوى والقدر والعلوم والأموال، وكلّ ما ينطبق عليه اسم الوجود، فما لهم يبخلون بماله عنه.

[تفسير سورة آل عمران من آية 181 إلى آية 187][8]

---

[1] سورة آل عِمْرَان، الآية **179**.

[2] سورة آل عِمْرَان، الآية **179**.

[3] سورة آل عِمْرَان، الآية **179**.

[4] سورة آل عِمْرَان، الآية **179**.

[5] سورة آل عِمْرَان، الآية **180**.

[6] سورة آل عِمْرَان، الآية **180**.

[7] سورة آل عِمْرَان، الآية **180**.

[8] ﴿**لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ * ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ * الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ * كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ * ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ * وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ**﴾.

﴿**لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ**﴾[1] إلى قوله: ﴿**إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾[2]، روي أنّ أنبياء بني إسرائيل كانت معجزتهم أن يأتوا بقربان فيدعوا الله، فتأتي نار من السّماء تأكله.

وتأويله: أن يأتوا بنفوسهم يتقربون بها إلى الله ويدعون الله بالزّهد والعبادة، فتأتي نار العشق من سماء الرّوح تأكله وتفنيه في الوحدة، فبعد ذلك صحّت نبوّتهم وظهرت، فسمع به عوامّ بني إسرائيل فاعتقدوا ظاهره، وإن كان ممكنًا من عالم القدرة، فاقترحوا على كلّ نبي تلك الآية، كما توهّموا من إقراض الله الذي هو بذل المال في سبيل الله بالإنفاق لاستيفاء الثّواب وبذل الأفعال والصّفات بالمحو في السّلوك لاستبدال صفات الحقّ وأفعاله وتحصيل مقام الإبدال، فقر الحقّ وغناهم، أو كابروا الأنبياء في الموضعيْن بعدما فهموا.

[تفسير سورة آل عمران من آية 188 إلى آية 191][3]

﴿**لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا**﴾[4]، أي: يعجبوا بما فعلوا من طاعة وإيثار، وكلّ حسنة من الحسنات، ويحجبون برؤيته، ﴿**وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا**﴾[5]، أي: يحمدهم النّاس، فهم محْجوبون بعرض الحمد والثّناء من النّاس، أو أن يكونوا محمودين في نفس الأمر، عند الله ﴿**بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا**﴾[6]، بل فعله الله على أيديهم، إذ لا فعل إلاّ لله، ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[7] فائزين من عذاب الحرمان.

---

[1] **سورة آل عِمْرَان، الآية 181.**

[2] **سورة آل عِمْرَان، الآية 183.**

[3] ﴿**لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾.

[4] **سورة آل عِمْرَان، الآية 188.**

[5] **سورة آل عِمْرَان، الآية 188.**

[6] **سورة آل عِمْرَان، الآية 188.**

[7] **سورة الصّافّات، الآية 96.**

﴿**وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾[1]، لمكان استعدادهم واحتجابهم عما فيه، وكان من حقّهم أن ينسبوا الفضيلة والفعل الجميل إلى الله ويتبرّأوا عن حولهم وقوتهم إليه ولا يحتجبوا برؤية الفعل من أنفسهم، ولا يتوقّعوا به المدح والثّناء.

﴿**وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ**﴾[2] ليس لأحد فيها شيء، حتّى يعطي غيره، فيعجب بعطائه.

﴿**وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[3] لا يقدر غيره على فعل ما، حتّى يعجب برؤيته، فيفرح به فرح إعجاب.

﴿**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ**﴾[4] في جميع الأحوال وعلى جميع الهيئات، ﴿**قِيَامًا**﴾[5] في مقام الروح بالمشاهدة، ﴿**وَقُعُودًا**﴾[6] في محلّ القلب بالمكاشفة، ﴿**وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ**﴾[7]، أي: تقلّباتهم، في مكان النّفس بالمجاهدة، ﴿**وَيَتَفَكَّرُونَ**﴾[8] بألبابهم، أي: عقولهم الخالصة عن شوب الوهم، ﴿**فِي خَلْقِ**﴾[9] عالم الأرواح والأجساد.

يقولون عند الشّهود: ﴿**رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا**﴾[10] الخلْق ﴿**بَاطِلًا**﴾[11]، أي: شيئًا غيرك، فإنّ غير الحقّ هو الباطل، بل جعلته أسماءك ومظاهر صفاتك، ﴿**سُبْحَانَكَ**﴾[12] ننزّهك أن يوجد غيرك، أي: يقارن شيء فردانيّتك أو يثني وحدانيّتك، ﴿**فَقِنَا عَذَابَ**﴾[13] نار الاحتجاب بالأكوان عن أفعالك، وبالأفعال عن صفاتك، وبالصّفات عن ذاتك وقاية مطلقة تامّة كافية.

---

[1] سورة آل عِمْرَان، الآية **188**.
[2] سورة آل عِمْرَان، الآية **189**.
[3] سورة آل عِمْرَان، الآية **189**.
[4] سورة آل عِمْرَان، الآية **191**.
[5] سورة آل عِمْرَان، الآية **191**.
[6] سورة آل عِمْرَان، الآية **191**.
[7] سورة آل عِمْرَان، الآية **191**.
[8] سورة آل عِمْرَان، الآية **191**.
[9] سورة آل عِمْرَان، الآية **191**.
[10] سورة آل عِمْرَان، الآية **191**.
[11] سورة آل عِمْرَان، الآية **191**.
[12] سورة آل عِمْرَان، الآية **191**.
[13] سورة آل عِمْرَان، الآية **191**.

[تفسير سورة آل عمران من آية 192 إلى آية 195][1]

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ﴾[2] بالحرمان، ﴿فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ۖ﴾[3] بوجود البقية التي كلّها ذلّ وعار وشنار.

﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾[4] الذين أشركوا برؤية الغير مطلقًا أو البقيّة ﴿مِنْ أَنصَارٍ﴾[5].

﴿رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا﴾[6] بأسماع قلوبنا ﴿مُنَادِيًا﴾[7] من أسرارنا التي هي شاطئ وادي الرّوح الأيمن ﴿يُنَادِي﴾[8] إلى الإيمان العياني: ﴿أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ﴾[9]، أي: شاهدوا ربّكم، فشاهدنا.

﴿رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا﴾[10] ذنوب صفاتنا بصفاتك، ﴿وَكَفِّرْ عَنَّا﴾[11] سيّئات أفعالنا برؤية أفعالك، ﴿وَتَوَفَّنَا﴾[12] عن ذواتنا في صحبة الأبرار من الأبدال الذين تتوفّاهم بذاتك عن ذواتهم، لا الأبرار الباقين على حالهم في مقام محو الصّفات غير المتوفّين بالكلّيّة.

---

[1] ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ * رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ۚ رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ * رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ * فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ۖ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾.

[2] سورة آل عِمْرَان، الآية 192.

[3] سورة آل عِمْرَان، الآية 192.

[4] سورة آل عِمْرَان، الآية 192.

[5] سورة آل عِمْرَان، الآية 192.

[6] سورة آل عِمْرَان، الآية 193.

[7] سورة آل عِمْرَان، الآية 193.

[8] سورة آل عِمْرَان، الآية 193.

[9] سورة آل عِمْرَان، الآية 193.

[10] سورة آل عِمْرَان، الآية 193.

[11] سورة آل عِمْرَان، الآية 193.

[12] سورة آل عِمْرَان، الآية 193.

﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ﴾[1] اتّباع: ﴿رُسُلِكَ﴾[2] أو محمولاً على رسلك من البقاء بعد الفناء، والاستقامة بالوجود الموهوب بعد التّوحيد، ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ﴾[3] الكبرى ووقت بروز الخلق لله الواحد القهّار بالاحتجاب بالوحدة عن الكثرة، وبالجمع عن التّفصيل.

﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾[4]، فتبقى مقامًا وراءنا لم نصل إليه.

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ﴾[5] القلب من الأعمال القلبيّة، كالإخلاص واليقين والكشف، ﴿أَوْ أُنثَىٰ ۖ﴾[6] النّفس من الأعمال القالبيّة، كالطّاعات والمجاهدات والرّياضات، ﴿بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ۖ﴾[7] يجمعكم أصل واحد وحقيقة واحدة هي الرّوح الإنسانيّة، أي: بعضكم منشأ من بعض، فلا أثيب بعضكم وأحرم بعضًا.

﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾[8] عن أوطان مألوفات النّفس، ﴿وَأُخْرِجُوا مِن﴾[9] ديار صفاتها أو هاجروا من أحوالهم التي التذّوا بها، وأخرجوا من مقاماتهم التي يسكنون إليها، ﴿وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي﴾[10]، أي: ابتلوا في سبيل سلوك أفعالي بالبلايا والمحن والشّدائد والفتن ليتمرّنوا بالصّبر، ويفوزوا بالتّوكّل في سبيل سلوك صفاتي بسطوات تجلّيات الجلال والعظمة والكبرياء ليصلوا إلى الرّضا؛ ﴿وَقَاتَلُوا﴾[11] البقيّة بالجهاد فيّ، ﴿وَقُتِلُوا﴾[12] وأفنوا في بالكلّية؛ ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ

---

[1] سورة آل عِمْرَان، الآية 194.
[2] سورة آل عِمْرَان، الآية 194.
[3] سورة آل عِمْرَان، الآية 194.
[4] سورة آل عِمْرَان، الآية 194.
[5] سورة آل عِمْرَان، الآية 195.
[6] سورة آل عِمْرَان، الآية 195.
[7] سورة آل عِمْرَان، الآية 195.
[8] سورة آل عِمْرَان، الآية 195.
[9] سورة آل عِمْرَان، الآية 195.
[10] سورة آل عِمْرَان، الآية 195.
[11] سورة آل عِمْرَان، الآية 195.
[12] سورة آل عِمْرَان، الآية 195.

﴿سَيِّئَاتِهِمْ﴾[1] كلّها من الصّغائر والكبائر، أي: سيّئات بقاياهم؛ ﴿وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ﴾[2] الجنّات الثّلاثة المذكورة ﴿ثَوَابًا﴾[3]، أي: عوضًا لما أخذت منهم من الوجودات الثّلاثة.

﴿وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾[4]، أي: لا يكون عند غيره الثّواب المطلق الذي لا يبقى منه شيء.

ولهذا قال: والله، لأنّه الاسم الجامع لجميع الصّفات، فلم يحسن أن يقول: والرّحمن، في هذا الموضع أو اسم آخر غير اسم الذّات.

[تفسير سورة آل عمران من آية 196 إلى آية 200][5]

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[6]، أي: حجبوا عن التّوحيد الذي هو دين الحقّ في المقامات والأحوال.

﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾[7]، أي: هو يعني الاحتجاب بالمقامات والتّقلّب فيها تمتّع قليل؛ ﴿ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۚ﴾[8]: الحرمان، ﴿وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾[9].

---

[1] سورة آل عِمْرَان، الآية 195.

[2] سورة آل عِمْرَان، الآية 195.

[3] سورة آل عِمْرَان، الآية 195.

[4] سورة آل عِمْرَان، الآية 195.

[5] ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ * لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ * وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

[6] سورة آل عِمْرَان، الآية 196.

[7] سورة آل عِمْرَان، الآية 197.

[8] سورة آل عِمْرَان، الآية 198.

[9] سورة آل عِمْرَان، الآية 198.

﴿**لٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ**﴾[1] من المؤمنين، أي: تجرّدوا عن الوجودات الثّلاثة، لهم الجنّات الثّلاث، ﴿**نُزُلًا**﴾[2] معدًّا ﴿**مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۗ**﴾[3].

﴿**وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ**﴾[4]، أي: المحجوبين عن التّوحيد، والمذكورين بصفة التّقلّب في الأحوال والمقامات ﴿**لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ**﴾[5]، أي: يتحقّق بالتّوحيد الذّاتي، ﴿**وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ**﴾[6] من علم التّوحيد والاستقامة، ﴿**وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ**﴾[7] من علم المبدإ والمعاد؛ ﴿**خَاشِعِينَ لِلَّهِ**﴾[8] قابلين لتجلّي الذّات؛ ﴿**لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ**﴾[9] التي هي تجلّيات صفاته ثمن البقيّة الموصوف بالقلّة.

﴿**أُولٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ**﴾[10] من الجنان المذكورة.

﴿**إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾[11] يحاسبهم ويجازيهم فيعاقب على بقايا من بقي منه شيء، أو يثيب بنفي البقايا على حسب درجاتهم في المواطن الثّلاثة.

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا**﴾[12] لله، ﴿**وَصَابِرُوا**﴾[13] مع الله، ﴿**وَرَابِطُوا**﴾[14] بالله، أي: اصْبروا في مقام النّفس بالمجاهدة، وصابروا في مقام القلب مع سطوات تجلّيات صفات الجلال بالمكاشفة، ورابطوا في مقام الرّوح ذواتكم بالمشاهدة حتّى لا يغلبكم فترة أو غفلة أو غيبة بالتّلوينات، ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ**﴾[15] في مقام الصّبر عن المخالفة والرّياء، وفي المصابرة عن الاعتراض

---

[1] **سورة آل عِمْرَان، الآية 198.**
[2] **سورة آل عِمْرَان، الآية 198.**
[3] **سورة آل عِمْرَان، الآية 198.**
[4] **سورة آل عِمْرَان، الآية 199.**
[5] **سورة آل عِمْرَان، الآية 199.**
[6] **سورة آل عِمْرَان، الآية 199.**
[7] **سورة آل عِمْرَان، الآية 199.**
[8] **سورة آل عِمْرَان، الآية 199.**
[9] **سورة آل عِمْرَان، الآية 199.**
[10] **سورة آل عِمْرَان، الآية 199.**
[11] **سورة آل عِمْرَان، الآية 199.**
[12] **سورة آل عِمْرَان، الآية 200.**
[13] **سورة آل عِمْرَان، الآية 200.**
[14] **سورة آل عِمْرَان، الآية 200.**
[15] **سورة آل عِمْرَان، الآية 200.**

والامتلاء وفي المرابطة عن البقيّة والجفاء، لكي تفلحوا الفلاح الحقيقي السّرمدي الذي لا فلاح وراءه، إن شاء الله.

محتويات الجزء الأوّل
من كتاب
التّأويلات لعبد الرزّاق الكاشاني

محتويات الجزء الأول من كتاب التنويرات

لعبد الرزاق الكاشاني

- التصدير	**7–43**
I – المؤلّف	9-13
1- نشأته	9-10
2 - نشأته الرّوحيّة	10–11
3- رحلاته إلى بلاد	11–12
4 - عقيدة محيي الدّين ابن عربي ومذهبه الفقهي	13
II – مؤلّفاته	13
III - أقوال ابن عربي	13–14
IV – نظريّات ابن عربي	14
V – آراء العلماء في ابن عربي	14-17
1 - المؤيّدون له	14-16
2 - السّاكتون عنه	16
3 - المخالفون له	16-17
VI - معاصرو ابن عربي	17
VII - شهرة ابن عربي	
وعلاقة المذاهب الفقهيّة والكلاميّة به	17-18
VIII - كتب في سيرة حياته والدفاع عنه	18
1 - في سيرته	18-19
2 - في الدّفاع عنه	19-20
IX - مضمون الكتاب	39- 43

فاتحة الكتاب **46–52**
[تفسير آية الفاتحة (1)] 48-50
[آية 2 - 5] 50-51
[آية 6 - 7] 51-52

سورة البقرة **53–147**
[تفسير آية البقرة 1] 55-56
[آية 2] 56-59
.....
[آية 6 - 9] 59-61
[آية 10 - 11] 61-62
[آية 12 - 14] 62
[آية 15 - 16] 62-63
[آية 17 - 18] 63-64
[آية 19 - 20] 64-65
[آية 21 - 22] 65-66
[آية 23] 66
[آية 24] 66-68
[آية 25 - 26] 68-69
[آية 27] 70-71
[آية 28 - 29] 71-72
[آية 30] 72-73
[آية 31 - 33] 73-74
[آية 34] 74-75
[آية 35] 75

[آية 36 - 37]	77-76
[آية 38 - 40]	78-77
[آية 41 - 43]	79-78
[آية 44 - 48]	79
[آية 49 - 50]	82-80
[آية 51 - 54]	82
[آية 55 - 57]	83
[آية 58]	83
[آية 59]	84
[آية 60]	84
[آية 61]	85
[آية 62]	85
[آية 63 - 64]	86
[آية 65 - 66]	88-86
[آية 67 - 71]	91-88
[آية 72]	92-91
[آية 73]	92
[آية 74]	93-92
[آية 75 - 78]	94-93
[آية 79]	94
[آية 80 - 82]	95-94
[آية 83]	95
[آية 84]	96-95
[آية 85 - 86]	97-96
[آية 87 - 91]	97
[آية 92 - 101]	97
[آية 102]	98-97
[آية 103 - 105]	98

[آية 106 - 107]	99
[آية 108 - 112]	100-99
[آية 113 - 114]	101-100
[آية 115]	102-101
[آية 116 - 117]	103-102
[آية 118 - 124]	103
[آية 125]	104-103
[آية 126]	104
[آية 127 - 133]	106-104
[آية 134]	107
[آية 135 - 141]	107
[آية 142]	108-107
[آية 143]	110-108
[آية 144]	110
[آية 145]	111
[آية 146 - 148]	111
[آية 149 - 150]	112-111
[آية 151 - 154]	113-112
[آية 155]	113
[آية 156 - 158]	114-113
[آية 159 - 160]	115-114
[آية 161]	115
[آية 162 - 164]	116-115
[آية 165]	117-116
[آية 166 - 168]	118-117
[آية 169 - 172]	119-118
[آية 173 - 177]	121-119
[آية 178 - 184]	122-121

[آية 185 - 187] 122-123
[آية 188 - 189] 123-124
[آية 190 - 194] 124-125
[آية 195 - 196] 125-127
[آية 196] 125
[آية 196] 126-127
[آية 197 - 199] 127-128
[آية 200 - 205] 128-130
[آية 206 - 212] 130
[آية 213 - 215] 131-133
للتّفسير [سورة البقرة من آية 246 إلى آية 248] 133-135
[تفسير سورة البقرة آية 255] 135-136
تفسير سورة البقرة من آية 256 إلى آية 258 136-137
[تفسير سورة البقرة آية 259] 137-139
[تفسير سورة البقرة آية 260] 139-140
[تفسير سورة البقرة من آية 261 إلى آية 262] 140-142
[تفسير سورة البقرة من آية 266 إلى آية 268] 142-143
[تفسير سورة البقرة من آية 269 إلى آية 272] 143-144
[تفسير سورة البقرة من آية 273 إلى آية 275] 144-145
[تفسير سورة البقرة من آية 276 إلى آية 283] 145-146
[تفسير سورة البقرة آية 284] 146-147

[سورة آل عمران] **149-195**
[تفسير سورة آل عمران من آية 1 إلى آية 6] 151
[تفسير سورة آل عمران من آية 7 إلى آية 12] 151-153
[تفسير سورة آل عمران من آية 13 إلى آية 14] 153-156
[تفسير سورة آل عمران آية 26] 156-157
[تفسير سورة آل عمران آية 30] 157-158

[تفسير سورة آل عمران آية 31] 158
[تفسير سورة آل عمران من آية 32 إلى آيه 34] 158-160
[تفسير سورة آل عمران من آية 38 إلى آية 42] 160-161
[تفسير سورة آل عمران من آية 42 إلى آية 46] 161-162
[تفسير سورة آل عمران من آية 47 إلى آية 51] 162-163
[تفسير سورة آل عمران من آية 52 إلى آية 55] 163-164
[تفسير سورة آل عمران من آية 56 إلى آية 58] 164-165
[تفسير سورة آل عمران من آية 59 إلى آية 60] 165-166
[تفسير سورة آل عمران من آية 61 إلى آية 63] 166-168
[تفسير سورة آل عمران آية 81] 168
[تفسير سورة آل عمران من آية 82 إلى آية 84] 168-173
[تفسير سورة آل عمران من آية 103 إلى آية 105] 173-175
[تفسير سورة آل عمران من آية 106 إلى آية 109] 175
[تفسير سورة آل عمران من آية 110 إلى آية 111] 175-176
[تفسير سورة آل عمران آية 112] 176
[تفسير سورة آل عمران من آية 113 إلى 117] 177
[تفسير سورة آل عمران آية 118] 177-178
[تفسير سورة آل عمران آية 119] 178-179
[تفسير سورة آل عمران من آية 120 إلى آية 125] 179-180
[تفسير سورة آل عمران من آية 126 إلى آية 132] 180-181
[تفسير سورة آل عمران من آية 133 إلى آية 134] 181
[تفسير سورة آل عمران من آية 135 إلى آية 136] 182
[تفسير سورة آل عمران من آية 137 إلى آية 142] 182-183
[تفسير سورة آل عمران من آية 143 إلى آية 144] 183-185
[تفسير سورة آل عمران من آية 152 إلى آية 153] 185-186
[تفسير سورة آل عمران آية 154] 186-187
[تفسير سورة آل عمران آية 155] 187
[تفسير سورة آل عمران من آية 156 إلى 160] 187-188

[تفسير سورة آل عمران من آية 161 إلى آية 169] 188-190
[تفسير سورة آل عمران من آية 173 إلى آية 178] 190-191
[تفسير سورة آل عمران من آية 179 إلى آية 180] 191-192
[تفسير سورة آل عمران من آية 181 إلى آية 187] 192
[تفسير سورة آل عمران من آية 188 إلى آية 191] 192-193
[تفسير سورة آل عمران من آية 192 إلى آية 195] 193-195

محتويات الكتاب **269-276**

النّاشر: شركة كيرانيس للطّباعة والنّشر والتّوزيع
العنوان: إقامة الزّيتونة - عمارة عدد 3 – شقّة عدد 2 - المنار 2 – أريانة
الهاتف: 71886914 216+
الفاكس: 71886872 216+
العنوان الالكتروني: JomaaAssaad@yahoo.fr
معرّف النّاشر: 02-9938
عدد الطّبعة: الأولى
ت د م ك: 978-9938-02-019-9
تمّ سحب 1000 نسخة من هذا الكتاب

© جميع الحقوق محفوظة لشركة كيرانيس للطّباعة والنّشر والتّوزيع